دكتور عبد العزيز شرف

أستاذ الإعلام ورئيس القسم الأدبى
بجريدة الأهرام

فن المقال الصحفى

الناشر
دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة)
عبده غريب

فن المقال الصحفي

الكتـــــاب : فن المقال الصحفى

المؤلـــــف : د / عبد العزيز شرف

تاريخ النشر : ٢٠٠٠

النـاشـــــر : دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع

عبده غريب

شركة مساهمة مصرية

الإدارة : ٥٨ شارع الحجاز - عمارة برج آمون

الدور الأول - شقة ٦

ف : ٢٤٧٤٠٣٨ ت : ٢٤٦٢٥٦٢

المطابـــــع : مدينة العاشر من رمضان المنطقة الصناعية (C1)

ت: ٠١٥/٣٦٢٧٧٧

المكتبـــــة : ١٠ شارع كامل صدقى (القاهرة)

ص. ب : ١٢٢ (الفجالة)

رقـم الإيـداع : ٩٨/٩٧٩٣

الترقيم الدولى : I S B N

977-303-032-6


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة

فى حديث له حول القراءة والكتب؛ قال "بول فاليرى": **إن الانسانية فى جملتها اليوم لا تقرأ شيئا غير الصحف!**.. ثم انتهى إلى هذا القول الذى يدهش توفيق الحكيم لصدوره من "فاليرى": "يجب تعليم تلاميذ المدارس أن يطالعوا الصحف!: ولست أمزح؛ ذلك أن الشعب - إذا كان هو الحاكم - فإن للحاكم أن يتسلم فى كل صباح تقريرا عن حالة ملكه وحالة العالم!.. هذا التقرير موجود فى الصحف.. ولذلك ينبغى أن يتعلم كيف يستخرج هذا التقرير منها. إن تحليل صحيفة من الصحف، وغربلتها؛ رياضة على أكبر جانب من الفائدة وربما على أعظم جانب من القيمة أيضا!.. إن الغذاء العقلى للجنس البشرى، إنما يُعد الآن إعدادا فى مطابخ الصحف؛ لأن الأغلبية الساحقة ـ ممن يعرفون القراءة ـ لا يملكون من الوقت لهذه القراءة أكثر من ساعة فى اليوم!.. وهذه الساعة التى تختلس اختلاسا أثناء ركوب "المترو" أو القطار أو الأكل فى مطعم ـ لا يمكن أن يشغلها غير الصحف"!

هذه حقيقة لا يمكن أن تُنكر؛ وهى كما يقول "الحكيم" حقيقة مخيفة؛ ولذلك كان مصدر دهشته أن "مفكرا من طراز "فاليرى"؛ يبسطها بهذا الهدوء!". يقول الحكيم:

"حقا، لقد انتقلت مهمة تثقيف الشعوب - من أيدى الفلاسفة والكتاب والشعراء والخطباء - إلى أيدى الصحفيين. قديما كان الناس فى البدو والحضر يتناولون أيضا غذاءهم العقلى فى كل حين؛ لأن البشرية لم تنقطع يوما عن طلب الطعام الذهنى إلى جانب الطعام المادى!.. ولكنها لم تكن تعرف صحافة يومية، ولا أسبوعية!.. كانت تعرف شعراء الحى، وخطباء الهياكل، وفلاسفة الأسواق! وكان أولئك فى جملتهم قوما ممتازين: أنبتتهم العبقرية، وأرضعهم النبوغ.. كان الغذاء العقلى من يد هؤلاء، بديعا فى أغلب الأحيان مصفى، بعيدا عن السخف، والإسفاف، لأن الموهوبين لا يسفون، وإن أرادوا.. ! هكذا كان المطبخ العقلى فى الماضى، فهل لنا أن نتفاءل بالمطبخ الحديث" ؟!

يذهب الحكيم؛ ونحن معه؛ قبل التفاؤل والتشاؤم؛ إلى ضرورة التساؤل أولا:
هل يتغير نوع الثقافة بتغير المجتمع؟ "لاشك أن هنالك شيئا يتغير، وأن هنالك شيئا ثابتا لا يتغير! إن ألوان الطعام المادى قد تغيرت، وتنوعت وتعقدت على مر الأحقاب والأزمان؛ فاختفى العصيد والثريد، وظهر فى المأكولات من مالح وحلو، ومرطبات ومثلجات، كل تنويع وتجديد !.. ولكن الفاكهة بقيت هى الفاكهة فى كل وقت ومكان، كذلك حياة المجتمع تتجدد فيها المظاهر وتتعقد المشكلات ويظهر الراديو والسينما كما تظهر أحدث النظريات السياسية والاقتصادية، ولكن شيئا فيها يبقى بلا تغيُّر، وهذا الشيء هو الاحساس بالجمال الفكرى والفنى. فإن بيتاً من الشعر - هزّ بدوية فى خيمتها منذ ألف عام، قد يهز حسناء اليوم فى خدرها طربا !.. وأسطورة خيالية شغف بها الأقدمون فى مصر، أو الهند، أو اليونان - قد تثير أوربا الحديثة عجبا !.. فاكهة الذهن أو القلب تبقى دائما نضرة! مادامت شجرة الحياة الانسانية باقية باسقة!".

وتأسيسا على هذا الفهم؛ فإننا نذهب مع الحكيم إلى أن صحافة اليوم تستطيع القيام بمهمة التثقيف العام؛ لو راعت هذه الاعتبارات، عند إعداد الغذاء العقلى للشعب، ذلك أن الصحيفة المثالية "مائدة يجب أن تكون حافلة بكل أنواع الفيتامينات"؛ يتناول القارئ منها مايُزجى فراغه، وينمى اطلاعه ويقوى عضلاته المفكّرة، وأما من تقصر فى واحدة من هذه المهامّ؛ فهى تغدو كالطعام الردىء يعطيك شيئا ويمنع عنك أشياء"!

وربما من أجل ذلك قال "ويليام هاملتون" William Peter Hamilton محرر صحيفة "ذى وول استريت جورنال" The Wall Street Journal : "من بين ٢٢,٠٠٠ مقال افتتاحى كل أسبوع؛ نلاحظ أن ٢١,٥٠٠ من هذه المقالات كان ينبغى ألا يصل إلى المطبعة أساسا"؛ ويرجع "هاملتون" السبب فى تزايد هذه النسبة من المقالات الافتتاحية عديمة القيمة؛ إلى إفتقاد "الفكر المنظم" فيها: "Lack of dixciplined thought".

وفى مقال عن صفحة الرأى فى النشرة الرسمية لجمعية الصحفيين تحت التمرين "The Quill"؛ قال أيضا و.ك. كيلسى W.K. Kelsey كاتب المقال الافتتاحى فى صحيفة "The Detroit News" : "فى الولايات المتحدة؛ "إن المقالات الافتتاحية فى اثنتى عشرة صحيفة؛ مفيدة للمجتمع؛ أما بقية الصحف ففى الوسع الاستغناء عن مقالاتها دون أن يترتب على ذلك احساس قومى أو محلى بالخسارة!". ويرجع "كيسى" السبب وراء ذلك، إلى حد كبير؛ إلى أن كتاب المقالات الرئيسية "يدركون أنهم غير أكفاء للقيام بالمسئوليات الملقاة على عواتقهم".

هذان الرأيان يتكاملان مع رأى "الحكيم"؛ و"فاليرى"؛ فى طرح سؤال أساسى؛ حول الأعمدة المخصصة للمقالات الافتتاحية والصحفية فى صحف اليوم: هل هناك ضرورة لها؟ أم أنه من الأفضل استخدامها فى مواد صحفية أخرى قد تكون أكثر لزوما؟ بعبارة أخرى؛ هل أصبح المقال الصحفى؛ و "الافتتاحى" خاصةً يندرج فى باب "اللزوميات" على مذهب أبى العلاء : لزوم مالا يلزم".!..

يقول د. "سبنسر" M. Lyle Spencer :

"إن المقالات الافتتاحية فى صحفنا اليوم؛ إجمالا، لها هدف؛ كما كانت دائما؛ وهى أكثر صدقا، وعلى مستوى أخلاقى رفيع، وهى أكثر تحررا من التحزب السياسى الضيق؛ ومن اللمز والتنابز بالألقاب والقدح الشخصى. ومع ذلك، فإنها، بالإضافة إلى الوظيفة التنفيذية والتعليمية؛ قد فقدت الكثير من جلالها ونفوذها فى الخمس والسبعين سنة الماضية. وهى لا تستخدم النفوذ الذى تحقق لها فى منتصف القرن التاسع عشر عندما كان "بريانت" Brgant و "باولز" Bowles و "رايموند" Raymond و "دانا" Dana و "جودكين" Godkin و "جريلى" Greely؛ وغيرهم من ذلك العصر "البركليسى" هم سادة الصحافة وسدنتها، حيث الموقع الممتاز للسلطة العليا؛ والقوة الدافعة الثابتة؛ التى تلهم عقول الناس؛ وتشحذ أفكارهم: هذه الأمور نفتقر إليها الآن؛ حيث هوت من المركز الأول الذى احتلته إبان الحرب الأهلية؛ إلى مركز ضعيف بعد هذه الحرب مباشرة؛ ربما يحتل الدرجة الثانية أو الثالثة".

ويشير الدكتور "سبنسر" هنا إلى العصر الذهبى للمقال الامريكى بالعصر "البركليسى" Periclean Time"؛ كإحالة مرجعية إلى "بركليس" Pericles السياسى والحاكم والخطيب اليونانى الأثينى؛ الذى ولد فى أثينا نحو سنة ٤٩٠ ق.م، فى أسرة عرفت بالنبل والشرف، واشتهر أبوه فى الحركات السياسية فى أثينا، وكانت له اليد الطولى فى انتصار اليونان على الفرس فى وقعة "ميكالى" Mycale سنة ٤٧٠ ق.م. وتلقى بركليس ثقافته عن مشهورى علماء عصره، فثقفه "دامون" Damon فى الموسيقى، وعلمه "زينون" Zeno البلاغة والحوار والجدل، وكان للفيلسوف الكبير "انكسا جوراس" أثر كبير فى عقليته، فأوعز اليه بكثير من الآراء القيمة، وبعث فيه النظر الهادئ إلى الأشياء حتى فى أدق الأوقات حرجا. وبدأ يشترك فى الأمور السياسية من سنة ٤٦٩، ولم يمض إلا قليل وقت حتى كان قائد الحزب الديمقراطى فى أثينا، ونازل الحزب الارستقراطى وعلى رأسه "كيمون" Cimon واستمر النزاع بينهما طويلا حتى انتهى بانتصار بركليس واندصار كيمون ونفيه.

ومن ذلك الحين بدأ يحصر إدارة الاعمال فى يّده، ويضع الخطط لإعلاء شأن أثينا وجعلها عاصمة اليونان، وضم المدن الأخرى المناوئة إليها وجعل أثينا مركزا للقوة السياسية، ومكّن له من ذلك ما بذلته أثينا فى الحروب مع الفرس من تحملها أعظم المشاق وأكبر الضحايا، حتى تم لليونان الانتصار على الفرس فى الحرب؟، فمن ذلك الحين صار سكان الجزائر والمستعمرات يمدون يدهم لمحالفة أثينا، وقد نهض بركليس بالبحرية، فكان كل سنة يرسل أسطولا مؤلفا من ستين قطعة لتجول مدة ثمانية أشهر فى بحر إيجه يتمرن فيه الأثينيون على الأعمال البحرية، وكان أسطولها القوى سببا فى عزة جانبها والاعتراف بسيادتها. ووضع الرسوم للأبنية العظيمة لتزيين أثينا وتقويتها، فأنشأ بها "البارثنون" وهو هيكل من المرمر الأبيض تحيط به العمد الضخمة مزينا بأدق النقوش، ولا تزال بقاياه فى المتحف البريطانى إلى الآن، وقد أعيد بناؤه حديثا فى أثينا على نحو ما أقامه بركليس، وبنى "الأوديون" مسرحا للتمثيل ومثلت فيه روايات ألفها له سوفوكليس

ويوربيدس الروائيـان المشـهوران، إلـى غير نلـك مـن الأعمـال، حتـى سـمى هـذا العصر المجيد "بعصر بركليس"[1].

هذا "**العصر البركليسى**" القديم؛ هو الذى يطلقه د. سبنسر؛ على **عصر المقال الصحفى؛ الخطابى فى مرحلته الأولى**؛ ذلك أن من أسـباب نجـاح "**بركليس**" قديمـا قدرته الخطابية، إذ كان لسـنا فصيحـا يخطـب الجمـاهير فيستولى علـى مشـاعرهم ويسـحر عقولهم. وأصبحـت السـلطة كلهـا فـى يده وتغلّب علـى كثير مـن البـلاد اليونانيـة التـى كـانت تتمتـع بالاسـتقلال مـن قبلـه الأمـر الـذى أثـار عوامـل الحسـد والغيرة لدى خصومه، فكانوا يطعنون فى سياسته، ويتهمونـه بتبديـد أمـوال الأمـة، ويجرحون أصدقاءه.، وفى كثير من الأحيان كان ينـال منهـم وينتصـر عليهـم بقـوة حجته وعجيب فصاحته ومهارة خطابته. فى العصر البركليسى للصحافة؛ نلتقى فى الصحافة الأمريكية بالكاتب الصحفى "بريانت" William Cullen Breyant الـذى أجمع نقاد الصحافة على أنه كان "رجلا فاضلا وصحفيا مرموقا استحق عن جدارة احترام نيويورك، وكانت لـه شـعبية ملحوظـة، فـاختير مـرارا ليرأس الاجتماعـات الوطنية التى تدرس مشاكل المدينة الهامة؛ وكان فضلا عن ذلك أديبا وشاعرا، وله فى هذا الميدان ترجمة ممتعة لملحمة هوميروس؛ ودراسات أدبية أخرى، اعتز بهـا أبناء جيله من أدباء وصحفيين.

وفـى عهـد بريـانت اهتمـت جريـدة الإيفننـج بوسـت The Evening Post بالدعوة إلى تحسين المساكن، وانصبـت هـذه الدعـوة علـى انشـاء البنايـات الكبـيرة العالية ذات الطوابق الشاهقة. كما كانت فى الجوانب الفكرية سـوقا لـلأدب الرفيـع. أما فى شئون السياسة، فقد تمسكت إلى حد كبير باسـتقلالها فـى الـرأى وإن مـالت إلى سياسة الجمهوريين، ومضى "بريانت" يوجه سياسة صحيفـة "الإ يفننـج بوسـت" على هذا النحو أكثر من خمسين سنة، وكان فى سياسته بعيـد النظـر، وفـى أسـلوبه سهل التعبير، لا تعرف تعقيباته على الشئون العامة اللف والدوران".

---

(١) طه حسين وآخرون: التوجيه الأدبى، ص ٤٧.

ذلك أن صحافة الرأى، هى التى سادت الصحافة الامريكية حتى قامت الحرب الأهلية بين الشمال والجنوب؛ على الرغم من نجاح "صحافة البنس". وكانت الفترة من ١٨٣٣ - ١٨٦٠ يسودها حكم الديموقراطيين، وكانت لهذا الحزب صحف أهمها "الإيفننج بو ست" التى دافعت بشجاعة عن الطبقات الفقيرة ومصالح العمال، وهاجمت الاحتكارات والمضاربات، وكان لحزب الجمهوريين صحفه، وإن لم تكن بالكثرة والقوة اللتين كانت لصحف الحزب الديمقراطى، وإن تميزت بالعنف فى جدالها مع خصيماتها.

وهنا نلتقى بكاتب صحفى آخر فى العصر "البركليسى" ونعنى "هوراس جريلى" Horace Greeley الذى أصدر فى ١٠ ابريل سنة ١٨٤١ جريدة "النيويورك تريبيون" New-York Tribane فى أربع صفحات، كل صفحة تضم خمسة أنهر، وكانت جيدة التحرير، جيدة الطبع، وبعد ثلاثة أسابيع من صدورها كان توزيعها ٥٥٠٠ نسخة يوميا. وبعد سبعة أسابيع بلغ التوزيع أحد عشر ألفا. ومضى التزايد فى التوزيع عاما بعد عام حتى بلغ قبل الحرب الأهلية خمسا وأربعين ألف نسخة يوميا.

وكانت "التريبيون" فى أسلوبها غير عادية، وصفحاتها تحتوى على المحاضرات الأدبية والعلمية والاقتباسات من أحدث الكتب الانجليزية فضلا عن القصائد الشعرية. كما خصصت منذ سنة ١٨٥٦ نهراً لنقد الكتب وتحليلها، وكان هذا أمرا جديدا على الصحافة اليومية فى أمريكا، بل كان جديدا على كثير من صحافة دول العالم المتحضر، إذ لم يعرف فى صحيفة أخرى أنها تؤثر النقد الأدبى بنهر يومى مدى ثلاثين عاما دون أن يفوتها ذلك يوما من الأيام كما صنعت "النيويورك تريبيون".

وقد ترفعت صحيفة "التريبيون" عن المساهمة فى الفصول والابواب التى كانت تطرقها صحف البنس، صحيفة الأمر الذى جعلها صحيفة الخاصة والعقلاء، وقد أذاعت على قرائها أنها لا تسيغ التحقيقات الصحفية التى تكشف عن مخازى المجتمع وتفضح المواطنين، وتعلن عن الحياة المشينة لبعضهم، وأنها لن تنشر

إعلانا إلا إذا كان متجاوبا مع سياسة الجريدة حتى لا تـزرى بصفحاتها كما يفعل غيرها من صحف البنس الكبيرة. يقول د. ابراهيم عبده "ولم ينعقد إجماع مؤرخى الصحافة على رأى حسن فى جريدة مثلما انعقد اجماعهم على تقدير التريبيون وصاحبها جريلى، فهى عند أحد المؤرخين "فى الصف الأول من أجهزة الرأى العام فى مهاجمة العبودية، وكانت كأحد قادة البلاد العظام، وكان الدور الذى قامت به فى هذا الشأن حتى صدر إعلان تحرير العبيد كأعظم دور لعبه سياسى بعد لنكولن". ولم يكن "جريلى" وحده فى مثاليته أو فى مبادئه الخلقية، فى العصر البركليسى؛ وإنما حفلت صحافة الرأى فى هذا العصر بأسماء مثل "هنرى ريموند" Henry J. Raymond الذى كان صحفيا بالطبع والسليقة؛ وكان قد عمل فى "التريبيون" فترة من الزمان حاز فيها إعجاب محررها وتقديره، ثم مضى يعمل فى صحف أخرى كألمع ما يكون الصحفى فى العصر البركليسى.

أصدر "ريموند" العدد الأول من جريدة "النيويورك ديلى تايمز" New-York Daily Times أو "نيويورك تايمز" كما عرفت بذلك بعد سنوات؛ وكان "هنرى ريموند" يرى أن للصحافة رسالة اجتماعية؛ ومن ثم أوجب على صحيفته أن تتمسك بالخلق القويم. لذلك لم يعرف عن صحيفة "التايمز" أنها لجأت إلى الاسفاف أو الهبوط بمستوى أسلوبها فى كلمة نابية أو بحث خارج أو موضوع مثير، بالرغم من شهرتها فى الجدل، ومساهمتها بالحملات الصحفية الناجحة فى كثير من الشئون[1]".

وحرصت صحف تلك الأيام على أن تخصص صفحة معينة لافتتاحياتها، وكانت الافتتاحية تستغرق فى الغالب من نهر إلى أربعة أنهر، يسبقها عمود للأخبار الهامة، وتضم بقية أعمدة الصفحة ـ مثلا ـ رسالة من واشنطن أو نقدا أوتحليلا للكتب الحديثة وغير ذلك، وكانت "افتتاحية" التريبيون نموذجا لافتتاحيات صحف تلك الفترة، وكان "جريلى" يخصص لصفحة الافتتاحية أحسن كتاب الجريدة.

---

(١) د. إبراهيم عبده : ص ١١٩.

في مقابل هذه الصورة الأمريكية لازدهار المقال في العصر "البركليسي" نلتقي بصورة مماثلة من صورة الازدهار في الصحافة العربية حيث يظهرنا تاريخ الصحافة المصرية على أن طبيعة المقال تستلزم بيئة مناسبة للنمو والازدهار. ويظهرنا التطور المقالي على أن البيئة الأولى التي ولد فيها المقال على أيدي رفاعة الطهطاوي وعبد اللّه أبو السعود وميخائيل عبد السيد، وغيرهم، كان قصاراها أن حاولت إنشاء ما يسمى بـ "**المقال الصحفي**". ذلك أنها مقيدة في هذه المحاولة بقيود كثيرة[1] كان معظمها نتيجة للظروف السياسية الاجتماعية والفكرية التي اكتنفت رجال "تلك البيئة وفرضت على المقال الناشئ صبغة "علمية أدبية، أكثر منها سياسية واجتماعية" من حيث الموضوع. أما من حيث الأسلوب فقد كان كتّاب البيئة الأولى مقيدين كذلك بقيود تقليدية من الماضي القريب، أورثت لغة المقال لوناً باهتا من ألوان النثر العربي لم يكن خليقا أن يُحتذى، ولا كان جديرا بأن يُنسج على منواله".. ولكن البيئة الصحفية الثانية لم تلبث أن سئمت هذا اللون الباهت، فنعم فيها المقال بقسط من الحرية في الموضوع ومن الحرية في الأسلوب، نتيجة اتجاهها إلى لون آخر من ألوان الجهاد القومي، فاتجهت إلى الإصلاح الاجتماعي والسياسي واللغوي. على أن المقال الصحفي في هذه البيئة لم يبرأ من عيوب المقال في البيئة الأولى، حيث لم يستطع كتابه أن يترسموا في أذهانهم صورة صحيحة للمقال الصحفي كما يفهم من هذه الكلمة عند إطلاقها اليوم. وإن كان هؤلاء الكتاب قد مهدوا لإدراك الفرق بين لغة الأدب ولغة الصحف عند كتاب البيئة الصحفية الثالثة التي ترتبط بظهور الصحافة اليومية.

وهي البيئة التي ولد فيها المقال الصحفي على يد **السيد علي يوسف** صاحب "المؤيد" **ولطفي السيد في "الجريدة" ومصطفى كامل في "اللواء" وفريد** وجدي في "الدستور". وكانت هذه البيئة مناسبة لنمو المقال الصحفي وازدهاره، لما اتصفت به من مقاومة للاحتلال البريطاني، ونشاط العقول والأقلام في هذه المقاومة، فامتاز بالجدّة في الأسلوب السياسي كما امتاز بالجدة في التفكير السياسي"[2]. وفي هذه

---

(١) د. عبد اللطيف حمزة: ادب المقالة جـ ١.

(٢) د. عبد اللطيف حمزة: ادب المقالة جـ ٢ ص ١٢٢,٤.

البيئة الثالثة وجد الشبان من المجدّدين أساتذة لهم مهدوا للمفهوم المقالىّ الجديد، ووضعوا الثقافة العربية على بداية مرحلة عنيفة من صراع الأضداد، وذهب أبناء هذه المدرسة إلى تنمية الاتجاه العقلانى الذى أرساه الجيل السابق من كتاب البيئة الصحفية الثالثة[1].

نخلص مما تقدم إلى أن البيئة الصحفية الثالثة هى التى وضعت المقال الصحفى على بداية مرحلة جديدة من لقاء الأصالة والمعاصرة، حيث تمثلت التيارين: **القديم** برافديه: المصرى والعربى، **والحديث**: الوافد من الغرب.. ولعل صفة البقاء والاستمرار التى عرفها المؤرخون عن تطور التاريخ فى مصر والتى نسبها **"أرنولد توينبى"** إلى اقترانها بعملية **"التغيير والتجديد"**، هى فى الحقيقة أكثر اقترانا بعناصر الأصالة وعناصر التجديد؛ من خلال **وحدة الشعور** التى وسمت البيئة المصرية بالبقاء والاستمرار. ولعل استقراء **"لوبون"** للحضارة المصرية جاء أصدق استقراء لحقيقة القوى الواقعة فى البيئة المصرية، إذ يرى **"مصر الفرعونية حية فى مصر العربية باقية فى مصرنا الحاضرة"**. وفى ذلك ما يبين عمق العوامل النفسية التى وجهت المقال المصرى الحديث، حيث برهنت مصر طوال تاريخها على قدرة فذّة على الاستجابة. وهذا هو "السر فى بقائها واستمرارها وتجدّدها. إلا أنها فى استجابتها، شأنها فى ذلك شأن الأمم العريقة، لا تخلو من حوافز المقاومة المرنة، حتى لتضفى على الاستجابة، تلك الحيوية التى تتمثل الجديد وتصهره فى قديمها ليكون النتاج **"قوة جديدة تدفع بها إلى الأمام"**[2]. ولعل فى ذلك ما يفسر الصراع بين القديم والجديد، بين التقليديين والتجديديين فى عصر النهضة الصحفية، كلون من ألوان المقاومة المرتبطة بالاستجابة للجديد، الأمر الذى أكسب المقال والفنون الأخرى، قوة بقيت على الأيام.

---

(١) د. عبد العزيز شرف: عصر العقاد؛ مؤسسة مختار.

(٢) د. حسين فوزى النجار: لطفى السيد والشخصية المصرية ص ٥٢، ٥٣.

وكذلك يرى الدارسون أن من أسباب ظهور فن المقال الصحفي في مصر، ملاءمة البيئة الفكرية والثقافية والسياسية والاجتماعية لطبيعة فن المقال نفسه، وهي البيئة التي شهدت ظهور الرأي العام المصري وتكوّنه من خلال الصحافة والتعليم، والرغبة في التغيير السياسي والاجتماعي. تلك هي العوامل التي هيأت لظهور فن المقال الصحفي لأنه بطبيعته "فن حضاري يزهر في بيئة الفكر والعلم والنهضة والتفكير"[1]. كما ازدهرت الخطابة في العصر البركليسي القديم، وكما رأينا في تمثل النهضة الصحفية لهذا العصر؛ في الغرب والشرق؛ إذ كانت الخطابة السياسية مصدراً عظيماً لاطلاع الرأي العام على ما يعرض للدولة من شئون؛ وعلى وجهات النظر المختلفة في الموضوعات التي تثار.

واستمرت هذه الوظيفة طريق صحافة الرأي التي حوّلت وسيلتها من كلمة منطوقة إلى كلمة مطبوعة؛ وشهدت صحافة الرأي فرسانا من فرسان المقال؛ نستقرئ إبداعهم؛ في محاولة لدراسة الأسس الفنية للمقال الصحفي؛ وأشكاله وأساليبه. من أجل هذا نقدم هذا الكتاب ليتمم عمل سابقه: أدب المقالة [2]" كما يتمّ ودراساتنا في هذا الفن الأدبي؛ [3] في مواضع أخرى. ونسأل الله العون والتوفيق؛ فجلّ من لا يخطيء تحيزاً أو قصورا في عالم البشر.

عبد العزيز شرف.

---

(١) د. ابراهيم إمام: دراسات في الفن الصحفي، ص ١٥٧.

(٢) د. عبد العزيز شرف: أدب المقالة؛ بسلسلة أدبيات بالونجمان.

(٣) انظر للمؤلف: فن المقال الصحفي في أدب طه حسين، هيئة الكتاب، فن المقال الصحفي في أدب محمد حسين هيكل، هيئة الكتاب، والجزء التاسع من سلسلة أدب المقالة الصحفية في مصر بالاشتراك مع أستاذنا د. عبد اللطيف حمزة رحمة الله.

الفصل الأول

أدب المقالة

وفن المقال الصحفى

وجد هذا الفن القولى: "المقالة Essai : Essay" ليدل على صورة من صور الأدب المنثور، وهى صورة تتغيّا الإخبار، أو التفسير، فى إطار المفهوم الفنى، الذى يشمل الجانب الجمالى بطبيعة الحال. ويذهب النقاد الانجليز إلى أن المقالة قد ولدت مع "فرانسيس بيكون" Francais Bacon الذى عاش بين ١٥٦١ و١٦٢٦م. ولكنها خلال القرون الثلاثة بعد وفاته مرت بمراحل طورتها، وجبهت ما باعدعنها كثيرا من عناصرها التى عرفتها عند نشأتها. وبقيت بعض صفاتها التى توجب أن تكون نثرا لا شعرا، بغض النظر عن المجموعة الشعرية التى كتبها الشاعر الإنجليزى بوب Pope وعنوانها، "مقالة فى الإنسان" Essay On Man إذ أن هذا الاستثناء لا يؤثر على الصفة الأصلية التى تربط بين **"المقال"** و **"القول"** و **"فن النثر"**.

ويرى القارئ فى كتابنا عن :أدب المقالة " [1] أن "فن المقال" قد عرفه العرب تحت مسميات شتّى منها: **الرسائل والمقامات والفصول**، قبل ظهور مقالات **"بيكون"** الإنجليزى، بل وقبل ظهور مقالات سابقه فى الأدب الفرنسى **"مونتانى"** إمام هذا الفن غير مدافع بين الأوربيين، حين ظهر هذا الفن لأول مرة فى فرنسا سنة ١٥٧١ ثم ظهر بعد ذلك ببضع عشرة سنة فى كتابات "فرانسيس بيكون" الحكيم الانجليزى المشهور، ثم أصبحت المقالة منذ ذلك الحين فنا إنجليزيا شائعا بين قراء الإنجليزية مع سبق الفرنسيين إليه.

وقد سمى "مونتانى" مقالاته **"بالمحاولات"** "Essais" كأنه يعتذر من ترسله فيها بغير تقيُّد بموضوع واحد أو تعمّق فى التفكير، وكانت **"المحاولة"** فى اصطلاح

---

(١) فى سلسلة "أدبيات" مؤسسة لونجمان

الفنانين هى: معالجة صنع التمثال من مادة رخوة كالشمع وما إليه قبل صبّه فى قوالب النحاس أو نحته من الرخام، فأراد "مونتانى" بمقالاته أن تكون "محاولات" "رخوة" من هذا القبيل، وقصرها على الأحاديث المستخفة والتجارب الشخصية التى يتناجى بها الإخوان فى ساعات السمر وتزجية الفراغ".

فلّما تناول "بيكون" الكتابة المقالية أقل فيها من الناحية الشخصية وزاد فيها من الناحية الدراسية فأصبحت مقالاته أقرب إلى التركيز والإدماج منها إلى التبسُّط والفكاهة، ولقيت مع ذلك رواجاً أى رواج.

ولذلك يضاف إلى شرط "النثر" فى لغة المقالة؛ شرط آخر هو شرط التركيز والإيجاز، الذى لا يدعو إلى الخروج على المألوف كما فى مقالات "بيكون" التى كتبها أوائل حياته، وألاّ تكون ممعنة فى الطول شأن البحوث المسهبة، فليس المقال "بحثا علميا، أوفصلا من فصول كتاب أدبى أو علمى ولا قصة ولا محاضرة من المحاضرات المنظمة ولا دراسة مرتبة ترتيبا منطقيا، وإنما المقال فكرة يتلقفها الكاتب من البيئة المحيطة به، ويتأثر بها وفى هذا الجو الوجدانى يعبر الكاتب عن الفكرة بطريقة ما، حظُّها من النظام قليل، وحاجتها إلى الترتيب والتمحيص والتدقيق أقل، ذلك أن الكاتب لا يقصد إلى التعبير بالمنطق الشكلى الجامد، وإنما بالمنطق النفسى الإنسانى. فالمقال حديث بوشك أن يكون عاديا، يعرض الكاتب فيه على قرائه فكرة أو اتجاها، كما يعرض لموضوع من الموضوعات التى يُزجى بها وقت الفراغ مع بعض الجلساء[1]."

ويذهب العقاد إلى أن "المقالة" ينبغى أن تكون مشروع كتاب فى موضوعها لمن يتسع وقته للإجمال ولا يتسع للتفصيل، فكل مقالة فى موضوع ما؛ هى كتاب صغير يشتمل على النواة التى تنبت منها الشجرة لمن شاء الانتظار".

وكلمة Essais التى أطلقها "مونتانى" على كتابه؛ معناها: "محاولات" أو "تجارب" ـ كما تقدم ـ وكأنه كان يحس أنه يكتب فنا جديدا من فنون الأدب

(١) د. إبراهيم إمام: السابق، ص ١٨٠.

على سبيل المحاولة أو "**التجربة**"، وانتقلت هذه الكلمة إلى الانجليزية وشاع استعمالها بمعنى **المقالة الأدبية**، كذلك استخدم بعض الكتاب كلمة Essay بمعنى بحث أورسالة علمية. ولكن هذه الاستعمالات، كما تقدم، لا تتفق وطبيعة هذا الفن الأدبى، ولذلك استقر الاصطلاح على أن تكون كلمة Essay **مقصورة على القطعة من النثر الأدبى تعالج موضوعا خاصا بالكتاب، مما مارسه أو خطر له، أو توهّمه أو ابتدعه. أى أن العنصر الشخصى ركن أساسى من أركانها، يمثل الصفة الثالثة من صفات هذا الفن الأدبى**، كم فعل "مونتانى" تماما. إذ قسم كتابه على فصول، كل واحد منها مستقل بنفسه، يعالج موضوعا مستقلا. جلّ موضوعاته دراسات لتجاربه وآرائه وخواطر نفسه وأسلوب معيشته.

وبتتابع الكُتّاب، تطوّر فنّ المقالة فأصبحت تعالج أى موضوع ينبعث من نفسية الكاتب ومن تجاربه فى الحياة، أو من إحساسه ومشاعره.. ومعنى هذا أن الموضوع قد اتسعت حدوده وآفاقه إلى أبعد مدى.

ويوضح لنا د. محمد عوض محمد كيف وجد الكثير من الكتاب أن أدب "المقالة"، أداة نافعة للتعبير عن نزعاتهم الخاصة، فانصرفوا بمقالاتهم إلى وجهات متعددة: منهم من اتجه وجهة **الوعظ والإرشاد** والتحدث عن الأدب والأخلاق: وهؤلاء الكتاب الذين يسمون: الأخلاقيين Moralistes منهم "**بيكون**"، ومنهم **كاتب الأمثال** : "**لارشفوكو**" La Rochefoucauld و"**لابروبير**" La Bruyeer مؤلف كتاب "الأخلاق".

ومن الاتجاهات الهامة للمقالة: وجهة **النقد الأدبى**، فعلى الرغم من أن "النقد الأدبى" فرع مستقل من فروع الأدب. فقد ظهر أدباء استخدموا المقالة كأداة للتحدث عن أديب أو كاتب بعينه، وأنتجوا فى ذلك مقالات أدبية رائعة، ومن أشهر هؤلاء "سانت بيف" Sainte Beuve الفرنسى، "وماكولى" الانجليزى.

وبعض النقاد يفضلون أن يضعوا الأخلاقيين مع الكتاب من ذوى النزعة الفلسفية، وأن يضعوا النقاد فى فرع النقد، ولا يرضون أن يحشروهم فى زمرة الكتاب للمقالة الأدبية، فلا يدخل فى باب المقالة الأدبية فى نظرهم سوى القطع من

النثر المبتكر فى موضوع مبتكر، يعبّر عن إحساس الكاتب نحو ذلك الموضوع: فالعنصر الشخصى كبير الخطر فى مثل هذا التأليف.

يذكر قاموس: Littre؛ فى تعريف كلمة مقال Essai أنه: تأليف يعالج فيه الكاتب موضوعا دون أن يزعم أنه سيُدْلى فيه برأى قاطع. وفى دائرة المعارف البريطانية فى تعريف المقالة الأدبية، تحت كلمة Essay نقرأ: "**المقالة الأدبية عبارة عن قطعة مؤلفة متوسطة الطول، وتكون عادة منثورة فى أسلوب يمتاز بالسهولة والاستقرار، وتعالج موضوعا من الموضوعات، ولكنها تعالجه ـ على وجه الخصوص ـ من ناحية تأثر الكاتب به**". ويرى الأستاذ "سوارس" فى كتابه "مقدمة لدراسة الأدب"، أن المقالات قسمان:

الأول: قطع إنشائية فى موضوع من موضوعات العلم أو الفلسفة أو التاريخ أو النقد وغرضها الأول عرض طائفة من "المعلومات"، ومثل هذه المقالات قابلة لأن تكبر حتى تصبح "بحوثا".

الثانى: عبارة عن **قطع قصيرة**، فى أسلوب استطرادى، تشتمل على وجهة نظر الكاتب، فى محاولة منه أن يسجل الآراء التى يثيرها الموضوع فى فكره. والموضوعات لا تقع تحت حصر، ولكنها يجب أن تصطبغ بانفعالات المؤلف وشخصيته. ولعل مقالات "تشارلس لامب" المسماة مقالات إيليا Essays Of Elia خير مثال لهذا النمط من المقالات. والمقالات التى من هذا النوع لا يمكن أن تكبر لتصبح بحوثا. إنها قطع كاملة بنفسها.

ويقول هيروووكر: "**إن المقالة الأدبية" تشبه القصيدة من الشعر الغنائى Lyric بأنها مبنية حول خاطر من الخواطر. لا يكاد الخاطر أن يتكون ويملك لبّ الكاتب أو حتى تتكون حوله المقالة من أولها لآخرها، كما تتكون كرة الحرير** حول دودة القز.

ويذكر الكاتب آرثربنسن Artur Christopher Benson يذكر لنا قصة طريفة تروى أن أحد النقاشين قد تخصص فى نقش اللوحات واللافتات على الدكاكين والمطاعم ونحو ذلك، وكان يمارس حرفته وهو يتجول من مكان إلى آخر، حتى أوصله السير يوما إلى قرية بها فندق صغير أو خان، يعرفه منذ زمن، وقد راقب لوحته فى الأشهر الماضية، وقد أخذت تتلاشى خطوطها ومعالمها، وكان يُمنىّ النفس بالفرصة التى تسنح له قريبا، لكى ينقشها من جديد نقشا فنيا بديعا. ولكنه لم يكد يراها حتى أحس باشمئزاز شديد إذ رآها قد أعيد نقشها حديثا، وقد وقف صاحب الخان لدى الباب، كأنه ينتظر منه أن يمدح إنتاجه الفنى، فقال له النقاش: "**يبدو أن هذا صنع شخص قام به لنفسه**".

هذه الجملة تحمل مفتاح السر فى كتابة المقالة، إذ **المقالة الأدبية شئ يصنعه الكاتب بنفسه**. والعبرة ليست بالموضوع - لأن أى موضوع يفى بالغرض - بل العبرة بسحر الشخصية: إن المقالة قد تدور حول شئ مما أبصره المؤلف أو سمعه أو تصوره أو اخترعه أو توهّمه. ولكن المهم أن يكون قد ترك فى نفس الكاتب أثرا خاصا، تكونت فى ذهنه منه صورة خاصة. ويتوقف جمال المقالة على جمال الفكر الذى تصوّر، ثم تسجيل ما تصوّر. ويبدو من هذا أنه ليس من المستلزمات أن تعنى المقالة بشئ محدود، وليس من الضرورى أن تتجه وجهة فلسفية أو دينية أوفكاهية، وإن كانت هذه الإتجاهات ليست مستبعدة. وإنما العبرة بأن يحس الكاتب إحساسا قويا بموضوعه، وأن يعبر عنه بعبارة قوية رائعة" [1].

ثم ينتقل إلى الحديث عن نشأة المقالة. فيقول: "من المفروض عند الكثيرين أن "**مونتانى**" أول كاتب ألّف ما نسميه **مقالات**، بالاصطلاح الفنى، وكانت القطع التى ألفها، إما تتناول موضوعات من حياته أو من تأملاته؛ ولها نزعة أدبية أوخلقية فى كثير من الأحيان.. ولكن أصول هذا الفن ترجع إلى عصر قديم فى تاريخه الأدبى. وقد كان بلا شك مديناً "**لشيشرون**"، الذى كان يعالج موضوعات

---

(١) د. محمد عوض محمد: السابق ص ٦٠.

مجردة، بأسلوب سهل وخيال هادئ، و"**شيشرون**" نفسه كان مدينا "**لأفلاطون**" الذى اشتملت **محاوراته** على البذور. التى تولدت منها المقالة والرواية، فقد استطاع أن يجعل من الحياة مسرحا، ويملأه بشخصيات ممتلئة ذكاء وحيوية، وكان يعرض الموضوعات عرضا أقرب إلى شئون الحياة عامة؛ منه إلى الفلسفة. ومن الممكن أن تعد محاورات أفلاطون، بمثابة مقالات، لولا لونها المسرحى، وما يستتبع ذلك من الحوار والأخذ والردّ. بينما المقالة هى "**نطق المتحدث لنفسه**".

ثم يخلص إلى أن المقالة تعبير عن إحساس شخصى، أو أثر فى النفس، أحدثه شئ غريب أو جميل، أو مثير للاهتمام، أو شائق أو يبعث الفكاهة والتسلية. وهكذا تكون المقالة قريبة الصلة بالقصيدة من الشعر الغنائى. ولكنها تمتاز بما يتيحه النثر من الحرية، وباتساع الأفق، وبمقدرتها على أن تتناول جوانب يتحاماها الشعر مثل الفكاهة. فالفكاهة لا تليق بالفن الشعرى، لأن الشعر يتطلب نزعات قدسية جدّية.

ومع أن الكاتب هنا يتناسى فن الهجاء والسخرية فى الشعر فإنه على حق فى اعتبار أن المجال لمعالجة الموضوعات معالجة فكاهية أوسع بكثير فى المقالة الأدبية منه فى القصيدة الغنائية.

وإذا كان المقال الأدبى أسبق من المقال الصحفى لارتباطه بوسيلة الاتصال التى جعلته وليدا لنهضة "الكتاب" كوسيلة للاتصال سائدة فى عصره، فإن هذا الأمر جعل المقال الأدبى يكتسب من هذه الوسيلة خصائص أدبية، دفعت بمريديه إلى أن ينظروا إليه كأثر أدبى يناظر القصيدة الغنائية، بعيدا عن "الإخبار الحرْفى الصادق"، واكتشاف الأخطاء من بين الحسنات، "حيث كل شئ يجب أن يكون لصالحنا ومنفعتنا أبد الدهر أكثر مما يسوقه عدد مارس من المجلة الشهرية" أونصف الشهرية، على حد تعبير "فرجينيا وولف" VIRGINIA WOOLF، وهى تريد بذلك أن الفائدة التى تعود علينا من قراءة المقال يجب أن تكون دائمة وليست فائدة وقتية. فالمقال الأدبى، لا يختص بفترة من الزمن كموضوعات المجلة نصف

الشهرية التى تهتم بالأحداث تدور وتقع خلال فترة ظهورها وما تلبث أن وتختفى تلك الأحداث وتصبح غير ذات موضوع وتحتجب وراء ما يجدّ من حوادث وأخبار تالية.

فلا مجال فى المقال الأدبى للأدب الفاضح، وبطريقة أو بأخرى، وبقوة الجهد أو بسخاء الطبيعة، أو بهما ممتزجين، يجب على المقال الأدبى أن يكون خالصا نقيا كالماء القراح، وفى الوقت نفسه يظلّ بعيدا عن السخف والموات ورواسب الغريب من الأمور.

على **أن التمييز بين المقال الأدبي والمقال الصحفى تأسيسا على الموضوع لا يكفى لتحديد ماهية كل فن منهما**، إذ المعانى كما قال الجاحظ قديما: على قارعة الطريق. إن قيمة البيان فى رأى الجاحظ ـ إنما ترجع إلى إقامة الوزن وتمييز اللفظ وسهولة المخرج، وإلى صحة الطبع، وجودة السبك، لأن الأدب أو الشعر صناعة وضرب من الصبغ وجنس من التصوير، أما المعانى فإنها فى نظره ـ مطروحة فى الطريق، يعرفها العربى والعجمى، والبدوى والقروى.

وهذا الرأى يدلّ على مذهب من المذاهب، كان الجاحظ أول من نادى به فى نقد الأدب العربى، وهو مذهب الصناعة، والافتتان فى الصياغة، نستند إليه اليوم فى التمييز بين المقال الأدبى والمقال الصحفى. فالنظرة إلى المقال الأدبى تأسيسا على هذا الفهم ينبغى أن تتوجه إلى مقدار ما حوى من آثار الصنعة من جودة التشبيه وحسن الاستعارة وابتكار الصورة التى يتميز صاحبها على غيره من الأدباء بمقدار ما تأنّق فيها، وبمقدار ما غالى فى إبراز الفكرة على هيئة تُغاير ما عرف الناس.

فى حين **يغدو المقال الصحفى مقالاً وظيفيا، ويختلف عن فن المقال الأدبى اختلافا جوهريا، من حيث الوظيفة والأسلوب** "فمن الثابت أن المقال الأدبى يهدف إلى أغراض جمالية، ويتوخى درجة عالية من جمال التعبير، كما يتوخاها الأديب الذى يرى الجمال غاية فى ذاته؛ وغرضاً يسعى إلى تحقيقه"[1] وهو بذلك يوظّف

---

(١) د. ابراهيم امام: السابق، ص ١٨٢.

الصنعة فى إطار ما يشاع عن خلود الأدب، وفى سهولة روايته، وقراءته فى أى زمان ومكان، ولا يعنى ذلك أنه يفضل المعانى، ولكنه يقوم على أساس من الفهم البلاغى لعلاقة اللفظ بالمعنى، فإذا اكتسى المعنى لفظاً حسنا، وأعاره البليغ مخرجا سهلا، ومنحه الكاتب دلالة، صار فى قلبك أحلى ـ كما يقول الجاحظ ـ فالمعانى إذا كُسيت الألفاظ الكريمة، وأكسبت الأوصاف الرفيعة، تحولت فى العيون على مقادير صورها، وأربَت على حقائق أقدارها، بقدر ما زينت وحسب ما زخرفت، فقد صارت الألفاظ فى معانى المعارض، وصارت المعانى فى معنى الجوارى[١].

أما المقال الصحفى فإنه يهدف أساسا إلى التعبير عن أمور اجتماعية وأفكار عملية، بُغية نقدها أو تحبيذها. وهو على كل حال يرمى إلى التعبير الواضح عن فكرة بعينها. وكأن الوظيفة الاجتماعية الفكرية فى المقال الصحفى تتقدم على أية ناحية أخرى، كالمتعة الفنية[٢] مثلا.

فإذا كان المقال الأدبى يتناول أحيانا موضوعات اجتماعية أو سياسية، فإنه متأثر فى ذلك بالمقال الصحفى. على أن هذه الموضوعات فى المقال الأدبى لا تخرج عن كونها نقطة "للارتكاز"، ينفذ منها الكاتب نحو هدفه الأسمى، وهو التأثير الجمالى. والمقال الصحفى قد يكون جميلا ـ وهنا أيضا يبدو تأثره بالمقال الأدبى واضحا ـ إلا أن هدفه الأول ليس جماليا خالصا، وإنما هو بالدرجة الأولى اجتماعىٌ فكرىٌ".

إن ما ذكرناه عن الوظيفية فى المقال، يصدق على الأسلوب، فالذى يحدّد أسلوب الفن الأدبى مقالا صحفيا أو أدبيا عناصر ثلاثة: **استخدام الفن المقالى لألفاظ معينة تميّزه عن سواه من فنون المقال، ثم اتّباعه لطريقة معينة خاصة به فى ترتيب هذه الألفاظ، ثم معالجة موضوعاته على نحو ينفرد به.** وهذا العنصر الثالث من العناصر المكوّنة للأسلوب، إنّما هو فى الحقيقة نتيجة تتفرع عن

---

(١) البيان والتبيين: جـ ١ / ٢٤.

(٢) د. إبراهيم إمام: السابق، ص ٢٩٤.

العنصرين الأولين، فيستطيع الكاتب المقالى مثلا أن يعالج موضوعه بطريقة تقنع العقل بمنطقها، إذا هو استخدم ألفاظه ورتّبها فى الجُمَل على النحو الذى يحدث صداه فى العقل لا فى القلب، كما يستطيع الكاتب المقالى أن يزيد فى إنشائه من الألفاظ المشحونة بالعاطفة ويرتبها ترتيبا من شأنه أن يحّرك الشعور، فيتغير أسلوبه جملة واحدة، ويصبح أسلوبا عاطفيا، وكأنّ الفرق بين أسلوب وأسلوب هو فى الألفاظ المختارة وفى الطريقة التى تُساق بها هذه الألفاظ. وهذا صحيح فى المقال الصحفي، والمقال العلمى .. والفرق بين فن مقاليّ وآخر إنّما يقوم على هذا الأساس.

وللمقالة أنواع كثيرة تبعا لمادتها وأسلوبها، أهمها: **المقالة التقليدية** أو الرسمية، والمقالة غير التقليدية : الذاتية أو الحرة: Formal and informal Essay وليس من السهل "وضع مميزات خاصة لكل منهما تميز الواحدة عن الأخرى. على أن المقالة غير التقليدية تكون بسيطة سهلة المادة فيها شئ من التنويع بين الهزل والجد والاستطراد" [(١)].

وقد اصطلح على المقالات التى تتعلق بالتجارب الشخصية وتعتمد على نفسية كاتب المقالة اسم المقالة "الشخصية Personal"، وهى تمثل طريقة أسلوب السيرة الشخصية فى الأدب الاعترافى.

وقد تستعمل صفات أخرى للتمييز بين المقالات، فيقال مقالة اجتماعية أو نقدية أو خلقية.

وقد كان للمقالات الخلقية التى كتبها أديسون Addison وستيل Steele فى مجلتيهما الاسبوعيتين Tatler (١٧٠٩ - ١٧١١) و Spectator (١٧١١-١٧١٢) أثر كبير فى النقد الأدبى، فصارت نموذجا للمقالة النقدية البسيطة، وتهيأ لها أن تنتعش انتعاشا كبيرا فى عصر **"جونسون"** و **"جولد سميث"**. وكان للحركة الرومانسية أواخر القرن الثامن عشر أثر كبير فى إنعاش "المقالات الشخصية"

---

(١) د. ناصر الحانى: المصطلح فى الأدب الغربى، ص ١٥٣.

التى ظهر منها فى هذه الفترة سيل فن الكتاب مشاهير أمثال "تشارلس لامب" (١٧٧٥-١٨٣٤) "ووليم هازليت" (١٧٧٨-١٨٣٤). وكان لنشأة الصحافة أثر كبير فى استقرار المقالة فى مكانها الذى لا يُغنى عنه نوعٌ آخر من أنواع الكتابة الوجيزة، بعد أن كانت محاولة مترددة بين القبول والإهمال.

أمّا موضوعات المقالات فقد تنوّعت على حسب الصحف والمجلات، فما كان منها للتسلية والقراءة العامة، نراها تلتزم طريقة مونتانى وتابعيه، وما كان منها للدرس والقراءة الخاصة، فقد غلبت عليه صبغة الجدّ والإتقان. وقيل فى تعريف النمط الأول إنه أشبه شئ بحديث شخصى تفاجئه على غير انتظار. فهو مزاج من التفتح والحيطة العارضة على مسمع من المترقبين المتطلعين. وقيل فى تعريف النمط الآخر إنه درس يلاحظ فيه تلخيص المطولات وتقريب المتفرقات، وقد يبلغ الغاية من التركيز والإدماج"[1].

المقال الصحفى:

ويقتضينا السياق المنطقى أن نناقش مفهوم المقال الصحفى على النحو الذى أدت إليه المؤثرات الثقافية الغربية فى الحياة العربية؛ لنتبين مكانه من الحضارة الصحفية من جهة، ومكانه فى الأدب العربى الحديث من جهة أخرى، ذلك أن لفظ المقال Essay يدل فى الأصل كما تقدم على "المحاولة" أو "الخبرة" أو "التطبيق المبدئى" أو "التجربة الأولية". وفى هذا المفهوم مشابهات من حيث البيئة التى بلورته على هذا النحو، والبيئة العربية التى عرف فيها المفهوم الصحيح لهذه الكلمة، فالمقال وليد روح التجربة فى عصر النهضة، والعناية بالخبرة الانسانية، والاهتمام برأى الفرد، والايمان بقدرته. وهناك تطابق بين طبيعة فن المقال، وروح عصر النهضة: ذلك أن المقال محاولة لاختبار فكرة من الأفكار، أو لتدبُّر رأى من الآراء، أو لتأملُ اتجاه من الاتجاهات النفسية، والتعبير عنها بأسلوب سلس جذاب[2].

---

(١) العقاد: يسألونك، ص ٦.

(٢) د. ابراهيم إمام: دراسات فى الفن الصحفى، ص ١٨٠.

ولم تلبث الصحافة أن تلقفت فن المقال الأدبي، واستثمرته كقالب جديد تصوغ فيه الأفكار، وتتخذ منه سلاحا ماضيا للنقد والتعقيب، وأداة فعالة للتوجيه والارشاد. وقد يقصد بها **الإخبار أو الإعلام**. كما نجد في مقالات **النقد العرْضيّ، والمقال النقدى** الذى يشبه عند هارنجتون Harrington ومارتن Martin. المقال السياسي؛ حين يتخذ موضوعا يدور حوله الجدل والحوار، حتى لنسميّه.. بالمقال الحوارى.. أو الجدلى، عندما يتساوى الاهتمام بين الحقائق والاستدلالات. وقد تلقفت الصحافة المصرية والعربية هذه الفنون الجديدة للمقال الأدبى، فوجدنا من كتابها المتقدمين: **محمد السباعى** تلميذ "لى هنت Leigh Hunt" فى فن المقالة على أسلوب **المدرسة الانجليزية**، وهو رائد هذا الفن فى التحرير الصحفى، نذكر من مقالاته فى كتاب "الصور" مقالة عن "الدكاكين" وهى على نهج مقالة **"للى هنت"** بعنوان On Shopping وكان **إبراهيم عبد القادر المازنى** يقتدى به فى فن المقالة كذلك. الأمر الذى يجعلنا ننظر إلى مدرسة المقال الأدبى فى عصر النهضة على أنها قد أضافت قوة جديدة إلى فن المقال بمعناه العام فى الصحافة العربية، فتنوعت فنون المقال الأدبى وصار منها على سبيل المثال ـ **المقال الوصفى والعرْضى والمقال النزالى، والمقال النقدى، والمقال الكاريكاتورى، والمقال القصصى..،** وأيت الصحافة إلى تنوع المقال العلمى؛ كذلك؛ باختلاف المادة العلمية التى يخوض فيها الكاتب، وتوجُّه المقال إلى تبسيط العلوم لجمهور القارئين.

أما المقال الصحفى فقد تنوعت موضوعاته وأشكاله، فلم يعد "المقال السياسى هو النوع الوحيد من المقالات الصحفية التى تهتم بها الصحافة. وإذا كان ذلك صحيحا بالنسبة للصحافة القديمة فإنه غير صحيح بالنسبة للصحافة الحديثة التى أصبحت موضوعية فى اهتماماتها؛ فأصبحت مقالاتها، تعنى بالاقتصاد والاجتماع والفن والأدب والرياضة والثقافة جميعا" "ذلك أن المقال الصحفى يشتق موضوعاته من الحياة الواقعية، ويشتق لغته كذلك من نفس تلك الحياة الواقعية، كما أنه يُكتب باللغة التى يفهمها أكبر عدد من أفراد الشعب على اختلاف أذواقهم أو أفهامهم أو بيئتهم أو ثقافتهم. وهذه اللغة هى اللغة القومية فى صورتها العملية

التى تمتاز بالبساطة والوضوح والإيناس واللطف والرشاقة، وتنأى ما أمكن عن صفات التعالى على القراء والتقعّر أو الغرابة في الأسلوب والمبالغة في التعمق الذى لا تقبله طبيعة الصحف بحال ما.

فى مواجهة هذه الوظيفة الاجتماعية العملية اتخذ المقال الصحفى أشكالا جديدة منها: المقال الافتتاحى أو المقال الرئيسى، والعمود الصحفى، ومقالات اليوميات، والتقرير بأشكاله المختلفة، وذهب المقال الصحفى بهذه الفنون يعالج "السياسة والحياة اليومية ويتعرض لبعض شئون الاجتماع، وقليل منه كان يفرغ للأدب الخاص فراغا تاما"[1]، وكان للصحافة المعارضة فضل ظهور فن المقال النزالى على الصعيد الأدبى أولا؛ ثم على الصعيد السياسى فيما بعد.

(١) د. عبد العزيز شرف: فن المقال الصحفى فى أدب طه حسين، القاهرة، هيئة الكتاب.

الفصل الثانى

المقال الصحفى

و"التعادليّة" الوظيفية

تحرير المقال الصحفى حرفة وفنٌ فى وقت واحد. وتعلم الحرفة أمرميسور؛ شأن كل الحرف التى تدرس وتعلم؛ ولكن الفن تكتسب أساسياته فقط؛ ويبقى له مايولد مع الفرد من هبات إلهية.

وتأسيسا على هذا الفهم؛ فإن هذا الكتاب يدرس المقال الصحفى فى إطار الأسس الفنية للتحرير الصحفى[1]؛ بهدف توجيه الكاتب المبتدئ إلى العناصر العملية؛ والأدوات التى تيسر له تعلم أسس تحرير المقال الصحفى. ولا يدعى كتابنا أكثرمن ذلك؛ تاركا التفوق والإجادة لما يتسم به الكاتب من قدرات ومواهب فردية.

والمقال الصحفى كما تقدم عرض لحقيقة ما، وتقديم لرأى ما فى نسق منطقى موجز ممتع يتغيا: الامتاع والمؤانسة، والتوجيه والارشاد؛ والتفسير لأنباء ذات مغزى وأهمية؛ وبأسلوب يوضح أهميتها للقارئ العام.

ذلك أن المقال الصحفى يتناول بالدرجة الأولى؛ الأحداث الجارية ذات الدلالة الكبيرة؛ التى تقتضى الشرح والتفسير، ويتناول أيضا العناوين أو الموضوعات الفكرية والأخلاقية غير المتخصصة، من حيث ارتباطها بالأحداث الحالية.

والمقال الصحفى هنا أشبه بالقصة الخبرية News Story من حيث احتواء كليهما على خبر أو أخبار؛ ومن حيث إن فقرة أو أكثر من فقراتهما؛ يمكن أن تكون مدخلا مناسبا لقصة ما!.. ومع ذلك فإن المقال الصحفى يختلف عن القصة الخبرية؛ من حيث احتوائه على رأى فردى؛ Individual opinion، وإن كان لا يتحيز فى إبداء هذا الرأى.

---

(١) راجع للمؤلف كتاب: الأسس الفنية للتحرير الصحفى ـ دار قباء للطباعة والنشر ١٩٩٨.

والأستاذ هـ. و. بروندج H. W. Brundige الذى عمل محررا بجريدة "لوس انجيلوس تريبيون، الواسعة الانتشار" Los Angeles Tribune؛ يقول: إن المقال الصحفى فى مفهومه الأشمل هو "تفسير للأحداث من منظور مبادئ بعينها؛ أو سياسات معتمدة ومقررة من قبل الجريدة التى تنشرها"(1).

أما الأستاذ "ادوين. ل. شومان" Edwin L Shuman الصحفى بشيكاغو؛ فيرى أن المقالة الصحفية إنما هى فى صميمها "تفسير نقدى Critical interpretation للأحداث الجارية". يقول:

"إن الكاتب الصحفى يتناول أكثر الأحداث والأنباء أهمية؛ ويحاول أن يفلسفها من خلال التناول، بهدف توثيق العُرى بين الحقائق المنفصلة؛ وتوضيح الصلات الوثقى بينها وبين المبادئ العامة. وهو لذلك يحاول تأصيلها تاريخيا، كما يحاول إضفاء أهمية على أحداث قد تبدو ضحلة بلا قيمة أو معنى عند النظر إليها من قريب؛ من خلال ما يسبغه على هذه الأحداث من عمق النظر؛ والاهتمام التحليلى؛ فى البحث عن الأسباب والنتائج وطرق العلاج.. إن صفحة الرأى فى الصحف المعاصرة هى تلك الصفحة التى تخصص لمناقشة الآراء الموازرة والموالية؛ ووجهات النظر المميزة حول القضايا الجدلية؛.. وكلما افتقدت صفحة الرأى The Editorial page إلى هذا العنصر؛ فقدت مبرر وجودها ضمن صفحات الجريدة".

وفى مقابل هذا التعريف؛ يذهب الأستاذ آرثر برسيبان Arthur Brisbane فى اتجاه معاكس؛ إلى أن تحرير المقال الافتتاحى إنما هو "فن القول فى مكان عام؛ وبأسلوب شجاع كما يعرفه كل فرد منذ وقت طويل".

المدرسة "الإخبارية" فى التحرير المقالى:

ومما قدمناه من تعريفات يتضح لنا أن هناك مدرستين متعارضتين تماما؛ يتوزع بينهما كتاب المقال المعاصرون. البعض يذهب إلى أن وظيفة المقال

---

(1) M. Lyle Spencer, Editorial Writing Ethics, policy, Practice, L.,7.

الصحفى إنما تتحقق بمجرد كتابة تقرير عن الـرأى العام؛ دون تدخل مـن الكـاتب ودون توجيه أو إرشاد. ويذهب أصحاب هذه المدرسة إلـى أن صفحـة الـرأى إنمـا هى مجرد مرآة تعكس الآراء العامة؛ وهى لاتحاول أن تقوم بوظيفة قياديـة لـلرأى العام. وأن هذه الصفحة تكون صفحة رأى مثالية إذا ما قدمت لمجتمـع قرائهـا؛ مـا يفكـر فيـه المجتمـع ككـل؛ أو الأمــة بأسـرها. ومعيارهـا يتمثـل فـى المناقشــة discussion والتفسير Interpretation بهدف تنوير العقل الجمعى group mind، وقد يكون الهدف هو الترفيه الخالص Entertainment فحسب.

وهـذه المدرسـة "الإخباريـة" The Reporter school فـى التحريـر المقـالى يتألق بين أصحابها الأستاذ "آرثر بريسبان" الذى اقتبسنا له رأيا؛ يؤيده بقوله:

"وعندما يقال كل شئ؛ فإن المرآة - إنما هى مرآة فى نهاية الأمر - لا تعكس إلا ما يوضع أمامها. وهى قد تنير وقد توضّح؛ وقد تعكس ملامـح التشـابه الماديـة لدى من يقف أمامها، ولكنها تظل هى هى!".

ومهما يكن من أمر؛ فإننا يجب ألاّ نقلّل إطلاقا من شـأن مدرسـة الخبر فـى المقـال الصحفـى؛ ذلـك أنهـا بـالفعل تتمتـع بقـوة تأثيريـة فـى الـرأى العـام وتنويـره بمجريات الأمور.

ذلك أن الوظيفة الإعلامية هى الوظيفة الأساسية للصحافة المعاصرة بطبيعـة الحال. ولكنها كما سنرى - ليست الوظيفة الوحيدة.

ويُقصد بهذه الوظيفة الأساسية التى يتشـيع لهـا أنصـار المدرسـة الإخباريـة؛ إخبار القراء بكل ما يقع من أحداث هامة فـى الداخـل والخـارج؛ فـى شـتى ميـادين الحياة؛ من سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية؛ حتى يكونوا على علـم بمجريـات الأمـور، ويتـابعوا المسـائل العامـة ويتعرفـوا علـى كـل مـا يتعلق بوطنهم والعـالم من حوله.

وربما يستند أصحاب المدرسة الإخبارية فى الفن الصحفى فى مذهبهم؛ إلى على أن الإعلام إنما يتوجه صوب الحقيقة وحدها؛ مجرّدا من الهوى أو الغرض أوالمنفعة الذاتية أو الدوافع السياسية، وهذا صحيح.. ولكن.. ماذا نصنع حين تحجب بعض الصحف ذات الأغراض "الدعائية" أخبارا صحيحة عن وقائع مهمة؟

وماذا نصنع حين تنشر بعض الصحف "الصفراء" أخباراً كاذبة أو ملفقة أو محرفة عن دولة من الدول أو شخصية من الشخصيات أو هيئة من الهيئات الوطنية أو الدولية لأغراض سياسية أو حزبية؟

هنا يتضح دور الوظائف الاتصالية الأخرى للفن الصحفى؛ إذ لابد من القيام بالشرح والتفسير، والتوجيه والإرشاد؛ وهذا جميعا من مهام "الرأى" فى الفن الصحفى؛ الذى يعيش فى مناخ مشوب بالدعاية السياسية فى أغلب الأحيان؛ وبالأهواء التجارية فى كثير من الأحوال. وهذه الظاهرة ـ كما لاحظ الأستاذ الدكتور حسنين عبد القادر رحمه الله ـ توجد حتى فى الظروف العادية التى تظفر فيها الصحافة بحريتها. فما بالنا بالأوقات التى تفرض فيها الرقابة على النشر وتتدخل السلطات الحاكمة فى شئون الصحف فتسمح بنشر هذا وتمنع نشر ذاك؟:

"لاشك أن موضوعية الإعلام تتوقف إلى حد كبير على لون الجريدة وسياستها التحريرية. فصحف الرأى الحزبية تعمد إلى تلوين الأخبار بحيث تبدو متفقة مع لونها السياسى، ومتمشية مع مبادئها السياسية واتجاهاتها الحزبية. وقد تشوه هذه الصحف الحقيقة فى بعض الأحوال أوتطمس معالمها فى البعض الآخر، للتهوين من شأن الأعمال التى قام بها خصومها السياسيون... لكن صحف الرأى المستقلة ليست فى حاجة إلى سلوك هذا المسلك فى الإعلام مادامت غير مقيدة برأى حزب من الأحزاب أو هيئة من الهيئات ولاتربط نفسها بأى منها، أو تعلق مصلحتها على غيرها".

وإذا كانت المدرسة الإخبارية تبحث عن كل ما يثير القراء؛ فإنها تعلم بخبرتها أيضا أنها لا تستطيع أن تعيش بمعزل عن السياسة؛ وعن اتجاهات الرأى العام، ورأى الأغلبية على وجه الخصوص؛ ولذلك فهى لاتغفل الرأى وإنما تناقشه على ضوء الحقائق الملموسة، والأحداث الواقعة؛ فإذا أضفنا إلى ذلك أن الصحافة تعتمد اعتمادا كبيرا فى استقاء الأخبار على وكالات الأنباء؛ العالمى أو المحلى منها فإن هذه الوكالات نفسها تخضع لكثير من التيارات السياسية؛ وتسخر فى الغالب لخدمة أغراض ما[1]". وهنا تبدو المشكلة أكثر تعقيداً أمام المدرسة الإخبارية.

مدرسة "الرأى" فى التحرير المقالى:

والمدرسة الأخرى فى التحرير المقالى؛ هى مدرسة "الرأى" The Opinion School؛ التى يذهب أصحابها إلى أن دور المقال الصحفى لا يقتصر على دور "المرآة العاكسة" لما يدور فى المجتمع؛ بل يجب أن يؤدى هذا المقال دور القائد؛ والمرشد؛ والملهم للرأى العام.

وأن ينظر إلى المقال الصحفى على أن له وظيفة تربوية ملهمة يقوم بأدائها مع نظائره من فنون القول والاتصال والتربية والتنشئة الاجتماعية والسياسية والفكرية.

كما يقوم المقال الصحفى بالتعليق على الأنباء وتفسيرها واستخلاص الدليل منها للدفاع عن قضايا بعينها.. والصراع بين المدرستين؛ يضرب بجذوره فى مدرستَى: **صحافة الخبر؛ وصحافة المقال**؛ وكلاهما لا يغنى عن الآخر؛ إذ أكد التطور الصحفى على ضرورة تحقيق التكامل بين الخبر والمقال فى أداء وظائف الفن الصحفى؛ التى تشتمل على: **الإعلام؛ كما تشتمل على الشرح والتفسير؛ والتوجيه والإرشاد؛ وإشباع حاجات القراء** من ناحية التسويق والإعلان؛ **والإمتاع والمؤانسة؛ والتنشئة الاجتماعية.**

---

(١) د. حسنين عبد القادر: الصحافة كمصدر للتاريخ؛ القاهرة مكتبة الانجلو - ط ٢- ابريل ١٩٦٠ ص ٩.

فإذا كنا قد رأينا عند الحديث عن المدرسة الإخبارية؛ أن مهمة الصحيفة ليست مجرد سرد الأخبار والمعلومات؛ والوقوف عند دور "المرآة العاكسة" التى لا تزيد عن كونها "مرآة" فى نهاية الأمر. ذلك أن بعض الأخبار؛ ولاسيما تلك التى تتدفق من وكالات الأنباء فى العالم؛ وتتعلق بالدول الأجنبية؛ من الضرورى أن تقوم الصحيفة بدور فى شرح هذه الأخبار؛ وتفسيرها؛ ولا سيما بالنسبة للمصطلح الفنى والعلمى؛ أو للواقعة التاريخية؛ أو الوقع الجغرافى.

التفسير.. وظيفة حيوية:

ومما تقدم يتضح أن مهمة "التفسير" وظيفة حيوية من وظائف المقال الصحفى؛ الذى يمثل جزءاً لا يتجزأ فى كيان كل صحيفة، تسعى إلى أن تكون مؤسسة من المؤسسات العاملة فى البناء الاجتماعى. ولذلك أصبحت صفحة "الرأى" من الصفحات التى تخدم قراءها ومجتمعها؛ بعد أن تعقد المجتمع؛ وازدادت تخصصاته؛ وأصبح "معظم ما يجرى فيه غير مفهوم للإنسان العادى، مما يتطلب شرحاً لمغزاه وتفسيراً لطبيعته". ولذلك يذهب د. إبراهيم إمام[1] إلى أن "العمود الفقرى للفن الصحفى الحديث هو عنصر التبسيط والتجسيد والتصوير، من أجل تقديم أعقد المشكلات السياسية والثقافية والاقتصادية باصطلاحات الانسان العادى. ولذلك طور الفن الصحفى لغة المحادثة العادية لكى يعبر عن المفاهيم الحضارية الحديثة، ولكى يضمن مشاركة جميع الناس فى مناقشتها".

ومجرد نشر الأخبار يحمل معه التزاماً ضمنياً بتفسيرها ومساعدة القارئ على أن يدرك معنى الخبر المنشور وقيمته؛ ليتسنى له تكوين آراء صحيحة حول المشكلات الجارية التى تعرض عليه. وفى كثرة الأخبار ذاتها. فى الدوامة الدائرة للدوامات والتيارات العرضية يضيع القراء إذا لم يجدوا من يمد لهم يد المساعدة. شاهد التعتيم الذى يغشى ذهن الناخب العادى عندما يذهب إلى صناديق الانتخاب للتصويت لصالح اثنى عشر أو خسمة عشر مرشحا من بين مئات المرشحين

---

(١) د. إبراهيم إمام: دراسات فى الفن الصحفى، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية ص ٦٣.

لمنصب معين. لقد كانت لديه أخبار عن كل مرشح يظهر اسمه أمامه فى آلة التصويت. إنه يعرف ثلاثة أو اربعة ولكنه تائه فى خضم آخر بالنسبة للآخرين. إنه يحتاج إلى إرشاد عقلية غير مغرضة، مطلعة، قامت باستقصاء فضائل الساعين إلى الحصول على المنصب. وصاحب هذه العقلية هو ـ أو ينبغى أن يكون ـ المحرر الذى يمدهُ بالأخبار عن المرشحين. والأمر كذلك بالنسبة للموضوعات الأخرى الخاصة بالسياسة العامة ومشكلات المجتمع والمناهج الدراسية، ونوادى المدينة والطرق العامة الجديدة والمتنزهات العامة ومئات القضايا الأخرى التى يتحدث عنها الناس والتى تعرض سنويا للنقاش العام والبحث عن الحل الذكى.

التوجيه.. وقيادة الرأى العام:

وإذا كانت مدرسة "الرأى" ترى رسالة الصحافة فى التوجيه والإرشاد؛ فإن هذه الرسالة أيضا لا تنفصل عن الوظائف الأخرى؛ ولكنها تتكامل معها؛ لكى تأخذ الصحافة بيد الجماهير؛ وتنور الرأى العام؛ وتكون دائما فى صف الحق والعدل والخير والسلام؛ وحربا على الظلم والظالمين والفساد والمفسدين.

ولذلك قال د. محمود عزمى رحمه الله: إن الصحافة توجيه "للرأى العام عن طريق نشر الأخبار، والأفكار :(News + Views) الخيرة الناضجة معممة ومنسابة إلى مشاعر القراء خلال صحف دورية".

ويتضمن هذا التعريف: توجيه الرأى العام؛ وإرشاده عن؛ طريق التكامل بين الرأى والخبر؛ فى سياق من "الخيرية" التى تعنى أن يكون فى نشر الرأى والخبر خير الجماعة؛ وما يعود عليها بالنفع المحقق. أما "العمومية" فهى ضمان عدم استغلال كل من" الرأى؛ أو الخبر لخدمة فرد من الأفراد؛ أو بضعة أفراد؛ لأن صالح المجموع هو الهدف الذى ينبغى أن تسعى إليه الصحافة.

التكامل بين المدرستين:

فالتكامل ـ إذاً ـ شرط جوهرى من شروط الصحيفة "المثالية". لأن فى كل مدرسة على حدة جوانب سلبية؛ لا يقضى عليها إلا تحقيق التكامل مع إيجابيات

المدرسة الأخرى. فإذا كنا قد رأينا عند المدرسة الإخبارية؛ كيف يتجه بها التحزب أحيانا إلى تلوين الأخبار؛ فإننا نرى أيضا أن مدرسة "الرأى" للسبب نفسه تصنع نفس الصنيع مع الآراء والأخبار.. وقد تتعصب صحف الرأى لرأيها؛ وتحشد فى سبيله كل ما تملك من أسلحة الدعاية وفنونها وأساليبها. ولذلك تقتضى وظيفة التوجيه والإرشاد فى النسق الوظيفى للفن الصحفى؛ أن تنظر إلى المتلقى نظرة صحيحة. ذلك أن الناس يختلفون فى مداركهم وثقافتهم ومصالحهم؛ وإطارهم الدلالى؛ الأمر الذى يستوجب تعدد الآراء فرديا وجماعيا.

فهناك أنواع كثيرة من الرأى: "كرأى الأغلبية؛ ورأى الأقلية، والرأى الائتلافى؛ والرأى الساحق، والرأى الجامع؛ والرأى العام. بل إن الرأى العام نفسه نميز فيه ثلاثة أقسام على الأقل بنسب متفاوتة، وهى الرأى العام النابه؛ والرأى العام المثقف، والرأى العام المنساق[1].

وليس من صالح الجماعة أن يكون جميع أفرادها على "رأى واحد، لأنه لو حدث ذلك ـ وهو من المستحيلات بطبيعة الحال ـ لأصيبت بالجمود ولانعدم فيها التطور.. وهو قانون من قوانين الحياة.. إذ اختلاف الآراء فى الجماعة دليل على حيويتها ونشاطها. ولكن ينبغى أن يكون هذا الاختلاف فى إطار معقول.. وإلا انقسمت الجماعة على نفسها انقساما ضاراً حينما تكثر أحزابها ويتفتت رأيها إلى الحد الذى يعتبر معه عرضا مرضيا؛ بدلا من أن يكون مظهرا من مظاهر الصحة والقوة والحيوية"[2].

ومن ثم فإن وظيفة التفسير من الوظائف التى تتكامل مع الوظيفة القيادية للمقال الصحفى. يقول الأستاذ "سبنسر":

"القيادة ضرورية أيضا. وليست هناك حاجة إلى قيادة مستبدة مؤكدة فى كل مناسبة وفى جميع المسائل وفى لحظات الهدوء، عندما يسود السلام، يمكن للمحرر

---

(١) د. حسنين عبد القادر: الرأى العام والدعاية ـ الباب الأول.

(٢) نفس المرجع المتقدم.

أن يقنع نفسه بتنمية وتقوية الشعور الذى نشأ حول المسائل العامة بإبلاغ المجتمع برأيه الذى كونه ولم يكتمل أو يجعل عمود المقال الرئيسى انعكاساً لخبر رأى فى المجتمع أو فى البلاد. وفى هذه الأوقات يمكنه أن يرضى بتحقيق المثل العليا للمدرسة الإخبارية ويحمل قراءه على أن يصفوا جرائدهم قائلين: "هذه المقالات رائعة، كثيرا ما فكرت فى هذه الأشياء أنا نفسى."

والواقع أن الافكار فى المقال الصحفى ربما لم تخطر قط على بال القارئ. وربما لا يتكون فى ذهنه إلا نصف صورتها على حافة عقله الواعى. والمقالات الصحفية هى التى أظهرتها. وهى التى تستحق التقدير فى أنها أبرزت الأفكار إلى الوجود فى عقل آخر.

وفى أوقات العاصفة أو الهدوء تغدو هذه الكتابة رائعة، بشرط أن يعرف المجتمع طريقه واتجاه سيره. ولكن تأتى أوقات تحدث فيها اضطرابات سياسية واجتماعية واقتصادية عندما يسود الذعر ولا يكون العقل الجماعى مختلفا كثيرا عن عقلية الغوغاء. وعندئذ تشتد الحاجة إلى قيادة إيجابية مستنيرة للمقال الرئيسى لإرشاد الناس والخروج بهم من الضباب والخطر إلى الأمان، ومن اليأس إلى الأمل ومن الفوضى إلى النظام. وفى هذه الأوقات تتقدم البشرية أقصى تقدم. وعندئذ لا يتوانى الكاتب العظيم.. والمحرر الصادق عن أداء الوظيفة الثانية ـ ألا وهى القيادة والتوجيه. أما فى الأوقات العادية فإنه يمكنه أن يتكاسل ويتراخى مكونا رأيا عاما جليا أو غير واضح، ويفكر مع قرائه أكثر مما يفكر لهم، ويعمل مخبرا صحفيا أومفسرا أكثر مما يعمل دليلا لهم. ولكن فى أوقات الأزمات يجب أن يكون قائدا ومعلماً وواعظا ومرشدا وكل هؤلاء فى واحد، وإذا استلزم الأمر: محاربا وشهيداً".

ويظهرنا تاريخ الصحافة المصرية على نماذج لهؤلاء القادة؛ المعلمين؛ المرشدين؛ المحاربين، والشهداء أيضا. وحسبنا أن نذكر من هؤلاء: السيد عبد الله النديم؛ الذى جند مواهبه فى الكتابة والشعر والخطابة للقضية الوطنية؛ فى مجلاته وصحفه؛ ومنها: التنكيت والتبكيت؛ والطائف؛ والأستاذ.

أما الزعيم الشاب مصطفى كامل؛ فهو الذى أصدر صحيفة اللواء (غرة رمضان ١٣١٧ هـ = ٢ يناير ١٩٠٠)، من أجل:

أولا: الدفاع عن فكرة الجامعة الإسلامية باعتبارها الطريق الوحيد فى نظرها للتخلص من الاحتلال البريطانى.

ثانيا: تنشيط الحركة الوطنية بكل الوسائل والترويج لها بكل الطرق.

ثالثا: تربية الأمة المصرية تربية سياسية بحيث تصبح فى أقرب وقت ممكن أهلاً للاستقلال والحرية.

رابعا: توجيه الرأى العام المصرى أحسن توجيه وأكمله فى ميدان الإصلاح الاجتماعى.

خامسا: الدفاع عن الدين الإسلامى ضد هجمات الاستعمار الأوربى.

وفى سبيل الهدف الأول من هذه الأهداف انطلقت الصحيفة تؤلف بين المصريين والأتراك باعتبار أن دولتهم "هى التى تحمى المسلمين، وتحفظ البلاد المقدسة الطاهرة من أعداء الدين، ولأنها زعيمة العالم الإسلامى فى الوقت الحاضر بدون منازع".

وفى سبيل الهدف الثانى - وهو الحركة الوطنية ـ انبرت اللواء تدافع عن المصريين فى كل موقعة من المواقع التى اصطدموا فيها بالاحتلال البريطانى، وكان لهذه الصحيفة قبل هذا كله أكبر الفضل فى أنها خلصت المصريين من اليأس الذى ملأ نفوسهم وران على قلوبهم بازدياد النفوذ البريطانى - ولا سيما بعد حادث فاشودة، واتفاق السودان، فإذا المصريون بتأثير هذه الصحيفة يدبّ الأمل فى قلوبهم، وينقادون للحركة التى قام بها زعيمهم الشاب مصطفى كامل.

وقد كان لهذا الزعيم طرق كثيرة فى بعث الروح الوطنى فى المواطنين، ومنها على سبيل التمثيل[1]:

أولا - تحرير المقالات فى صحيفة "اللواء" - يسرد فيها تاريخ الأمم الحية، ويشيد بمواقفها فى ميدان الكفاح من أجل الحرية.

ثانيا - تحرير المقالات كذلك فى سير العلماء والعظماء الذين اشتركوا فى بناء الأمة المصرية، وكان لهم فضل لا نكران له فى تقدمها.

ثالثاً - تحرير المقالات فى سبيل الدعوة إلى تأسيس المدارس على نفقة الشعب المصرى، وعدم الاعتماد فى شئ من ذلك على الحكومة. وكان هو من أول الذين قاموا بتنفيذ هذه الفكرة بل كان هو أول داع فى الحقيقة لإنشاء "الجامعة المصرية".

رابعاً - العناية بتسجيل الحوادث الوطنية فى صحيفة "اللواء" والكتابة من حين لآخر فى ذكرى هذه الحوادث. وكان من أكبرها حينذاك:

حادثة دنشواى: وهى المأساة التى انتهت بسقوط اللورد كرومر عن كرسى العمادة فى مصر. وإذ ذاك تم لصاحب "اللواء" أكبر ما كان يتمناه لنفسه ولبلاده من نصر. ويومها كذلك نشر هذا الرجل مقاله المشهور؛ بعنوان:

إلى الأمة الإنجليزية والعالم المتمدن

بتاريخ ١٨ من يولية سنة ١٩٠٦

وفيها سرد الكاتب هذه القصة. ثم قال:

"ولكن - ما عرفها أصحاب الأمر من الإنجليز فى مصر حتى فقدوا رشدهم، وثاروا لقيام المصريين بالدفاع عن أنفسهم وعن أملاكهم، وبدلا من أن يقابلوا الحادثة بسكون ورباطة جأش، وينظروا إليها كما ينظرون إلى غيرها من المعارك

---

(١) د. عبد اللطيف حمزة: أدب المقالة الصحيفة جـ ٥، ص ٨٢.

والمشاجرات التى من هذا النوع، بالغوا فيها، وجسموها، وأعلنت الصحف الموالية للاحتلال قبل المحاكمة أن العقوبات والعبرة التى ستضرب للناس ستكون هائلة. فلم تكن العدالة إذن هى المنشودة من المحاكمة بل كان المنشود هو الانتقام" إلى آخر ما جاء فى هذا المقال.

وإذا كانت صحيفة **"المؤيد"** هى لسان حزب الإصلاح على المبادئ الدستورية، وكانت **"اللواء"** لسان الحزب الوطنى الذى يرأسه مصطفى كامل، فإن **"الجريدة"** كانت لسان حزب الأمة الذى هو أول الأحزاب المصرية ظهوراً فى الحقيقة، ثم تلاه حزب الإصلاح، وأخيراً ظهر الحزب الوطنى. وحدث هذا كله بين عامى١٩٠٦، ١٩٠٧.

ومعنى ذلك كما يقول د. حمزة رحمه الله ـ أن الأحزاب المصرية الهامة ولدت فى أحضان الصحافة، وتلك ظاهرة تستحق التسجيل، وفيها الدليل الذى ليس بعده دليل على خطورة الصحافة المصرية فى تلك الفترة[١]."

وقد صدرت صحيفة **الشعب** سنة ١٩١٣، وهى السنة التى شهدت فى تاريخ مصر حدثا من الأحداث الهامة فى المجال الدستورى. وخلاصته أن الخديوى عباس حلمى الثانى ـ بضغط من الوطنيين وأصحاب الصحف وأعضاء مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية ـ أصدر ما يسمى (بالقانون النظامى). وبمقتضاه ألغى المجلسين السابقين؛ ليحل محلهما مجلس جديد باسم "الجمعية التشريعية".

غير أن هذه الجمعية التشريعية لم تحقق رغبات البلاد، بل ظهر أنها لعبة جديدة من تلك التى كان يلعب بها الاحتلال. وبحسبنا أن نعرف أن هذه الجمعية التشريعية لم يكن من حقها محاسبة الوزراء.

إذ ذاك انبرى **أمين الرافعى** لمحاسبة الجمعية من جهة، ومحاسبة الحكومة والاحتلال من جهة أخرى على هذا النظام، وشرع يكتب المقالات الطوال فى هذا

---

(١) نفس المرجع المتقدم ص ٨٤.

المعنى، وفي بعضها يقول: "نعم ـــ إن القانون النظامي الجديد عدل نظام الانتخابات، ومنح الجمعية التشريعية حق التشريع في مسائل محصورة، ولكنه فيما عدا ذلك وقف بالهيئة الجديدة حيث كانت الهيئات القديمة، بل رجع بها إلى الوراء؛ بأن حرم عليها الخوض في مسائل لم تكن محرمة عليها قبل ذلك، وخول الحكومة حق حل هذه الهيئة إذا لم توافق على القانون المعروض عليها للمرة الثالثة".

وفي أخرى من مقالات الرافعي وجدناه يقول: "أعطونا حق إسقاط الوزارة، وخذوا لأنفسكم حق حل الجمعية التشريعية".

وفكرت الجمعية التشريعية في وضع لائحة داخلية للأعضاء، فحالت الحكومة المصرية ـــ بوحي من الاحتلال ـــ بينها وبين ما أرادت، فثار أمين الرافعي لذلك وأخذ يقول:

"لقد دهشت الصحافة الأفرنجية المحلية من ذلك، ومن منع الأعضاء من حق الكلام في أول جلسة، بل انتقدت بشدة موقف الرئيس عندما طلب سعد باشا زغلول الكلام لتهنئته بالرياسة، وانتقدت دعوة الرئيس لسعد زغلول أن يكون الكلام مقصوراً على الشكر، وتساءلت إحدى هذه الصحف عن أعضاء الجمعية: هل هم في مدرسة يقول ناظرها ـ والمقرعة في يده ـ أيها التلميذ سعد زغلول: قل الثلاثة الأسطر التي حفظتها واجلس في الحال؟

وأعلنت الحرب العظمى بعد ذلك في أغسطس سنة ١٩١٤، فمضت "الشعب" في صدورها إلى السابع عشر من ذلك الشهر، ثم اضطرت الحكومة المصرية ـ بإشارة من السلطة العسكرية ـــ إلى إصدار طائفة من القوانين الاستثنائية. ومنها قانون منع التجمهر في ١٨من أكتوبر سنة ١٩١٤، ثم إعلان الأحكام العرفية وفرض الرقابة على الصحف في الثاني من نوفمبر، من نفس السنة، ثم إعلان الحماية البريطانية نفسها في الثامن عشر من شهر ديسمبر في نفس السنة كذلك.(١)

---

(١) د. عبد اللطيف حمزة: أدب المقالة الصحفية في مصر جـ ٧ ص ٩١.

وأصدرت الحكومة المصرية أمرها لجميع الصحف بنشر إعلان الحماية في صفحاتها الأولى، فكبر على نفس أمين الرافعي أن يلطخ صحيفة "الشعب" بهذا العار، وصمم على وقف الصحيفة عن الإصدار؛ فذلك أكرم له وللشعب المصري نفسه من أن تطبع صحيفة من صحفه وثيقة الإعدام والانكسار، وبالفعل تم له ذلك في السابع والعشرين من نوفمبر سنة ١٩١٤.

في هذه النماذج؛ نرى الدور الإيجابي للمقال الصحفي في أوقات الشدة التي تمر بها الشعوب ولذلك أطلق المؤرخون على هذه الفترة في تاريخ الصحافة المصرية اسم (**الطور الصحفي من أطوار الحركة الوطنية**). والمؤرخون ـ كما يقول د. عبد اللطيف حمزة رحمه الله ـ "على حق في هذه التسمية؛ لأن صحافتنا إذ ذاك بكل ما عليها من واجبات؛ وتحملت في سبيلها من التضحيات ما جعلها ترقى إلى مرتبة أعلى الصحف في زمانها وفي بلاد غير بلادها"(١).

هذا الدور "القيادي" للمقال الصحفي يتضح أيضا في الفترة التالية من تاريخ الصحافة المصرية؛ ونعني الفترة التي ترتبط بثورة ١٩١٩ في مصر؛ والتي ـ كما يقول د. حمزه ـ اشتغل المصريون في أثنائها بأمرين هما: **القضية المصرية، والحياة النيابية** ـ كانت الصحافة المصرية مصبوغة بهاتين الصبغتين، كما يظهر لنا في **صحافة أمين الرافعي، ثم في صحافة الوفد المصري، وصحافة الأحرار الدستوريين**.

"مرت بمصر كل هذه الظروف، وهي وإن كانت ظروفا سيئة، ومحناً قاسية، إلا أنها عادت على الصحافة المصرية ذاتها بالقوة والمنعة، وبالقدرة الكاملة على المقاومة. وبها اشتدت عضلات الصحافة المصرية في الطورين الثالث والرابع من الأطوار الصحفية الحديثة؛ حتى أصبحت صحافة شعبية ممتازة بالمعنى الصحيح، وكانت عنايتها إذ ذاك محصورة **في المقال الصحفي**، أو بعبارة أخرى، كان **فن المقال** هو الأداة الوحيدة في يد الصحافة، أو السلاح الوحيد لها في ميدان الكفاح من أجل الوطن وقضايا الوطن!." إلى أن يقول د. حمزة:

---

(١) نفس المرجع المتقدم ص ٩٢.

"أجَل بلغت حد النضوج والكمال إذ ذاك؛ لأنها استطاعت فى الواقع أن تقوم بكل ما يجب عليها من واجبات نحو الأمانى الوطنية، والكرامة الوطنية، حتى لقد لفتت إليها أنظار المؤرخين من العرب والأوروبيين على السواء، وكان من نتيجة ذلك أن ذهب بعض أولئك المؤرخين يطلقون على الحركة التى قامت بها الصحافة فى هاتين المرحلتين السابقتين اسم "الطور الصحافى من أطوار الحركة الوطنية".

والتفسير الوظيفى للفن الصحفى؛ يظهرنا على دور الصحافة فى تكوين الرأى العام الوطنى؛ والعالمى؛ مع غيرها من وسائل الإعلام والتثقيف والتنشئة الاجتماعية. ورسالة الصحافة ـ كما يقول د. حسنين عبد القادر: "أضخم فى الشعوب التى لم تظفر بقسط كبير من الثقافة؛ لأن الشعوب الراقية يكون فيها أغلبية الرأى العام من المثقفين الذين لا تؤثر فيهم الصحافة تأثيرا كبيرا.. فهم يقرأون أكثر من صحيفة، ويطلعون على أكثر من رأى، فيوازنون بين الآراء والأخبار؛ ويمحصون الخبر الصحيح؛ لكن فى الشعوب المتأخرة قلما يظفر القارئ بأكثر من صحيفة واحدة، وهو مضطر إلى تصديق ما ترويه الصحيفة من أخبار مهما كانت محرفة أو مختلقة أو كاذبة[1]"

المقال الصحفى و"التعادلية" الوظيفية:

وإذا كانت "التعادلية" ـ فيما يرى أستاذنا توفيق الحكيم رحمه الله ـ تذهب إلى أن "كل حركة يجب أن تقابلها وتعادلها حركة.. وأن كل قوة يجب أن تقابلها وتعادلها قوة".. فإننا نذهب ـ تأسيسا على هذا الفهم ـ إلى أن **"كل وظيفة يجب أن تقابلها وتعادلها وظيفة"**، لتتخذ الصحيفة حركتها الإيجابية.. ذلك أن قوة السلطان المطلق حركة سلبية.. ولابد من حركة مقابلة معادلة هى قوة المحكوم؛ لتبدأ فى المجتمع حياة إيجابية.. وهكذا ــ كما نعرف فى تعادلية الحكيم؛ حين تتجاوز "الصفر" لتبدأ من العدد "اثنين".

---

(١) د. حسنين عبد القادر: المرجع المتقدم.

ولكي يظل هذا العدد موجودا دائما؛ يجب أن تحافظ كل وظيفة من وظائف الفن الصحفى على قوتها الخاصة فى الصحيفة.. فإذا تضخمت وظيفة ما على حساب الوظائف الأخرى؛ أو ابتلعت قوة إحداها قوة الأخريات؛ عادت الصحيفة إلى 'الوجود السلبي".. والتعادلية الوظيفية فى الفن الصحفى — إذن — تفسّر مفهوم "الصحيفة الإيجابية" بأنها تجسيد لجملة وظائف تتقابل وتتوازن فى كيان الصحيفة استجابة لحاجات المجتمع ـ أفرادا وجماعات. ومفهوم "العدم" بالنسبة للصحيفة يتضح حين ينتصر أنصار المدرسة الإخبارية" انتصاراً يبتلع "مدرسة" الرأى مثلا.

فالوظيفة الواحدة هى السكون. والوظائف المختلفة القليلة هى الحركة.. هى الحياة بالنسبة للصحيفة.. تلك هى التعادلية الوظيفية فى الفن الصحفى، التعادلية التى تنظر إلى فلسفة الحركة المقاومة على أنها الحياة.

ولذلك يذهب بعض علماء الصحافة إلى أن صفحة "الرأى" فى الصحيفة حين تكون صاحبة هدف ورسالة وسياسات محددة؛ تغدو بمثابة عجلة توازن بالنسبة للصحيفة نفسها فهى تقوم بدور الموجّه للنشر. وعندما تثبت أن لديها خلفية من المعلومات الواسعة؛ وعندما تظهر إخلاصا؛ وتجرؤ على أن تكون مستقلة، وعندما تظهر تفكيرا قانونيا ومثلا عليا، فإنها تكتسب مصداقية لدى القراء. هذه المصداقية بدورها، لها أثر الكهرباء. وأول من يحس بها مساعدو رؤساء التحرير والمراجعون، والمندوبون الصحفيون. وهم إذ يقدرون ذلك يعرفون ما هى الأخبار التى يجب أن تبرز وما هى الأشياء التى لا يعبأون بها، وأيها يلقون بها فى سلة المهملات.. إنهم حينئذ ينعمون بالشجاعة التى تواتيهم لتحديد الهدف.

وعالم الأعمال يأتى بعد ذلك فى تقدير صفحة للرأى موثوق بها، ذلك أن رجال الأعمال سرعان ما يتعرفون على كثرة مبيعات الصحيفة التى تكسب سياساتها التحريرية احترام القراء، ومصداقيتها لديهم، فيسعون إلى أعمدة الإعلانات باعتبارها وسائل قيمة لعرض بضائعهم وبيعها. فى نسق لايقهر سياستها التحريرية.

ومن جهة أخرى فإن أية صحيفة، تفتقر فى سياستها التحريرية إلى هدف ما؛ أو تغدو بلا سياسة تحريرية على الاطلاق، إنما تشبه غالبا محركاً بطاريته مستهلكة لا تصلح. والتشبيه شائع جار على الألسن ولكنه مناسب. والصحيفة فى هذه الحال بلا حول ولا قوة. والفساد الذى يدب فى أعمدة الأخبار يلى عادة إهمال وظيفة المقال الصحفى، وتصبح الصحيفة مزيجا من الأخبار غير الواضحة وغير المهضومة، وبصفة عامة بدون هدف إلا مجرد محاولة لإثارة الاهتمام بين القراء، وتقف دائما وجها لوجه مع المذهب القائل بأن الحس أساس المعرفة باعتباره الوسيلة الوحيدة لاستمرار الاهتمام. والتعادلية الوظيفية تضع إلى جانب الخبر الرأى - والرأىُ ليس دائما فى "سياسة". إنها - كما يقول د. أحمد زكى - آراء تغزو مرافق العيش جميعا، تغزو التربية والتعليم، تغزو شئون الشباب جميعا، صبية اليوم ورجال الغد، تغزو معاهد العرفان،جميعا، من الكتاتيب الصغيرة إلى الجامعات الكبيرة، تغزو الفلاح فى مزرعته فردا، وتغزوه أسرة، وتغزوه فئة قد تكون أكبر الفئات جميعا، تغزو الصانع فى مصنعه، وعلى مائدة المصنع ومن بعد رواح، وتغزوه منفردا، وتغزوه متكتلا، وتصحب أملا له، حيثما صار، وإلى أى شئ صار. وغير الفلاح، وغير الصانع، توجد فى الأمة طوائف أخرى تأمل العيش وتخشاه: مدرسون، كتبة، تجار عمال تجارة، رجال الشرطة، رجال جيش.. كل هذه شئون، متوافقة أحيانا متخالفة أحيانا لابد من أن يقال فيها على الملأ، ليتنور بها الناس، لابد من بسطها على مائدة يتداول الناس من حولها، وليست مائدة أوسع ولا أشبع؛ من مائدة الصحافة، مائدة الرأى؛ مائدة اصطراع الآراء.

"وغير مصالح الرجال والمئات توجد صوالح البلد عامة، تلك التى لا تتصل بفئة بذاتها، وإنما تتصل بالفئات جميعا، احتوتهم بوتقة واحدة مثال ذلك التخطيط لزيادة العمران، ولرفع مستويات المعيشة وإشاعة الرواج وإسداء الخير لكل من نقص خيره..، تلك الأهداف الحديثة التى أضافت لمعنى الدولة لفظا جديدا، فأسمتها الدولة الخيرة.

وإلى جانب كل هذا قيمٌ للأخلاق، ومجموعة من العقائد، وتقاليد ومأثورات هي التي تصنع الأمة في حاضرها، هذه كلها تقوم الصحافة، من يومية وأسبوعية وشهرية، على حمايتها. لا حماية مطلقة، ولكن حماية متحولة متنقلة متقدمة مع الزمان. والصحف هي التي ترسم الخطوات نحو التقدم وكيف تكون، وكم تكون.

من أجل هذا لا يمكن أن تكون الصحافة، بمعزل عن الشعب أبدا، وإلا فقدت وظيفتها في تنوير الناس وتطويرهم، كما رسمتها وخالتها هذه العصور الحديثة التي نحياها، الصحافة صوت الشعب، بل هي الخطير الأخطر من أصواته، فما عرفنا للشعب صوتا واحدا أبدا، وهي أصوات على اختلافها تلتقي عند حبر المطابع، والشعب فئة وفئة وفئة، وفئة، إنه فئات مئات، وخير الصحافة ما كان لهذه الفئات جميعا، وأقلها خيرا ما كان لفئة واحدة منها، يرعى شئونها في مخاصمة لسائرها.

من أجل كل هذا هال الأمة الانجليزية محاولة رأس المال فيهم أن يستأثر بأكثر من نصيب معتدل من صحافتهم، وهال الأمة الانجليزية أن تكون الصحف تجارة، ينقلها من أيد لأيد ما يكون بها من ربح أو خسارة.

"فالصحافة عندهم، وفي كل أمة فيها الديمقراطية عريقة، على الأقل في داخل حدودها، قد تكون تجارة، كما أن العيش كله تجارة، ولكنها من بعد أنها تجارة، وفوق انها تجارة، هي رسالة تقع عند القمة في الرسالات جميعا.

والانجليز يذكرون دائما، كلما أزمتهم في صحافتهم أزمة، قول رائد من رواد الصحافة الأكابر فيهم، اسكوت (١٨٤٦ - ١٩٣٢)، هذا الذي جمع بين رئاسة تحرير الصحيفة الإنجليزية الحرة المنشستر جارديان، وبين نصيب من ملكيتها، فذاق من الصحافة ناحيتيها، الحلوة منها والمرة، وهو ساربها على مذهب حرٍّ متجرّد متجدد أكسبه شهرة عالمية واسعة في صفاء النظرة، وصدق الحكم، قال قولته المأثورة :

"إن الصحافة لها جانباها، إنها تجارة، ككل عمل آخر يقوم به قوم آخرون، فعليها أن ترتزق لتدفع من مال تكتسبه حوائج عيش لتحيا حياة طيبة وتعيش ما من شك فى هذا، ولكن الصحيفة أكثر من تجارة، إنها مؤسسة قومية فى مرآتها تتراءى صور من حياة المجتمع كله. وهى تتأثر بالمجتمع كما تؤثر فيه، وقد يبلغ أثرها حتى ما وراء المجتمع الذى تعيش فيه، تؤثر فى هذا الوراء حظوظا مختلفة ومقادير. والصحيفة بأسلوبها الخاص، أداة تفعل فى الحكم مدا وجزرا، وهى تلعب بعقول الناس وبضمائر الناس من هنا وهى قد تربى وقد تنعش وقد تعين، وقد تفعل النقيض من كل هذا. فالصحيفة لها وجود حى، مادى كما هو روحى. والمادة قوة دافعة والروح قوة أخرى لا تقل عن تلك دفعا، وصفة الصحيفة الغالبة إنما تحصل من نتيجة هذا الصراع، الصراع بين هاتين القوتين، فهى إما أن تطلب الكسب وتطلب الجاه، هدف حياتها الأول، أو هى تطلب فى سبيل المجد غايات أسمى وأرفع.

"إن الصحافة قوة هائلة، وجاه عريض، والقوة الهائلة والجاه العريض قد يعملان للخير الكثير، ولكن تجربة الناس أن مثل هذه القوة، ومثل هذا الجاه، إذا تركزا فى يد واحدة، أو أيد قليلة، كان لتركزهما إغراء لا يقوى عليه فى العادة الانسان، فكيف بالإنسان إذا تقمصه آخر الأمر شيطان.

من أجل هذا شاع فى الكثير من الأمم، فى بعض صحافتها، انحراف كثير.

وأعان على هذا الانحراف سذاجة الطبع عند الناس، وأعان عليه أمية فى الناس، فاشية، وهى ليست أمية قراءة وكتابة، ولكن أمية عرفان وثقافة. إن الرجل فى كثير من الأمم، يدلى إليك بالخبر فترتاب فيه، فيقول لك محتجا لصدق دعواه، بأنه قرأه بعينىْ رأسه هاتين فى صحيفة أو كتاب. إنها الثقة بكل ما صبغته الأحبار فى المطابع وحتى غير الأمىّ معذور إذا هو صدق ما يقرأ. إن الجريدة الواحدة هى سبيله الواحدة إلى معرفة ما تجرى به الأمور. إنها النافذة الواحدة التى يطل منها على شئون الحياة فى مدينة أو بلدة أو فى العالم، وإذا هو ارتاب فى كل خبر

لم ينتفع بما يقرأ، وأغلقت دونه النافذة الواحدة فلم ير من أمور دنياه، قريبها والبعيد، إلا نزرا [1]".

وتأسيساً على هذا الفهم؛ فإن المقال الصحفى يستطيع أن يؤدى وظائفه من خلال طرق أربعة هى:

١ـ الإمتاع والمؤانسة.

٢ـ أن يجعل فى الإمكان حذف "الرأى" من أعمدة الأخبار.

٣ـ تفسير الأخبار الهامة.

٤ـ حفز الرغبة فى حياة سعيدة أسريا ومجتمعيا وقوميا، وإنسانيا.

أما الإمتاع؛ والمؤانسة؛ فيمثلان وظيفة قديمة قدم الإنسان؛ عندما كان المُغنى أوالمنشد أو الراوية يقوم بالتسرية عن الناس؛ وإمتاعهم "برواية الغريب والطريف والعجيب من القصص الواقعية والخيالية على السواء. وقد ورثت الصحافة هذه الوظيفة التى يرى "ماكدوجال" أنها تخفف العبء عن النفوس والعقول، وتجعل الحياة محتملة رغم ما فيها من متاعب، "وهكذا تصبح وظيفة الإمتاع ذات أثر نفسى حميد[2]".

وكثير من القراء يجدون هذا الامتاع فى مقال من المقالات يقدم فكرة جديدة أوآخر يحفز على التفكير. وهناك قراء آخرون ينشدون الفكاهة؛ أوالمؤانسة؛ أوالإثارة العاطفية والعقلية. والتنشئة والتعليم قد يثبتان أنهما عاملان حاسمان فى تفسير اللفظ. وعلى أية حال فإنه من المؤكد أن كتابا كثيرين، من أعظم المحررين نجاحا وتأثيرا يضعون المقالات التى تنشد التسلية والامتاع فى مكان الصدارة من أعمدتهم. وهم يطلقون عليها اسم المقالات التى تهم الناس. والهدف منها هو حفز القارئ الأقل اهتماما بالأمور، للاطلاع على عمود المقال الصحفى. وفى الوقت

(١) د. أحمد زكى: مجلة العربى ص ٣٢٤.

(٢) د. ابراهيم إمام: دراسات فى الفن الصحفى، المرجع السابع ص ٧٢.

نفسه تستهدف التخفيف من حدة الفكر المجرد أو الجدل داخل العمود. والنزر اليسير من المعلومات؛ أو الإرشاد الأخلاقي، يوجد عادة في هذه المقالات؛ ولكن الوظيفة الإمتاعية قد تكون أظهر.

وإذا كان كفاح الإنسانية في سبيل الحرية والعدالة قديم؛ ومازال يسم المقال الصحفي بطابعه حتى اليوم؛ فإن وظائف الامتاع والمؤانسة، والضحك؛ أيضا قديمة في الانسانية. ومازالت منتجا من منتجات المقال الصحفي حتى اليوم.. بل كان الضحك في كثير من المقالات الساخرة، والكاريكاتورية؛ سلاحا قويا فعالا في تحطيم الاستغلال وتقويم الضلال؛ وحسبنا أن نعود إلى السيد عبد الله النديم لنقرأ مقالاته في صحيفته "التنكيت والتبكيت". بأنها أسلوب مهذب للتعبير عما يؤلم الانسان.

الخبر مقدس.. والرأى حر:

والفصل بين الخبر والرأى أمر ضرورى؛ تحقيقا للموضوعية الصحفية، فإذا كان الرأى فى المقال ملكا لكاتبه؛ فإن الحقائق فى الأخبار ملك للقراء. وهم يطلبون، ولهم كل الحق فى مطلبهم؛ تقديم أخبار غير متحيزة؛ كما ينشدون تقديم كل الأخبار فى نفس الوقت.

ولعل الكثير من بين هؤلاء القراء؛ إن لم يكن معظمهم؛ لايدركون حقيقة مايدور فى العالم من حولهم؛ وقد لايهتمون بما إذا كانت الأخبار التى يقرأونها ملونة أو غير ملونة. بل إنهم قد يريدون الأخبار التى تتفق مع تحيزهم السياسى أو الدينى أو القومى الخاص. ولكنهم ليسوا ممن يُعملون الفكر والرويّة حين تتحكم فيهم العاطفة. والقادة الذين يمثلون العنصر المفكر يريدون من المقال الرئيسى أن يتحول إلى توكيد لآرائهم الخاصة أو تعديلها. ولكنهم يريدون الحقائق كلها من جميع الزوايا أولا وهم أهل لها.

ولذلك يعنى المقال بالتعليق على هذا الخبر أو ذاك؛ ويبين مغزاه السياسى أو الاجتماعى أو الثقافى.

ولذلك فإن الفصل بين الخبر؛ وتفسيره؛ والرأى المبنى على الخبر أمر ضرورى. ذلك أن الخبر إنما هو الوقائع التى حدثت بالفعل. وتفسير الخبر جزء هام من أجزائه؛ يراد به شرح بعض المفاهيم، أو بعض المسميات أو المصطلحات الواردة فى صلب هذا الخبر.

وأما الرأى المبنى على الخبر؛ فهو المراد **بالتعليق الصحفى** ". يقول المستر ماركل" رئيس المعهد الدولى للصحافة فى ذلك:

"وأما ذكر أن الكرملين يشن حملة من أجل السلام يعتبر خبرا".

"وأما شرح أسباب شن الكرملين لهذه الحملة فى هذا الوقت بالذات فهو التفسير".

"والقول بأن كل حملة للسلام تصدر عن الكرملين يجب أن ترفض؛ فهذا هو الرأى"..

"وأما الشرح فهو جزء هام من أجزاء الخبر.. وأما الرأى فلا مكان له غير أعمدة التعليقات"..

التفسير: وقد لوحظ أن تفسير الأنباء الهامة اليوم، هو الأولى بالاهتمام فى المقال الرئيسى. وهذا يعنى بيان العلاقة بين المسائل المحلية والقومية والدولية وبين مصالح البيت والعمل التى تعنى القراء من جهة، والإشارة إلى الارتباط بين المشكلات المحلية وحركات الدولة والأمة والعالم بأسره من جهة أخرى. ويعنى تفسير المجتمع لنفسه وللعالم الخارجى وتفسير العالم الخارجى للمجتمع أيضاً. كما ويعنى الإعراب عن أحسن رأى شائع والتنوير به. والعقلية العادية نصف المتعلمة - التى تكون الجانب الأكبر من القراء - إنما تفكر فى أمور أعظم من أن تصوغها فى كلمات. وبما أن القارئ من هذه الفئة لا يعرف التحليل فإنه لا يستطيع أن يعلّل آراءه وأن يقدح ذهنه ويقدم الأسباب التى أوصلته إلى هذه النتائج. وهو يفتقر إلى قوة التعبير؛ إلى القدرة على أن يتلفظ بما اقتنع به. وهذه هى الوظيفة التفسيرية

التى يقوم بهـا المقـال الرئيسـى. الأمـر الـذى يجعل صفحـة الـرأى مـن الصفحـات التعليمية الأولى فى الصحيفة ـ قسم يمكن أن يجد فيه القارئ نقاشا عن الأنبـاء الحيوية فى هذا اليوم، وإتاحة الفرصة أمامه لكى يتعلم كيف يميز بين مـا هـو تافـه وما هو أساسى فى الشئون المحليـة والحكوميـة والقوميـة. ومـن ثـم يمكـن أن يجد الحافز الأكبر للتقدم العقلى. ومن حسن الحظ أو لسوء الحظ فإن الصحف مضطـرة إلى أن تنشر الكثير من الأنباء التافهة. وعندمـا يميزون فـى عمـود المقـال الافتتـاحىّ مثلاً بين ما هو جوهرى وماليس كذلك، فإنهم يذهبون بالعمود إلى أن يقوم بوظيفة مـن وظائفه المحددة.

القيادة: وتهدف هذه الوظيفة إلى الحث على حياة فاضلة فى البيت والمجتمع كما رأينا عند الحديث عن وظيفة القيادة، والتـى يمكـن أن تكـون هدفـاً منشـوداً بالنسـبة للمقال الصحفى، وإن كان وجودها الفعلى فيه غائباً فى أحيان كثـيرة. وحيـن تحكـم العقلية الغوغائية فى مشكلات الناس، فإنه فى مثل هذه المناسبات يكون مجرد نشـر الأنباء وتفسيرها غير كافيين. ولذلك فإن القيادة القويـة المجـردة مـن الأنانيـة تغـدو ضرورة ملّحة.

والقيادة، كما يقول "سبنسر" ليسـت مجهودا يبذل مـن أجـل "صياغـة الـرأى العام" الذى يسمع عنه المرء كثيرا من منصة الخطباء. ويجب على المـرء أن ينـدّد بطموح أى محرر لصياغة رأى قرائه حسب معاييره الذاتية. وصياغة الرأى تعنـى تشـكيله ــ وتحريفـه غالبـا ــ طبقـا للمثـل العليـا أو الآراء الخاصـة بشـخص واحـد أوجماعة من الأفراد. ولا يعنى هذا التبرير أكثر من مجهود يبذل لصياغـة طبـاع طفل، وذلك أمر ضار بطبيعة الحال. وكم تضـاءلت حيـاة أكـثر مـن رجـل لأن أبـا فضوليـا يتدخـل فيمـا لا يعنيـه، لـه شـخصية متسلطة قد شـوه شــخصيته الفرديــة ووضعهـا فـى قـالب غـير صحيـح أثنـاء سـنوات الطفولـة. والطفل لا يختلـف عـن الجمهور فى كثير من النواحى. فكل منهما يحتاج إلى الإلهام للتطور، وللتعبير عن الذات بوسائل فردية. وكل منهما فى حاجة إلـى التشـجيع والإرشـاد بـل والتحذيـر. ولكن لا أحـد منهما يحتـاج إلـى التلقيـن الـذى يصـل إلـى درجـة حَجْب الأصالـة

أو الفردية. والمحرر الذى يحاول إملاء إرادته يضطر عادة إلى التسليم والإذعان، ويتعرض لخسارة جسيمة فى نفوذه وشهرته، وفى المقابل هناك محررون يتمتعون بقوة شخصية كافية؛ ومغناطيسية عظيمة؛ تكفيان لأن يسودوا فى مجتمعاتهم، على قدر اهتمامهم بتقدمها ورقيها ونهوضها.

وصفوة القول - إذن - فإن التفسير الوظيفى للمقال الصحفى إنما ينطلق من - معطيات الواقع - ليبشر بالمدينة الفاضلة؛ تحقيقا لحلم أفلاطون فى جمهوريته المثالية التى جعل حكامها من الفلاسفة. حتى لتقودنا كلمة "يوتوبيا" اليونانية القديمة إلى كلمة "طوبى" التى جاءت فى القرآن الكريم مرة واحدة فى قوله تعالى فى سورة "الرعد" [**الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب**].

ومن أجل ذلك وضع بعض المترجمين المعاصرين كلمة "**الطوباوية**" فى مقابل لفظ "**يوتوبيا**" التى جعلها الكاتب السياسى الانجليزى توماس مور (القرن السادس عشر الميلادى) عنوانا لكتابه الذى صور فيه للناس مدينة مثالية تحقق لهم أكبر قدر من السعادة يحلم بها الإنسان؛ وتستأصل من نفوسهم نوازع الشر؛ وتجبلهم على الخير..

أليست "**الخيريّة**" التى تطبع الوظائف الصحفية للمقال بطابعها متصلة بهذه المدينة الفاضلة؛ على نحو ما من الأنحاء؟! ألا نرى أن فهم هذه الوظائف الصحفية فى الفكر الأوربى والأمريكى؛ يتصل **بجمهورية أفلاطون؛ ويوتوبيا** "توماس مور" و"تومازو كامبانيلا" صاحب **مدينة الشمس**؛ والسير "فرنسيس بيكون" فى الأدب الإنجليزى؛ وصاحب المنهج التجريبى الجديد؛ وصاحب "**أطلنطس الجديدة**" مدينته الفاضلة؛ التى حلم فيها بدولة مثلى يحكمها العلماء لا الفلاسفة..

فهل نصل نحن أيضا من ذلك إلى فهم الوظائف الصحفية فى الفكر العربى والإسلامى؛ على نحو يصلها **بمدينة "الفارابى" الفاضلة**؟! حتى ليصبح مفهوم "**الخيريّة**" فى التفسير الوظيفى للفن الصحفى؛ هو المقابل للفضيلة فى مدينة "الفارابى" الفاضلة؛ وهى التى رآها سبيل السعادة؛ ورأى دعامتها: التعاون. ولهذا

عرف مدينته الفاضلة بقوله إنها "التى يقصد بالاجتماع فيها التعاون على الأشياء التى تنال بها السعادة الحقيقية".

وتأسيسا على أن التفكير ظاهرة اجتماعية؛ فإننا نحاول فى نهاية هذا الفصل دراسة المقال الصحفى بين فنون القول، الأمر الذى يقتضينا أن نجتهد ما استطعنا فى تحديد بيئة المقال الصحفى، لنتعرف من بعد على مقوماته؛ تأسيسا على أن المجتمع الحديث لا يقع فى مجال الرؤية المباشرة لأحد، كما أنه غير مفهوم على الدوام، وإذا فهمه فريق من الناس، فإن فريقا آخر لا يفهمه على حد تعبير الكاتب الأمريكى "ولترلبمان". وهنا تتضح لنا وظيفة المقال الصحفى فى الشرح والتفسير والتكامل، حيث يصبح حلا لصياغة المعرفة بطريقة علمية واقعية، الأمر الذى يجعل من كُتّاب المقال الصحفى وسطاء اجتماعيين بين الخبراء المتخصصين من ناحية والقارئ العام من ناحية أخرى.

ذلك أن الفن الصحفى ـ على حد تعبير الدكتور إمام ـ فن حضارى بالضرورة، فإذا كان الشعر مثلا، يزكو ويزدهر فى البيئة اليدوية، حيث تسود الحضارة الشفوية، فإن الفن الصحفى ـ الذى ينتظم فن المقال فى أعطافه ـ على العكس من ذلك. إذ البيئة المحدودة تكتسب فيها المعرفة بالتجربة المباشرة والشخصية، لأنه إذا كان جميع أفراد مجتمع من المجتمعات مُعدّين ليفهموا بالتجربة المباشرة ما يجرى من أحداث، فإن الطرق العادية للاتصال الشخصى تكفى لنشر الأخبار وتفسيرها فى هذا المجتمع، ولا يحتاج الأمر لأية وسيلة من وسائل الإعلام الحديثة.

ولكن المجتمع الذى يزداد نموه، وتتنوع تخصصاته، وتتعقد مشكلاته، لا يلبث أن يجد فى فن المقال الصحفى ضرورة حتمية لمواجهة المعادلة الصعبة صياغة المعرفة بطريقة علمية واقعية.

- **المقالة الأدبية.. والمقال الصحفى**

وإذا كان عصر النهضة هو البيئة المواتية لظهور فن المقال الأدبى، فقد كانت عصور التقدم العلمى، والتنوير الفكرى ـ وتكوُّن الرأى العام وظهور الطبقة

الوسطى التى تمتاز بعقلية واقعية، وتهتم بمشكلات المجتمع العملية؛ من أهم عوامل ظهور فن المقال الصحفى.. الذى يختلف عن فن المقالة الأدبية اختلافا جوهريا من حيث الوظيفة والموضوع واللغة والأسلوب جميعا، فالمقال الأدبى يعبّر قبل كل شئ عن تجربة معينة مست نفس الأديب، فأراد أن ينقل الأثر إلى نفوس قرائه. أما المقال الصحفى فيتصل أكثر ما يتصل بأحداث المجتمع الخارجية عامة، كما يفترض وجود رأى عام يخاطبه ويتحدث إليه. ولذلك، فإن المقالة الأدبية تدخل فى اعتبارها عواطف الفرد ووجدانه، أما المقال الصحفى فيهتم بما يسمى الوجدان الجماعى.

وتشتمل المقالة الأدبية كما تقدم على: **المقال الوصفى أو الغرضى، والمقال النزّالى والمقال النقدى، والمقال الكاريكاتيرى والمقال القصصى، والمقال الاعترافى... الخ.**

أما المقال الصحفى فينقسم إلى أنواع منها: **المقال الافتتاحى أو العمود الرئيسى، والعمود الصحفى، وفن اليوميات الصحفية.**

الفصل الثالث

فن المقال الافتتاحى

.. ونحن نذهب إلى أن المقال الصحفى قد وظف فنون المقالة الأدبية من قصصية ووصفية ونزالية وكاريكاتيرية لأداء مهام الفن الصحفى، الذى يقوم فى جوهره على أنه فن تطبيقى وليس فنا تجريديا، وهو لذلك يقوم على أداء وظائف الإعلام والتفسير والشرح والتوجيه والإرشاد والإمتاع والتعليم والتنشئة الاجتماعية. فالمقال الصحفى مسئول عن تقديم المعلومات إلى الجماهير بصورة مبسطة مستساغة، وخالية من التفاصيل المعقدة، ولذلك يجب أن يكون المقال الصحفى جميل الأسلوب، مشرق الديباجة، متفرداً فى موضوعه وهدفه، قويا فى تعبيره عن الرأى.. وإذا كان المقال يدعو لقضية، فلابد أن يفعل ذلك دون إبهام، وإذا كان يشرح أو يفسّر أو يحلّل؛ فإن على الكاتب أن يقدم تفسيراً أكثر مما يستطيع المندوب الصحفى تقديمه فى أعمدة الأخبار، متوسلا بما يتميز به الفن الصحفى الحديث من تبسيط وتجسيد وتصوير، حتى ليقدّم أعقد المشكلات السياسية والاقتصادية والثقافية باصطلاحات الإنسان العادى.

ويعتبر "المقال الافتتاحى" من أهم فنون المقال الصحفى، لاعتماده فى الشرح والتفسير والأيضاح على الحجج والبراهين، والإحصاءات والبيانات، للوصول فى نهاية الأمر إلى إقناع القارئ وكسب تأييده، ذلك أن هذا المقال فى مدلوله الاصطلاحى Leading Article، إنما يقود غيره من المقالات ويتقدمها من حيث تعبيره عن رأى الصحيفة كمؤسسة؛ ومن حيث تناوله لأهم الموضوعات بالقياس إلى سياستها التحريرية، ومن حيث المساحة الثابتة الممنوحة له، ولذلك فإن المقال الافتتاحى كثيرا ما يكون غُفلاً من التوقيع.

غير أن اتجاه هذا المقال إلى التعبير "اللا شخصى" لايعنى الجفاف فى التعبير، أوالجفاء فى موقف الكاتب من القارئ، إذ أن خاصية التبسُّط فى الحديث

والايناس فى السرد لاتزال من أهم مميزات فن المقـال الصحفى. وهـى المميزات التى يتسم بها أدب المقالة فى نماذجه المـأثورة، حتـى "ليشـعر القـارئ مـن مقـالات كتابها أنه إنما يجلس إلى صديق من أصدقائه، ويستمع إلى بعـض إخوانـه، ويـدور معه حيث يدور، ويدخل معه فى شجون من الحديث لا يحبّ أن يصل إلى نهايتهـا، وهى المميزات التى تجعل المقالة الصحفية تقوم على "روح المشاركة"، وهى روح الديمقراطية الحقة التى تفترض المساواة بين الجميع. ومن هنا فإن هذا الفن المقالى فى الصحافة المعاصرة يتسم بالهدوء والابتعاد عن الاستعلاء أو الخطابـة. ذلـك أن المقال الافتتاحى يهدف إلى الاقناع لا مجرد الاستمالة العاطفية.

فالشواهد والأدلة والبراهين، سواء بالنصوص أو الإحصاءات، أو المقارنات ضرورة لازمة للتعليق على الأخبار والماجريات، وكثيرا ما يكون المقال الافتتاحى بمثابة تعليق على الأخبار والأحداث الجارية، مع الاستشهاد - بطبيعة الحال - بأمثلة تاريخية وتقارير إخبارية. ولذلك فإن كاتب المقـال الافتتـاحى يعتمـد اعتمـادا كبيـرا على الأرشيف الصحفى، وعلى مذكراتـه الخاصـة، بالاضافـة إلـى ذاكرتـه القويـة، ومن ثمّ فإنّ كاتب المقال الافتتاحى - فـى نهايـة الأمـر، رغـم عـدم توقيعـه باسـمه، معروفا لدى جمهور القراء الذين تآلفوا مع أسلوبه وتعودوا على فتح الصحيفـة فـى صفحة معينة لقراءة ما يكتبه كاتبهم المفضل البسيط الأسلوب والمقنع فى حجته.

ومن أجل ذلك وجدنا الصحف العالمية تسجل على كل صفحة من صفحاتها، ما عدا واحدة، ما يجرى فى العـالم الواسـع مـن أحداث ومـا يـدور فيـه مـن أفكـار وآراء؛ وتستبقى صفحة واحـدة فقط، وفـى بعض الأحيـان عمـودا واحـدا فحسـب، لتجهر بآرائها وأفكارها، فحق الصحيفة فى الإعـراب عـن رأيهـا فـى الأنبـاء التـى تنشرها أمر طبيعى جدا، إذ النبأ والرأى رفيقان يظهران جنبا إلى جنب. ولذلك فإن أول سؤال يبدر إلى أذهاننا عندما يأتينا شخص ما بأى معلومات تثير اهتمامنـا هـو "ما رأيك فى هذا الأمر"؟.

ولذلك أيضاً كانت الصحف فى أيامها الأولى تنشر الأنباء على حدة والآراء على حدة، فتصدر إحداها فى رسائل الأنباء والأخرى فى كراسات. وكان "دانيال ديفو"، هو أول من وحّد بين هذين التيارين الصحفيين فى مطبوع واحد أسماه "ذى ريفيو" أصدره فى لندن عام ١٧٠٤[1].

وينسب إلى "ديفو" أولية كتابة ما كان يسمى بالخطاب الافتتاحى Letter Introductory . وهو أول مقال حول موضوع سياسى أو اجتماعى تعليقا على الحوادث الجارية يكتب فى الصحافة الإنجليزية بأسلوب شائق جذاب، ويظهر عادة فى صدر الصحيفة وكأنه خطاب رقيق لطيف من الكاتب إلى القارئ، ولذلك سمّى بالخطاب الافتتاحى، وكان نواة للمقال الافتتاحى الذى نعرفه فى الصحافة الحديثة.

وقد كان المقال الافتتاحى فى القرن الماضى يشغل الصفحة الأولى وبعض أجزاء من الصفحات الأخرى، ولم يتزحزح عن مكانه الممتاز فى الصفحة الأولى إلا فى وقت قريب ـ أى منذ انحازت الصحافة الحديثة فى الفترة الأخيرة للأخبار، وقلت عنايتها نوعا ما بالمقال. وليس أدل على أهمية المقال الافتتاحى منذ نشأة الصحافة من أن كتاب هذا المقال كانوا ولا يزالون ـ نوابغ الصحافة فى كل أمة من الأمم، فى فترة من فترات التاريخ.

ففى الصحافة العربية اشتهر من كتاب المقال: **محمد عبده، واديب اسحق، وعبد الله النديم، والزعيم مصطفى كامل، وأحمد لطفى السيد، وعبد القادر حمزة، وأمين الرافعى وإبراهيم المازنى، وحسين هيكل، والعقاد، وطه حسين**، وغيرهم من أساطين الفكر والأدب والصحافة وفى **الصحافة الانجليزية** أسماء كتاب المقال من أمثال **ديفو وأديسون وستيل، وجونسون ووييلكيز وديكنز ولامب وبرنارد شو ووب** وغيرهم، وكذلك كان كتاب المقال من الأمريكيين من ألمع رجال الفكر والسياسة والأدب ومنهم **صمويل آدمز وجون آدمز وجوزيف وارن وصمويل كوين ورالف أمرسون ووالتر ليمان** وغيرهم.

---

(١) الدكتور ابراهيم امام: تطور الصحافة الانجليزية، ص ١٩٦، ١٠٣.

وقد كان المقال الافتتاحي ينهض بمهمة القيادة والزعامة، كما كان وسيلة التوجيه والارشاد والتنشئة الاجتماعية، والوسيلة المؤثرة لتكوين الرأى العام. ولا يزال المقال الافتتاحي يقوم بدور رئيسى فى الصحافة الرفيعة أو صحافة الرأى العام المستنير كصحيفة **التيمس** الانجليزية **والنيويورك تايمز** الامريكية **والموند** الفرنسية وغيرها، بل إن مقالات هذه الصحف قد تتجاوز فى أهميتها وتأثيرها حدود البلاد التى تنشر فيها الصحيفة؛ إلى بلاد أخرى(١).

ويطلق الانجليز والأمريكيون على المقال الافتتاحي اسم Leading Article أو اسم Editorial Article ، وهو المقال الرئيسى للصحيفة، وله فن خاص به من حيث الصياغة. وأساس هذا الفن هو الشرح، والتفسير والاعتماد على الحجج المنطقية حينا، والعاطفية حينا آخر، للوصول إلى غاية واحدة فقط، هى إقناع القارئ. كما أن كاتب المقال الافتتاحى فى الجرائد الكبرى مثل **(التيمس)** و**(الهيرالدتريبيون)** يكون معروفا لدى جمهور القراء، بمعنى أنهم قد تعودوا على أسلوب كاتب المقال الافتتاحي الذى يجب أن يتميز بالسلاسة والبساطة والوضوح والايناس بين الكاتب والقارئ. ولذلك نجد كاتب المقال الافتتاحى ــ الذى لا يوقع باسمه، معروفا لدى جمهور القراء الذين تآلفوا مع أسلوبه، وتعودوا على فتح الصحيفة فى صفحة معينة لقراءة ما يكتبه كاتبهم المفضل البسيط الأسلوب؛ المقنع فى حججه.

وقد أوحت لغة الصحافة المتطرفة فى حزبيتها، الصاخبة فى أسلوبها وعباراتها إلى عبقرية ــ ديفو إبداع المقال الهادئ المتزن، الذى يمحص الآراء ويختبر الحقائق ويناقش سياسة الحكومات فى هدوء وروية. وهكذا أنشأ ديفو ــ كما تقدم ــ فى تاريخ الصحافة الانجليزية مقالات سياسية معتدلة، ومنطقية متزنة. ثم تطور فن المقال الافتتاحي فى الصحف السياسية التى اشترك فيها "ديفو" حتى بلغ مرحلة الفن الناضج الذى يقوم على أسس معينة وتقاليد محترمة. وبفضل "ديفو"

---

(١) د. ابراهيم إمام: دراسات فى الفن الصحفى، ص ٢٠٩.

عرفت الصحافة أن المقال الافتتاحي ليس تعبيرا عن رأى الكاتب وحده أو وجهة نظره الخاصة، كما هى العادة بالنسبة لأنواع المقال الأخرى وفنونه المتعددة، بل إنه على العكس من ذلك ينبغى أن يكون تعبيرا دقيقا عن رأى الصحيفة وسياستها كمؤسسة اجتماعية عامة. فإذا كتب رئيس التحرير مقالا افتتاحيا فلا يجوز أن يضمنه رأيا شخصيا، وإنما يعبر عن سياسة الصحيفة وموقفها العام بالنسبة للشئون السياسية والاجتماعية. ولذلك فإن المقال الافتتاحي لا يمكن أن يُذيّل بتوقيع كاتبه وإلا كان التوقيع متعارضا مع فكرة المقال نفسه ووظيفته فى التعبير عن السياسة العامة للصحيفة، لا رأى الكاتب وحده" وتأسيسا على هذا الفهم لوظيفة المقال الافتتاحي ذهبت الصحافة الحديثة إلى تخصيص صفحة للرأى والافتتاحيات؛ تتألف من آراء الصحيفة نفسها وكذلك من آراء الآخرين، وقد تكون هذه الآراء الخارجية هى أفكار قراء الصحيفة ترد إليها على الطريقة المعروفة: "**رسائل إلى المحرر**" أومقتطفات موجزة من أعمدة الرأى المنشورة فى صحف أخرى، تنقلها تحت عنوان مثل "**من أقوال الصحف**" مثلا.

ويتحمل كتاب الافتتاحيات مسئولية كبرى تجاه الجمهور، إذ يتحتم عليهم أن يكونوا من ذوى الاطلاع الواسع، وأن يجعلوا من أنفسهم اختصاصيين فى الموضوعات التى يكتبون فيها وأن يكونوا منصفين فى الآراء التى يكونونها او يعبرون عنها، فليس هناك فى هذه الأيام إنسان واحد يستطيع أن يقتدى "بفرنسيس بيكون" و "يجعل المعرفة كلها ملك يديه" [1]على أن الأمر كما يقول "جافرى بارسونز" عندما كان المستشار الرئيسى لجهاز تحرير الافتتاحيات فى صحيفة "نيويورك هيرالد تريبيون"، هو ما يلى:

"كلما ازداد أساس المعرفة عند الكاتب متانة، ازدادت مقدرته على استنهاض الفكر فى أى موضوع فإن كاتب المقال الافتتاحي المجيد يخاطب من الناس عددا أضخم بكثير مما توصل إليه أى مدرس أو فيلسوف أو ناقد إطلاقا... وليس كثيرا عليه أى قدر من المعرفة، إذا كان عليه أن يستوقف انتباه جمهوره.

---

(١) بوند: مدخل فى الصحافة ص ٢٨٩، ٢٩١.

وإدراكا لهذه الأهمية، ذهب علماء الاجتماع إلى القول، إن الظروف والأحداث التى تمر بالانسان والتغيرات التى تطرأ على المجتمع لا يمكن أن يكون لها دلالة ما، أو يكون لها فى كيان الفرد أو المجتمع أثر ما؛ إلا إذا وعاها الفرد وأدركها وقدرها وكيفها؛ فإذا لم يحدث من ذلك شئ ظلت هذه الظروف والأحداث والتغيرات بعيدة عن وجدان الناس، بل أصبحت وهى فى حكم العدم(1).

وينعكس أثر هذه المعرفة التى يحصلها كاتب المقال الافتتاحى على ما يكتبه تحليلا للأخبار؛ وما وراء الأخبار، وعما يحمل كل خبر منها من مغزى، وبهذه الطريقة يستطيع الأفراد كما تستطيع الجماعات أن تحل مشاكلها التى تعرض لها، سواء أكانت هذه المشكلات نفسية، أو اقتصادية، أو سياسية، أو اجتماعية، ويكون الفضل فى ذلك راجعا إلى الصحافة، أو إلى ذلك الكاتب الذى انبرى للكتابة فى الوقت المناسب وأخذ يزج بنفسه فى تلك المشكلات، وإن لم يكن من الأفراد الذين تناولتهم كل مشكلة منها، أو اشتركوا فى إحداها على أية صورة من الصور.

بينما قد لا يشعر أصحاب هذه المشكلات التى أحاطت بهم وأصبح لها أثر فى حياتهم، وذلك لانعدام الوعى من جهة، ولعجزهم عن تصور حياة افضل، أو حالة أحسن من جهة ثانية.

ولذلك يرتبط المقال الافتتاحى - شأنه شأن فنون المقال عند الكتاب المقاليين فى الصحافة الحديثة بقيادة الفكر، التى تتوزعها فى العصر الحديث أمور مختلفة. إذ أن ظروف الحياة نفسها قد وزعتها بين هذه الأمور، فلم تستأثر الفلسفة، ولم يستأثر الشعر، ولم تستأثر السياسة، ولم يستأثر الدين، بقيادة الفكر فى فصل من فصول هذه القصص التى يكونها العصر الحديث، وإنما اشتركت هذه الأمور كلها فى قيادة الفكر، وأخذ كل منها بنصيب من توجيه العقل الانسانى والتأثير فى الحياة والشعوب.. وآية ذلك أنك تنظر فى أى وقت من أوقات هذا العصر الحديث، فإذا أنت أمام فلسفة تجاهد لتسيطر على الحياة، وسياسة تجاهد لتصوغ الحياة كما

(1) د. عبد اللطيف حمزه: المدخل فى فن التحرير الصحفى ص ٢٢٦.

تحب، وأدب يجدّ ليكون له التفوق والفوز، ولكل واحد من هذه الأشياء زعماؤه وممثلوه والداعون إليه والذائدون عنه، حتى الأوقات التى يخيل إليك فيها أن أمرا من هذه الأمور قد ظهر تفوقه واستأثر بالفوز والغلبة. فقد يخيل إليك "أن عصر الثورة الفرنسية مثلا كان عصر سياسة ليس غير، ولكن فكّر قليلا وأتقن درس هذا العصر، تجده عصر سياسة وعصر حرب، وعصر علم، وعصر فلسفة، وعصر تشريع، بل عصر دين أيضا، وتجد كل هذه الأمور تزدحم وتتنافس وتستبق إلى قيادة الفكر تريد أن تستأثر بها وتسيطر عليها".[1]

ولا شك أن توزع قيادة الفكر، وتنوع الموضوعات يؤديان خدمة جليلة للصحافة الحديثة واسعة الانتشار، والتى يختلف قراؤها اختلافا كبيرا فى الأذواق والأمزجة، فهناك مقالات حول الرياضة، وأخرى حول الفن، بالإضافة إلى السياسة والاقتصاد، والشئون العامة. على أن الصحافة لم تفد فحسب من هذا التوزع فى قيادة الفكر، ولكنها كانت سببا فى توزع هذه القيادة. ذلك أن الكاتب أو العالم أوالفيلسوف لم يكن أحدهم يظفر بانتشار كتبه فى العصور الأولى، الا إذ اظفر بشئ من الشهرة وبعد الصيت، يرغّب الناس فى آثاره. ولم يكن الظفر بهذه الشهرة سهلا ولا يسيرا، أما الآن فقد يسرت المطبعة على كل ذى رأى أن يذيع رأيه ويناضل عنه، وعلى كل باحث أن ينشر ثمرات بحثه بين الناس. ولم تكد تظهر المطبعة، وتأخذ فيما أخذت فيه من النشر والاذاعة، كما يقول طه حسين حتى "ظهرت آثار ذلك قوية فى حياة العصر الجديدة، فكثرت الآراء واختلفت أو قُلْ ظهرت كثرة الآراء واختلافها "واستطاعت أن تجاهد وتختصم وتتنافس فى قوة وسرعة لم يكن للناس بهما عهد من قبل"، ذلك أن المطبعة استتبعت شيئا آخر غير الكتب والرسائل، استتبعت الصحف اليومية والدورية. وقد أدّى ظهور "الصحف اليومية السياسية والعلمية والأدبية إلى توكيد توزّعُ قيادة الفكر، وانتهى به إلى حد غريب فقد كان العلماء والكتاب والفلاسفة والساسة ينشئون كتبهم وينشرونها، فيستغرق. ذلك منهم الأشهر والأعوام، ويستتبع ذلك بطئا فيما يكون بينهم من النزاع والنضال والاستباق إلى قيادة الفكر. أما بعد أن ظهرت الصحف فالنزاع

---

(1) د. طه حسين : قادة الفكر ص ١٣٣.

يومى، أو أسبوعى، أو شهرى، هو عنيف، وهو سريع، وهـو متصـل، وهـو مؤثـر فى توزيع قيادة الفكر، بمقدار ما يشتد ويسرع ويستمر[1].

وينعكس أثر توزع قيادة الفكر فى العصر الحديث، على مـا تكتبـه الصحـف من تحليل للأخبار وما وراءهـا، وعمـا يحمـل كـل خـبر مـن مغـزى، حتـى يتمكـن الأفراد والجماعات من حل المشاكل التى تعرض فى الحياة، سواء كانت مشـكلات نفسية أم اقتصادية أم سياسـية أم اجتماعيـة[2]، وفـى ذلـك مـا يؤكـد مسـئولية كـاتب المقال الافتتاحى تجـاه الـرأى العـام، فهـو يـدرك تمـام الإدراك أن صياغتـه للمقـال ليست صياغة أدبية، ولا هى صياغة غير ملتزمة، وإنما هى صياغة ترتبط بسياسة الجريدة مـن ناحيـة، واهتمـام القـراء وميولهـم، مـن ناحيـة أخـرى. ولذلـك نجـد أن افتتاحيات الصحف الكبرى تعكس توزُّع قيادة الفكر فيمـا تحتـوى عليـه مـن تعليـق سياسى، وآخر اقتصادى، وثالث اجتماعى، ولا تهمل التعليـق الطريـف أو الخفيـف الذى يقوم بالتسلية والامتاع.

وتتصل مهمة **الاقناع بالوظيفة التوجيهية** فى وظائف المقال الافتتاحى حيـن ينقل الكاتب إيمانه بأفكاره، على النحـو الـذى يجعلـه يحتـل دورا قياديـا فـى توجيـه الرأى العام، ذلك أنـه لا يكتفـى بنقـل الأفكـار وتفسيرها، ولا ينقـل إيمانـه بأفكـاره بتعبير عاطفى، ولكنه يؤثر ويدوم لتعلقه "بحرارة الفكر". أكثر من حرارة العاطفـة! ذلك أن المقال الصحفى لم يعد مجـرد توجيـه بلاغـى كمـا كـان فـى طـور التكويـن الصحفى، بل إنه على العكس من ذلك ينهج منهاجا فى التحريـر يقـوم علـى الدليـل والبرهان، ويعتمد علـى الحقـائق والأرقـام والبيانـات والإحصـاءات الدقيقـة. وهـذه وسائل الإقناع والتوجيه والإرشاد وهى التى تعطيه من القوة والتأثير مالا يمكن أن تحققه الألفاظ الضخمة الجوفاء[3].

---

(١) الدكتور طه حسين: المرجع السابق ص ١١٥.

(٢) الدكتور عبد اللطيف حمزة: مرجع سبق ص ٢٢٧.

(٣) د. ابراهيم إمام: السابق ص ٦٨.

وفى ذلك ما يؤكد على مسئولية كتاب المقال الافتتاحى كصاغة للرأى العام. الأمر الذى تشهد به لهجة القواعد والمبادئ التى نسقها وانتهجها المؤتمر الوطنى لكتاب الافتتاحيات فى الولايات المتحدة، فقد جاء فى فذلكة هذه القواعد "أنه يجب على كاتب المقال الافتتاحى، إذا كان يتوخى الأمانة لمهنته ومجتمعه، أن يجدّ فى أثر الحقيقة أنىّ أدى به المطاف".

وفيما يلى النقاط الأساسية لهذا القانون:

١ـ ينبغى على كاتب المقال الافتتاحى أن يعرض الحقائق بأمانة واكتمال.

٢ـ ينبغى عليه أن يخلص من الحقائق التى يوردها إلى نتائج موضوعية، وأن يدعمها بالبيانات، وأن يقيمها على مفهوم الخير الأعم.

٣ـ ينبغى عليه ألاّ يكون مدفوعا أبداً بمصلحة شخصية.

٤ـ ينبغى عليه أن يدرك أنه ليس معصوما من الخطأ، وأن يفسح مجال القول لمن يخالف رأيه، فى عمود رسائل القراء وغير ذلك من الوسائل الملائمة.

٥ـ ينبغى عليه أن يعيد النظر فى استنتاجاته الخاصة وأن يصحّح ما انتهى إليه منها إذا وجدها مرتكزة على مفاهيم خاطئة سابقة.

٦ـ ينبغى أن يكون من الشجاعة بحيث يصمد لما يقتنع به على أسس متينة؛ وألا يكتب أبدا أى شئ ضد ضميره. وعندما تكونْ صفحات الافتتاحيات نتاج أكثر من ذهن واحد، فإن الوصول إلى رأى جماعى سديد لا يتم إلا عن طريق الآراء الفردية السديدة.، لذلك ينبغى احترام الآراء الفردية الصادرة عن تفكير.

٧- ينبغى عليه أن يؤازر زملاءه فى تمسكهم بأعلى مستويات الاستقامة المهنية.

ونتيجة لهذه الأهمية التى أحرزها المقال الافتتاحى منذ نشأة الصحافة، فقد احتل الصفحة الأولى من صفحات الجريدة، بحيث كان أول شئ يطالعه القراء فيها، ولم يتزحزح المقال الافتتاحى عن مكانه الممتاز فى الصفحة الأولى إلا فى

وقت قريب ـ أى منذ "انجازت الصحافة الحديثة فى الفترة الأخيرة إلى الخبر، وقلّت عنايتها نوعا ما بالمقال وليس أدل على أهمية المقال الافتتاحى منذ نشأة الصحافة؛ من أن كتاب هذا المقال كانوا ولا يزالون ـ نوابغ الصحافة فى كل أمة من الأمم، بل فى كل فترة من فترات التاريخ[1]".

ففى الصحافة المصرية كان يكتب المقال الافتتاحى للمجلة أو الصحيفة، أمثال: محمد عبده، وأديب اسحق، وعبد الله النديم، وابراهيم المويلحى والسيد على يوسف والزعيم الشاب مصطفى كامل، وأحمد لطفى السيد، وعبد القادر حمزة، وأمين الرافعى، وابراهيم المازنى، وحسين هيكل، وغيرهم من أساطين الأدب والفكر والصحافة جميعا كما تقدم.

وفى الصحافة الانجليزية وجدنا المقال الافتتاحى مكتوبا بأقلام "ديفو"، و"أديسون"، و"جونسون"، و"ستيل"، "ويلكز"، و"سويفت" وغيرهم.

وقد أصبح للافتتاحية فى الجريدة المعاصرة صيغة صحفية مميز.، وأقرب الأشكال إليها هو المقال.. الا أن الفرق بينهما يكمن فى أن الافتتاحية موجزة وذات طبيعة معاصرة، أما المقال فهو اليوم على قدر من الازدهار ويسر المطالعة، مثله يوم خطّه قلم الكاتب لأول مرة. فما كتبه "أديسون" أو "ستيل" فى القرن الثامن عشر لم يفقد قيمته اليوم، لأنه يعالج كقاعدة؛ موضوعا ذا قيمة أساسية. أما الافتتاحية التى كتبت فى القرن الثامن عشر فانها لا تستوقف الاهتمام اليوم إلا لمجرد ما تنطوى عليه من قيمة أثرية، ذلك أنها تكون قد عالجت موضوعا ذا علاقة آنية بذلك الوقت فحسب[2].

وتأسيسا على هذا الفهم فإن يمكن تعريف المقال الافتتاحى يذهب إلى أنه:

---

(١) د. عبد اللطيف حمزة : المدخل ص ٢٢٧.

(٢) بوند: مدخل ص ٢٩٣.

مقال قصير وثيق الارتباط بالزمن الذى يصدر فيه.

أما الغرض الذى يرمى اليه هذا المقال الافتتاحى فهو عرض الرأى الذى تراه الصحيفة نفسها، متوسلة بطرق متنوعة لبيان هذه الأفكار والآراء.

ومما يذكر فى هذا الصدد أن "آرثر بريسبين"، الذى كان له أتباع كثيرون فى أيامه كان يعتقد أن مجال كاتب الافتتاحية إنما يقوم على أداء أغراض، هى: أن **يُعلّم، ويُنازل ويُدافع ويمتدح**.. والتعليم هو أهم هذه الأغراض وأصعبها. والنزال أسهلها وأبغضها إلى النفس، وإن كانت دواعيه ضرورية فى بعض الأحيان.

أما الدفاع عن القضايا الخيّرة، وعن الضعيف ضد القوىّ، وعن الفكرة الجديدة والحيلولة دون تسفيهها، فأمرٌ مهم؛ يهمله كتاب الافتتاحية عادة.

وكذلك الثناء مهملٌ أيضا إلا على الصعيد الحزبى دون أن يكون له معنى ما.

إن وظيفة الافتتاحية، من وجهة نظر مثالية، هى إعلام الرأى العام، والأخذ بيده. فهى تفسر النبأ السائر للقارئ وتبين ماله من دلالة. وتقول فى ذلك جريدة "نيويورك تايمز". إذا ضلت الوظيفة القيادية طريقها فى بعض المواضع بين وقت وآخر، فإن العامل المعتمد عليه فى التصويب جاهز دائما فى متناول اليد؛ وذلك إذا كانت أعمدة الأنباء تعرض الحقائق بأمانة.

ونخلص مما تقدم إلى أن الخصائص التى يتميز بها المقال الافتتاحى فى الصحافة المعاصرة إنّما تتلخص فيما يلى [1]:

أولا- خصيصة الثبات على سياسة واحدة هى سياسة الصحيفة، إذ لا يصحُّ لهذه الصحيفة أن تكون مذبذبة بين سياسات كثيرة لأنها بذلك تفقد أهميتها كصحيفة من صحف الرأى.

---

(١) د. عبد اللطيف حمزة: المدخل ص ٢٢٠.

ومن أجل هذا يراعى فى المقال الافتتاحى عادة ألا يكون مذيّلاً بتوقيع كاتبه، لأنه مقال منسوب إلى الصحيفة نفسها؛ بوصفها هيئة من هيئات الإعلام، لها سياستها وهدفها من وراء هذا الإعلام.

ثانيا ـ خصيصة الحذر والاحتياط فى إبداء الرأى، لأنه مادام رئيس التحرير أوكاتب المقال الافتتاحى لا يعبر عن رأيه الشخصى، بل عن رأى الصحيفة باعتبارها مؤسسة اجتماعية وظيفتها ـ الإعلام ـ وجب عليه أن يصطنع الحيطة فيما يكتب من مواد باسم الصحيفة: وإلا عرّضها للخطر.

وهنا تثار مسألة تتصل "بضمير الكاتب": فهل معنى ما تقدمّ؛ أن الكاتب ينبغى أن يخالف ضميره فيما يقدم للقراء من هذه المادة الصحفية الهامة التى قلنا إنها ملك الصحيفة قبل أن تكون ملكاً للكاتب من كتابها؟

والجواب عن ذلك ـ كما يقول الدكتور سبنسر ـ هو أن الكاتب الذى يختلف فى وجهة نظره عن وجهة نظر الصحيفة يجب ألاّ يجعل من المقال الافتتاحى مجالاً.. لإظهار ذلك.

وباختصار يجب أن يعرف المحرر الصحفى للمقال الافتتاحى أن هناك ثلاثة أشياء يؤثر بعضها فى بعض ويعتمد بعضها على بعض ويتداخل بعضها فى بعض، وهذه الأشياء الثلاثة هى:

سياسة الجريدة، وصياغة المقال، واهتمام القراء[1]. والواقع أن وظيفة كاتب الافتتاحية تظل هى هى كما كانت دائما؛ تفسير الأنباء، إرشاد الرأى، والقيام بالحملات من أجل مساندة القضايا العادلة. ولكن النطاق الذى يعمل الكاتب ضمنه قد اتسع.

وليس الترفيه أقل خصائص المقال الافتتاحى شأنا. فإن كاتب المقال الافتتاحى كثيرا ما يجد هذه المهمة أصعب من مجرد مناقشة قضية ما أو عرض عقيدة سياسية ما.. بيد أن الاتجاه الحديث المتزايد يذهب نحو إشاعة الإشراق على صفحة الرأى والافتتاحيات بما يسمى الافتتاحيات "الرشيقة المرحة" المختلفة عن الافتتاحيات التقليدية، كالبحث فى قاعدة لغوية ومداعبة الشاذ عنها أو المتمسك بأصولها حتى التعصب.

---

(١) د. حمزة: المدخل ص ٢٣١.

تلك فـى ايجـاز شـديد، هـى أهـم خصـائص المقـال الافتتـاحى فـى الصحافـة العالمية والتى اكتسبها نتيجة لتطور الصحافـة نفسـها. فـأصبحت الصحافـة الحديثـة تعمد إلى كتابة العمود الرئيسى أو المقال الافتتاحى على نحو من الايجاز فى عمود واحد من أعمـدة الصحيفـة. وفـى هـذا العمـود مقـال واحـد حينـا، ومقـالان أوثلاثـة حيناً آخر.

وذلـك لكـى تفسـح المجـال لبقيـة المـواد الصحفيـة الأخـرى التـى لـم تعرفهـا الصحافة القديمة، أو كانت معرفتها بها قليلة.

الوحدة العضوية فى تحرير المقال الافتتاحى:

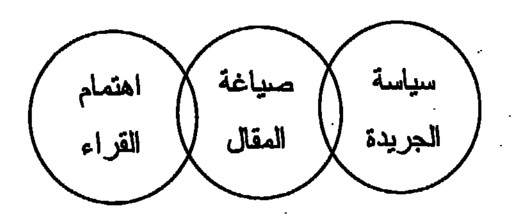
ونخلص مما تقدم إلى أن المقال الافتتاحى "وحدة" مستقلة، وليس مجرد سرد للحقائق، أو إتيان بالشواهد، أو إيـراد للأمثلـة .. إنـه وسيلة للتعبـير عـن رأى مـن آراء الصحيفة، أو منحىً مـن المنـاحى التـى تـروج لهـا فـى الاجتمـاع أو السياسـة أو الفكر. ولذلك نجد الكاتب المقالى يبسـط هـذه الآراء والمذاهـب ويبسـط الحقـائق التى يوردها لقرائه، بحيث تدعـم فكـرة المقـال، وموضوعـه، وغايتـه التـى تتصـبّ دائما حول غرض واحد.

وأغلب الظن أن هذه "الوحـدة"، التـى تربـط بيـن أعضـاء المقـال الصحفـى، أوثق ارتباطا بما ذهب إليه نقاد الأدب من الدعـوة للوحـدة العضويـة فـى القصيـدة، فلاحظنا فيما سقناه من نماذج وما اطلعنا عليه من التراث الصحفى[1]، أن المقـاليين يراعون التّسب بين الأفكار والشواهد وبين الشكل الخارجى للمقال أو البناء الفنـى، بحيث يخرج المقال الصحفى متكامل الأجزاء متناسق الشكل والمضمون. وفى هـذا الاطار الفنى فقد مهّد الكتاب المقاليون فى أدبنا الحديث لتحقيق شـكل جديـد للمقـال

(١) انظر: ١ـ فن المقال الصحفى فى أدب طه حسين، القاهرة، هيئة الكتاب.
٢ـ فن المقال الصحفى فى أدب محمد حسين هيكل، القاهرة هيئة الكتاب.
٣ـ عصر العقاد، صفحات مطوية فى تاريخ الصحافة المصرية، القاهرة مؤسسة مختار.
٤ـ أدب المقالة: مؤسسة لونجمان ـ مكتبة أبو الهول.
٥ـ فنون المقال بين الصحافة والأدب ـ القاهرة مؤسسة مختار.
٦ـ التفسير الاعلامى لأدب المقالة؛ القاهرة مؤسسة مختار.
٧ـ فن المقالة من المعاصرة إلى الأصالة، بيروت دار الجيل.
٨ـ المقالة الادبية وعصر الاحترام؛ بيروت دار الجبل
٩ـ فن المقال الصحفى؛ دار المعارف (سلسلة كتابك)
١٠- الأسس الفنية للتحرير الصحفى؛ دار قباء للطبع والنشر

الافتتاحى فى الصحافة العربية، يؤدى عنها أفكارها الجديدة فى السياسة والاجتماع، على النحو الذى حقق للمقال الصحفى التجديد والتحرر البيانى، كما أظهرتنا الدراسة الأسلوبية لمقالات طه حسين وهيكل والعقاد.

ويذهب علماء الفن الصحفى إلى أن كاتب المقال الافتتاحى فى الصحيفة، يجب أن يتمثل فى رؤياه الابداعية ثلاثة عناصر متداخلة، يؤثّر بعضها فى بعض، ويعتمد بعضها على بعض، ويتداخل بعضها فى بعض، كما يصورها أستاذنا د. حمزة رحمه الله على النحو التالى:



ويمكن صياغة هذه العناصر رياضيا على النحو التالى:

سياسة الجريدة + صياغة المقال + اهتمام القراء = المقال الافتتاحى

وهى كما يبين من النموذج؛ عناصر متداخلة يصدر عنها الكاتب فى رؤياه الإبداعية، ليصل بالمقال الافتتاحى إلى هدف الصحيفة المنشود، وإفادة القارئ الذى تتوجه اليه.

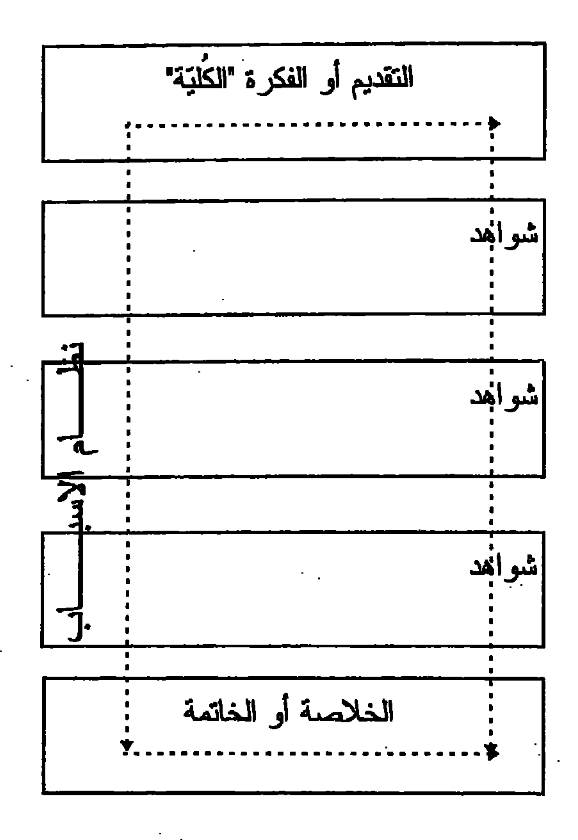
أما بناء المقال الافتتاحى، فيقوم على ثلاثة عناصر هى:

١- **عنصر التقديم أو الفكرة الكُليّة المثيرة لاهتمام القارئ.**

٢- **عنصر الحقائق والشواهد المؤيدة للفكرة الكُليّة.**

٣- **عنصر الخلاصة التى يخرج بها القارئ من المقال.**

وهذه العناصر يتألف منها "بناء" المقال الافتتاحى، على النحو الذى يوضحه النموذج التالى:



أولا: عنصر التقديم أو الفكرة الكُليّة فى المقال الافتتاحى:

يرتبط هذا العنصر ارتباطا "عضويا" بعنوان المقال، الأمر الذى يؤكد ما ذهبنا إليه فيما يتعلق بالوحدة التى تربط بين أجزاء النّص، فالتقديم لا يمكن أن ينفصل عن عنوان المقال بحال من الأحوال، بل إن كليهما متمم للآخر، ولعل فى ذلك ما يفسر إيثار كاتب مقالى كبير مثل طه حسين لاختيار كلمة واحدة يعنون بها المقال. يختارها كلمة مشعّة موحية بمضمونه، لا تنفصل عن مقدمته أو صُلبه أو خاتمته، ومن ذلك مقال بعنوان: **(شجاعة)**: يستهله بقوله :

"شجاعة نادرة باهرة هذه التى يتمتع بها بعض النواب إذا تحدثوا عن خصومهم، أفرادا وجماعات تحت قبة البرلمان. فهم يطلقون ألسنتهم فى هؤلاء الخصوم بالحق والباطل، وبالخطأ والصواب، وبالجد والهزل، لا يقدرون شيئا، ولا

يحسبون حسابا، وإنما ينطلقون وكأنما خُلّىَ بينهم وبين الحركة، فليس إلى تسليتهم ولا إلى تهدئتهم من سبيل[1]".

وتستخدم جريدة الأهرام في مقالها الافتتاحي عنوانا مشتقا من موضوع المقال، بحيث يدل عليه دلالة مباشرة: مثل:

- مصر وصندوق النقد الدولي[2]
- و: عدم الاستقرار المزمن في أفغانستان[3].

كما يتضح في النموذج التالي:

رأى الأهرام

مصر وصندوق النقد الدولي [4]

بعد عدة سنوات من المفاوضات المستمرة بين مصر وصندوق النقد الدولي يمكن القول بدون مبالغة أن سياسة الاصلاح الاقتصادي أتت ثمارها ونجحت في تخطي الكثير من العقبات التي عجزت دول اخرى كثيرة عن تجاوزها. وتنتهي هذه الرحلة الشاقة بالنجاح لتؤكد ثقة المجتمع الدولي ومنظماته المالية الكبرى في الاقتصاد المصري ولتفتح منافذ أخرى يتدفق من خلالها الاستثمار الأجنبي بما يعني دعم الجهود المبذولة لرفع مستوى عيشة المواطنين، وبالاتفاق الأخير يصبح بالإمكان إسقاط الشريحة الأخيرة من الديون الملغاة وقيمتها ٤ مليارات دولار.

والواقع أن هذا النجاح في المفاوضات مع صندوق النقد لم يكن مفاجأة ولكن الجديد في الأمر أنها تجربة يحق لمصر أن تفتخر بها وتعزز ثقتها في النفس وآمالها في المستقبل من حيث القدرة على اقامة علاقات وثيقة مع

---

(١) صحيفة كوكب الشرق في ١٩٣٤/٤/٢٠.

(٢) جريدة الأهرام في ١٩٩٦/١٠/١٠.

(٣) نفس المرجع.

(٤) جريدة الأهرام في، أكتوبر ١٩٨٦.

المنظمات المالية العالمية لدعم مشروعات التنمية فى السنوات المقبلة. لقد كان واضحا منذ بداية المفاوضات مع صندوق النقد أن هناك جدية من الجانب المصرى فى الإصلاح برغم صعوبة الميراث القديم من السياسات والتشريعات التى أعاقت التطور الاقتصادى وكان واضحا أن هناك تخطيطا يجعل التحول من مرحلة إلى أخرى مضمون العواقب لصالح الصندوق ولصالح مصر أيضا. وكانت الحكومات المصرية عند مستوى التحدى فلم تفرط فى أساسيات الموقف المصرى ولم تصطدم بمطالب الصندوق وانما واءمت بين الأمرين بتفكير خلاق ومبدع. وبجانب ذلك كان هناك عامل حاسم ساهم إلى حد كبير فى أن تكلل كل الجهود بالنجاح، ألا وهو الدور الذى لعبه الرئيس حسنى مبارك نفسه باتصالاته الدولية الموسعة وعلاقاته القوية مع قيادات الدول الكبرى صاحبة الكلمة فى سياسات الصندوق، والمكانة السياسة التى تحققت لمصر على المستوى الدولى بفضل الدور البارز الذى لعبته مصر فى قضية السلام بالمنطقة وعلى مستوى العالم.

لقد كسبنا الثقة فى أنفسنا أولا بالإرادة والرغبة الصادقة فى الإصلاح وتحمل الشعب الكثير من التضحيات التى لم يكن هناك بد من تحملها، وكان ذلك هو مدخلنا فى كسب ثقة العالم أيضا والتى انعكست فى التعاون من أجل دعم التنمية فى مصر.

انها حقا تجربة ناجحة وفريدة استفادت منها مصر وهى تخوض معركة التحول الاقتصادى من التخلف إلى الرفاهية فى ظل السلام، ولا شك أن دولا كثيرة أخرى ستسعى للاستفادة من التجربة المصرية"

عدم الاستقرار المزمن فى أفغانستان[1]

تعانى أفغانستان من حالة مزمنة من عدم الاستقرار التى أدت إلى الاطاحة ببنية الدولة منذ قيام القوات السوفيتية بالتدخل فيها لدعم نظام نجيب الله الشيوعى فى مواجهة معارضيه المسلمين فلسنوات طويلة دار قتال عنيف بين فصائل المجاهدين الأفغان تدعمهم أطراف مختلفة مجاورة وغير مجاورة من ناحية، وقوات الحكومة يدعمها الجيش السوفيتى "السابق" من ناحية أخرى.

(١) جريدة الأهرام فى ١٠ أكتوبر ١٩٨٦

وكان من المعتقد أن انتصار المجاهدين الأفغان فى بداية التسعينات، وانسحاب القوات المتدخلة سوف يوقف هذه الدائرة، لكن عدم الاستقرار قد استمر بصورة ربما تكون أكثر عنفا، بفعل تفجر القتال بين الفصائل الأفغانية ذاتها بهدف واضح هو السيرطة على السلطة. وتم التوصل فى أوقات مختلفة إلى "صيغ" لاقتسام مواقع الحكم فى البلاد، إلا أن هذه الصيغ ظلت قائمة على الورق فقط بينما يتم تسيير التفاعلات بين تلك المجموعات عن طريق السلاح. وفشلت محاولات الأطراف الخارجية، بما فيها الأمم المتحدة، فى مجرد وقف القتال. ودخلت أفغانستان دورة جديدة بظهور حركة طالبان، وقيامها باجتياح مناطق الفصائل الأخرى وصولا إلى العاصمة كابول بدعم سياسى وعسكرى من أطراف مختلفة، بحيث وصلت الأمور إلى "مفترق مهم" فإما أن يتم حسم الأمور من خلال الاجتياح العسكرى، أو يتم التوصل إلى صيغة تسوية سلمية، أو تتداخل الأمور مرة أخرى، وتبدو جميع الاحتمالات قائمة، لكن اذا بدأت مرحلة جديدة من عدم الاستقرار هذه المرة، فانها ستكون طويلة، ودموية.."

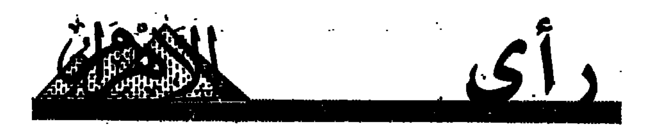
ثانيا: عنصر الحقائق والشواهد:

والعنصر الثانى من عناصر تحرير المقال الافتتاحى، وهو **عنصر الحقائق والشواهد المؤيدة للفكرة**. وهو عنصر يرتبط بعنصر التقديم ارتباطا عضويا وثيقا. ولكن هذه الوحدة "العضوية" فى المقال الافتتاحى لا تقوم على الترتيب الاحتمالى، بقدر ما تقوم على ترتيب المنهج الاستقرائى. ويقصد بالوحدة العضوية فى المقال الافتتاحى وحدة الموضوع، ووحدة الأفكار والآراء التى يثيرها الموضوع، وما يستلزم ذلك من ترتيب الشواهد المؤيدة لهذه الأفكار والآراء؛ ترتيبا استقرائيا؛ به يتقدم المقال شيئا فشيئا حتى يصل إلى "خلاصة" تمثل العنصر الأخير من عناصر التحرير فى المقال، يستلزمها هذا الترتيب الاستقرائى للأفكار والشواهد والصور، بحيث تبدو عناصر المقال كالبنية الحية، لكلّ جزء وظيفته فيها، يؤدى بعضها إلى بعض عن طريق التسلسل فى التفكير والمشاعر.

وتقوم هذه الوحدة فى المقال الصحفى على التفكير الابداعى النابع من رؤية الكاتب المقالى فى منهج المقال، وفى الأثر الاقناعى الذى يريد أن يحدثه لدى قرائه، وفى الأجزاء التى تتدرج فى إحداث هذا الأثر الوظيفى بصفة عامة، بحيث

تتمشى مع بنية المقال بوصفها وحدة حية، ثـم فـى الأفكـار والآراء والشـواهد التـى يشتمل عليها كل جزء، حتى يتحرك به المقال إلـى الأمـام لإحداث الأثـر الوظيفـى المقصود منها، عن طريق التتابع الاستقرائى، وتسلسل الشواهد او الأفكار.. ووحدة الطابع والوقوف على المنهج على هذا النحو - الذى تعرفنا عليه عند الحديـث عـن الرؤيا الإبداعية فى مقال طه حسين - يساعد على ابتكار الأفكار الجزئية والشـواهد التى تساعد على توكيد الأثر الوظيفى المراد فى المقـال .. ذلـك أن دراسـة الرؤيـا الابداعية فى المقال الصحفى تُظهر لنا إدراك الكاتب لمنهجه جملـة وفـى وضـوح؛ قبل الشروع فى الكتابة والتحرير. وهو المنهج الذى يشبه ما قاله ابـن طباطبـا فـى وصـف عملية نظم الشعر على الطريقة العربيـة، إذ يقـول: "فـإذا أراد الشـاعر بنـاء قصيدته محص المعنى الذى يريد بناء الشعر عليه فى فكره نثرا، وأعد له ما يلبسه إياه من الألفاظ التى تطابقه، والقوافى التى توافقه، والـوزن الـذى يسلس لـه القـول عليه، فإذا اتفق له بيت يُشاكل المعنى الذى يرومـه أثبتـه، وأعمـل فكـره فـى شـغل القوافى بما تقتضيه من المعانى، على غير تنسيق للشعر وترتيب لفنون القول فيـه، بل يعلق كل بيت يتفق له نظمه، على تفاوت ما بينه وبين ما قبله، فإذا اكتملـت لـه المعانى، وكثرت الأبيات، وفق بينها بأبيات تكون نظاما لها، وسلكا جامعا، ويسـلك الشاعر منهاج أصحاب الرسائل فى بلاغاتهم، وتصرفهم فى مكاتباتهم، فإن للشـعر فصولا كفصول الرسائل".

وفيما يلى نمـوذج للمقـال الافتتـاحى فـى لجريـدة الأهرام يـوم ١٠ ديسـمبر ١٩٩٦ تحت عنوان:



مصر.. والعمل العربى المشترك

انطلاقا من موقعه كرئيس للقمـة العربيـة، بعـث الرئيس حسـنى مبـارك رسـائل إلى قادة الدول العربية خلال الأيام القليلة الماضيـة، أطلعهم مـن خلالهـا على آخر التطورات على الساحة العربية، بالاضافة إلى مستجدات مسيرة السلام فى المنطقة.

وتأتى هذه المبادرة من جانب القيادة السياسية العليا فى التوقيت المناسب تماما وتتوافق مع المسئولية التاريخية الملقاة على عاتق مصر فى قيادة العمل العربى المشترك ولتحقيق الطموحات القومية فى بلوغ أقصى غايات الأمن والاستقرار والانطلاق بمعدلات التنمية الاقتصادية والاجتماعية العربية إلى المستوى اللائق.

ومن حسن الطالع، أن الساحة العربية بدأت تستجيب فعليا لكل ما من شأنه توفير حالة من التعاون والتنسيق المتبادل والمشترك على الأصعدة السياسية والاقتصادية بشكل خاص، وفى جميع المجالات بحديها الأقصى والأدنى بصفة عامة، وقد برزت هذه المؤشرات عقب نجاح القمة العربية بالقاهرة، فضلا عن تأكيدها بكل جدية ووضوح فى المؤتمر الاقتصادى الاقليمى الثالث، وكذلك فى الاجتماعات والمؤتمرات الاقليمية والدولية التى يلتف العرب حول مصالحهم المشتركة فى أعمالها.

واذا كان العالم كله يتجه الآن نحو التكتلات الاقتصادية والتجمعات الإقليمية، فمن الطبيعى أن تدفع هذه التطورات لإيقاظ الضمير العربى، الذى مرت به سحابة صيف عابرة، وتغذية شرايين مؤسسات العمل العربى المشترك بالدماء بعد أن كادت تتوقف عن القيام بمهامها لأسباب مالية واضحة وسياسية مستترة، والأهم من ذلك كله، هو فتح آفاق جديدة للتعاون العربى الفعلى والاستفادة من التجارب الماضية بتجنب تعارض هذا التعاون مع المصالح الوطنية العليا، واحترام السيادة وعدم التدخل فى الشئون الداخلية لكل دولة، وهذه ليست معوقات للتعاون بقدر ماهى الأساس الصلب الذى نجحت تجمعات وتكتلات أخرى فى البناء عليها، وقد تقدمت بخطى سريعة ونحن نملك كل المقومات للحاق بها".

ومن ذلك النموذج يبين لنا ماتعنيه بحدثينا عن المنهج الاستقرائى فى بنْية المقال، فهو يقسم المشكلة إلى ميدانين واضحين ويبدأ من "الكُلىّ إلى الجزئى" فالكُلى فى تقديم المقال هنا هو "العمل المشترك" والجزئى هو ما يتفرع عن تقسيم المشكلة من شواهد، يقوم فيها المقال بإحصاءات شاملة، وفقا للمنهج سواء فى

الفحص عن الحدود الوسطى أوفى استعراض عناصر المسألة بحيث يتحقق أنه لم يغفل شيئا. فالمنهج التحريرى فى المقال الافتتاحى استنباطىٌ استقرائىٌ يضع المبادئ البسيطة الواضحة ويتدرج منها إلى النتائج.

وفى المقال الافتتاحى، يتدرج الكاتب فى استقصاء شواهده، ثم يتدرج فى تصوير الفكرة المحورية من خلال الشواهد والحقائق التى تؤيد فكرته الكلية المطروحة فى مقدمة المقال.

وفيما يلى نقرأ هذا النموذج:



البيان الثانى لحكومة الجنزورى [1]

"بكل التفاؤل والطموح فى مستقبل أفضل، استقبلت الجماهير العريضة من شعبنا بالأمس بيان الحكومة أمام مجلس الشعب، وقد جاء البيان ـ وهو الثانى منذ تشكيل حكومة الجنزورى فى يناير الماضى ـ مكملا ومتمما للخطوات الجادة والجريئة فى اتجاه تسريع معدلات الإصلاح الإقتصادى، وحل المشكلات التى واجهت المواطنين نتيجة لهذه السياسات، وأيضا وهو الأهم ـ فتح آفاق جديدة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية التى يقودها الرئيس حسنى مبارك، خارج الوادى القديم، وفى كل ربوع مصر على السواء.

(لقد أكد رئيس الوزراء ـ فى بيانه ـ أن الخروج من الوادى الضيق يمثل المحور الرئيسى لاستراتيجية الحكومة بما يتضمنه من تخطيط شامل لتنفيذ جميع المشروعات القومية، التى أعلنت عنها، ومن بينها المشروع العملاق لتنمية جنوب الوادى بتكلفة استثمارية تبلغ ٣٠٠ مليار جنيه، ويغطى ٥٨٪ من أرض مصر، ويضيف مساحة زراعية تبلغ نصف مليون فدان كمرحلة أولى، وتصل فى نهاية مراحلها إلى نحو مليونى فدان، ويوفر أكثر من ربع مليون فرصة

---

(١) جريدة الأهرام فى ٢٤ ديسمبر ١٩٩٦.

عمل ويضم ٢٥ منطقة للصناعات الثقيلة، وهو ماسيساهم بكل تأكيد ـ فى تخفيف معدلات البطالة وفتح أبواب جديدة للرزق أمام الأجيال القادمة).

(ويرفع رصيد الحكومة الإيجابى على مدار العام وعملها الدءوب الذى شهدت به المعارضة قبل الأغلبية وتمثل شبه إجماع فريد من نوعه فى الحياة السياسية المصرية المعاصرة، إلى الثقة المطلقة فى كل ما ستتقدم به الحكومة من برامج للتنمية فى جميع المجالات، ومن حسن الطالع، أن هذه المعطيات تتزامن جميعها مع تمتع بلادنا بالاستقرار السياسى والاقتصادى والاجتماعى والأمنى، واحتلالها المكانة المرموقة والمناسبة إقليميا ودوليا.

القمة الأوروبية ومشكلة البطالة

خرجت القمة الأوروبية التى عقدت فى العاصمة الأيرلندية منتصف الشهر الحالى بين زعماء أوروبا الموحدة، بالعديد من النتائج المهمة بما سيؤثر على مسيرة الوحدة الأوروبية مستقبلا. وبينما تضمن جدول أعمال القمة العديد من الموضوعات، فلربما كانت اهم الموضوعات التى نالت النصيب الأعظم من المناقشة هو ذلك المتعلق باتفاق الاستقرار الخاص بتطبيقات معايير الانضمام للعملية الموحدة كما هو مقترح فى يناير ١٩٩٩. وقد تمت الموافقة على ألا يتجاوز العجز فى الميزانية نسبة ٣٪ المقترحة، مع وضع معايير لمعاقبة الدول التى تتخطى نسبة العجز المحددة، مع إعطاء هوامش لوزراء المالية الخمسة عشر فى حالات الاستثناءات المؤقتة حتى لا تقع دولة تحت طائلة العقوبات فى ظل ظروف وحالات خاصة ذات طبيعة مؤقتة. ورغم أن المحللين يرون أنه ليس هناك خاسر أو كاسب فى دبلن وأن أوروبا هى الكاسب الوحيد، إلا أن الرئيس الفرنسى جاك شيراك نجح فى إدخال كلمة تنمية على اتفاقية الاستقرار لتصبح اتفاقية الاستقرار والتنمية. وفى هذا السياق يلاحظ أن هناك اتجاها اجتماعيا جديدا لايلاقى كل الترحيب من جانب ألمانيا، وقد صرح الرئيس الفرنسى بأن أوروبا لا يمكن أن تختصر إلى مجرد مشروع نقدى لأنها فى تلك

الحالة ستفقد روحها. كما أعلن الرئيس الفرنسي أن ما تم هو نتاج إعلان النموذج الاجتماعي الأوروبي، والذي يفتح المجال للحوار حول البطالة والتشغيل داخل أوروبا الموحدة من أجل موقف جماعي لحلها في الوقت الذي تعاني فيه أوروبا من أسوأ معدلات للبطالة منذ ما يقرب من خمسة عقود"[1].

ويخلص الكاتب من استعراض الشواهد وفق "نظام الأسباب"، إلى النتيجة الطبيعية لتسلسل الشواهد التي ساقها المقال:

وفيما يلي نقرأ نموذجاً آخر للمقال الافتتاحي في جريدة الأخبار:

السلام والاستيطان لا يلتقيان

بعيدا عن اتفاق إعادة انتشار الجيش الإسرائيلي في مدينة الخليل عاصمة الضفة الغربية المحتلة الذي من المفترض أن يكون قد تم توقيعه امس بين إسرائيل والسلطة الوطنية الفلسطينية.. يدين العمل الارهابي الذي ارتكبه جندي نظامي إسرائيلي عمره ١٩ سنة أمس الأول العديد من النقاط التي لابد من وصفها في الاعتبار. فالجندي الإسرائيلي ناعوم فايدرمان الذي يؤدي الخدمة العسكرية منذ سبعة أشهر في وحدة إدارية بعيدة عن مدينة الخليل اعترف بأنه جاء إلى المدينة من أجل إرتكاب اعتداء ينسف امكانية التوصل إلى اتفاق مع الفلسطينيين على إعادة الانتشار.. وهو كان يستهدف أحداث مواجهة مسلحة بين قوات الشرطة الفلسطينية والجنود الإسرائيليين في وسط المدينة. وهذا الجندي النظامي هو أحد مستوطني مستوطنة "معاليه أدويم" الواقعة بين أريحا والقدس.. وهو قال لتليفزيون إسرائيل إنه غير نادم على فعلته قبل أن يقول للمحققين إنه سبق أن تلقى علاجا نفسيا في أحد المصحات!!

أولى هذه النقاط التي لابد من وضعها في الاعتبار بناء على ما حدث هو أن تحقيق السلام مستحيل مع بقاء المستوطنين المسلحين في مدينة الخليل..

---

(١) الأهرام في ٢٤ ديسمبر ١٩٩٦

خصوصا أن الحادث الذى وقع أمس الأول ليس الأول من نوعه ففى ٢٥ فبراير ١٩٩٤ ارتكب مستوطن آخر هو باروخ جولدشتاين مذبحة فى الخليل أيضا عندما أطلق النار على المصلين فى الحرم الإبراهيمى فقتل ٢٩ فلسطينيا قبل أن يقتل بدوره. وأكد الجيش الإسرائيلى آنذاك أنه فوجئ تماما بالحادث. وهكذا يصبح منطقيا أن تقوم الحكومة الإسرائيلية وعلى الفور بإجلاء المستوطنين اليهود من الخليل وكفالة الأمن والهدوء هناك.. وهذا هو نص الطلب الذى أعلنته حركة السلام الآن الإسرائيلية فى بيانها تعليقا على الحادث.

النقطة الثانية هى أنه لابد من التأكيد على أن مثل هذا الحادث ما كان ليقع لولا التأجيلات الكثيرة التى قامت بها حكومة إسرائيل ليست الحالية بزعامة نتنياهو فقط لكن السابقة أيضا بزعامة شيمون بيريس لتطبيق اتفاق إعادة الانتشار مع الفلسطينيين.. فهذه الروح بدأت تسرى أكثر بسبب حالة الإحباط وخيبة الامل من سرعة تحقيق السلام المنشود والاستقرار المأمول.

النقطة الثالثة هى أن هذا الحادث يؤكد بوضوح أنه لا يمكن الجمع بين المستوطنات والسلام فى نفس الوقت.. وأنه ـ كما قال الدكتور صائب عريقات كبير المفاوضين الفلسطينيين ـ بأن السلام والاستيطان خطان متوازيان لا يلتقيان.. فزرع المستوطنات أشبه بزرع قنابل موقوتة ستنفجر فى وجه الجميع فى أى وقت.

النقطة الرابعة هى كما قال إسحق موردخاى وزير الدفاع الإسرائيلى إنه لا يمكن استبعاد تكرار مثل هذه الأحداث الخطيرة فى المستقبل.. وإنه يجب على كل من الطرفين الإسرائيلى والفلسطينى التصدى للمتطرفين كل فى معسكره. لكن ما لم يقله موردخاى هو أن التصدى للمتطرفين لا يمكن أن يكون بالاجراءات الأمنية فهم مرضى نفسيون فى أفضل أحوالهم لكنه يكون بالحرص على تحقيق السلام الحقيقى.. السلام الذى يشعر طرفا معادلته بالرضا والقناعة بأنهم حصلوا على حقوقهم ولم يفرض عليهم شئ.

النقطة الأخيرة هى أن استمرار المسيرة السلمية هو الخيار الوحيد لتحقيق الاستقرار فى منطقة الشرق الأوسط. وأن هذا الهدف هو مطلب عادل لشعوب المنطقة بما فيها الشعب الإسرائيلى وهو أمل كذلك للمجتمع الدولى كله.. وحتى يتحقق هذا لابد أن تصفو القلوب وأن تحسن نوايا الجميع بلا استثناء وأهمها نوايا الحكومة الإسرائيلية بصفتها الطرف المشترك الوحيد فى كل معادلات السلام".

هذا، وقد يستهل المقال بعنصر "الشواهد" المشتقة من الواقع، والمعتمدة على الأخبار والماجريات، والتقارير الأخبارية، وفى هذا النمط من أنماط التحرير نجد توجُها للمقال الافتتاحى فى الصحافة العربية الحديثة، إلى أن يصبح "إخباريا، فى جوهره، بمعنى أن مافيه من رأى ومن توجيه ومن ترفيه؛ إنما يعتمد على الأخبار وتفسيرها واستغلالها فى تأييد رأى سياسى أو آخر. على أن هذا النمط الإخبارى فى تحرير المقال الصحفى، يرتبط ارتباطا وثيقا كذلك بقواعد المنهج الذى يعتمد على تقسيم المشكلة ما وسعه التقسيم طلبا للوضوح، ولذلك يضع الكاتب أمامه المبادئ البسيطة، التى يشتقها من التقارير الإخبارية، ويتدرج منها إلى النتائج.

كيف نقوّم الافتتاحيات؟

فى الإجابة عن هذا السؤال، يقول الأستاذ "إدجارديل" ضع النقاط التالية نصب عينيك عندما تقرأ افتتاحية فى إحدى الصحف:

أولا: يجب أن يكون المقال الافتتاحى مثيرا للرغبة فى القراءة. وكثيرا مايكون المقال غير مثير. والسبب فى ذلك أن محررها لايضرب الأمثلة؛ ولا يقدم الشواهد، ولا يضفى عليها خيالاً، بل يحاول تلخيص مجموعة من الأفكار المختلفة فى افتتاحية واحدة.

ثانيا: يحرر المقال الافتتاحى خبير فى موضوع المقال؛ ومن حق القارئ ألا يحصل على أفكار الكاتب فحسب؛ بل يحصل على تعليقات ومعلومات مستقاة

من أوثق المصادر. ويستطيع الكاتب الاستعانة بالوثائق. والكتب المحفوظة في قسم المعلومات بالصحيفة.

ثالثا: يجب أن يساعد المقال الافتتاحى قراء الصحيفة على حل المشكلات الوطنية والعقلية. ومن واجب محرر الافتتاحية أن يعالج مشكلات المجتمع الكبرى مثل رعاية الطفولة والتأمين الاجتماعى والإسكان. الخ.

رابعا: الافتتاحية القوية تساعد القراء على فهم حقيقة الأخبار ودلالتها.. وليست كل افتتاحية تعزّز رأيا أو تخالفه، فالبعض منها يتضمن اقتراحات ووجهات نظر تساعدنا على تفسير الأحداث.

نماذج للمقال الافتتاحى:

ومن تحرير الافتتاحيات القوية نستطيع التعرف على المسائل العامة، ونستطيع التأكد من ذلك حين نحلل الافتتاحيات التى تنشر فى الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية عن الأحداث التاريخية التى وقعت فى بلادنا. وهذه بعض نماذج من المقالات الافتتاحية فى صحفنا المصرية والعربية المقال الافتتاحى لجريدة الأهرام:



"الأهرام" بمصر ولمصر[1]

حين قال الرئيس حسنى مبارك فى احتفال الأهرام بافتتاح مطبعته الجديدة العملاقة بمدينة ٦ أكتوبر إن الأهرام عاش مع المصريين جميع قضاياهم طوال أكثر من قرن، فإن هذه الشهادة التى نعتز بها جميعا كانت أرفع وسام تلقته كبرى الصحف المصرية والعربية من قائد مصر باسم مصر.

---

(١) جريدة الأهرام فى ١٤/١٠/١٩٩٦م.

إن مقياس نجاح أى صحيفة فى العالم كان وسيبقى هو تعبيرها عن آمال والام الطبقة أو الجماعة التى صدرت لتكون متحدثا باسمها، ولكن أن تصبح صحيفة منذ صدورها صحيفة الأمة كلها فإن تلك حالة نادرة الحدوث فى التاريخ السياسى وفى التاريخ الصحفى معا، وهكذا كانت الأهرام وستبقى، فالأهرام فى يوم من الأيام لم تكن صحيفة قصر أو حزب أو سياسى بعينه مهما يعل قدره، ومهما يقو نفوذه، فهى صحيفة مصر كلها بكل طبقاتها وأحزابها ومدارسها الفكرية فى مزيج فريد من الالتزام القومى وحرية التعبير.

قبل ثورة ١٩٥٢ كان لكل حزب صحيفة، وكان لكل صحيفة انحياز سياسى، ولكن الأهرام كانت صحيفة الجميع، وبعد الثورة ووسط صراعات مراكز القوى حافظت الأهرام على هذا التقليد فلم تكن صحيفة التنظيم الواحد، ولا كانت صحيفة هذا الجناح أو ذاك.

وفى عهد الرئيس مبارك الذى فتح باب حرية التعبير على مصراعيها وقضى على كل أسباب الصراع داخل النظام قامت الأهرام بأروع أدوارها فى التعبير عن كل الاجتهادات الوطنية من أجل بناء مصر الحرة والنامية اقتصاديا، وكانت هى السباقة إلى مد روافدها إلى كل مصرى وكل عربى يعيش خارج وطنه بإصدارها لطبعتها الدولية، ثم كانت هى السباقة أيضا إلى ارتياد العصر الجديد للصحافة بكل ما فيه من حديث فى دنيا الطباعة وفنون النشر والتحرير. لقد أسعدنا نحن أسرة الأهرام أن يشعر قائد مصر ومعه الشعب كله بما ألزم أبناء الأهرام به أنفسهم من أن يكونوا بمصر ولمصر كلها، وأن يشهد لهم علنا بذلك.. ونحن بدورنا نجدد الالتزام أمام القائد والشعب بأن نبقى دائما على هذا العهد.. لا نتوخى غير مصلحة مصر ولا ننتمى لغيرها، ولا نفرق بين أبنائها".

تصريحات نيتانياهو الصفيقة![1]

هل هو غرور أم صفاقة تلك التى أصابت رئيس الوزراء الإسرائيلى بنيامين نيتانياهو؟ لقد أدلى أمس الأول بتصريحات تخلو تماما من اللباقة واللياقة السياسية

(١) الأهرام فى ١٧ سبتمبر ١٩٩٦

الواجبة عند التخاطب بين الدول، وهى لباقة مطلوبة وضرورية حتى فى وجود خلافات فى المواقف ووجهات النظر بينها.

قال الرجل فى غيبة وعى واضحة ـ وهو يتحدث عن العام اليهودى الجديد لراديو إسرائيل ـ إن مصر صارت كمن يقطع أنفه ليغيظ غيره بينما هو فى الحقيقة لا يغيظ إلا نفسه. وكان هذا الكلام القبيح تعليقا من فخامته على موقف مصر العاقل المتعقل الذى يطالب بإحراز تقدم فى عملية السلام من أجل ضمان نجاح مؤتمر القمة الاقتصادى المقرر عقده فى القاهرة فى شهر نوفمبر القادم.

ويبدو أن هذا الرجل الذى لا يعى حقائق الحياة نسى دور مصر القيادى والريادى فى صنع السلام فى الشرق الأوسط، وهو الدور الذى تقدره الدنيا كلها وتدرك أفضاله على نيتناهو وشعب إسرائيل كله. ويبدو أنه يعى أنه لولا مصر لما كان لإسرائيلى موطئ قدم فى أى بلد عربى، ولما كان لإسرائيل أى قبول فى أى بلد إفريقى أو آسيوى. هذا ـ فيما يبدو ـ عيب من رجل لا يعرف العيب، وعليه أن يراجع نفسه من الأول إلى الآخر.

لقد مضى نيتانياهو ـ الذى يبدو أنه فى حاجة لمن يرثى لحاله ـ مطالبا سوريا بإعلان تخليها عن الجولان أو جزء منها لإسرائيل، حتى يفكر سيادته فى إقامة سلام معها. وأكد أنه لن يتخلى عن القدس الشريف مهما كان الثمن.

ثم بلغ الحمق بنيتانياهو مبلغه حين قال إنه مستعد للتضحية بالعلاقات الاستراتيجية مع أمريكا إذا أصبحت هذه العلاقات سببا فى تقديم تنازلات للعرب.

إن المؤسف حقا هو أن نيتانياهو يدلى بهذه التصريحات الهوجاء وهو فى موقع رجل الدولة. لقد التمس الناس العذر له وهو يهرول نحو موقع رئيس الوزراء وقت الانتخابات بإطلاق التصريحات الطائشة هنا وهناك. وكان المنتظر حينما يصبح رئيسا للحكومة أن يتصرف تصرفات السياسيين لا المزايدين. ومع ذلك فإن هذه التصريحات الأخيرة زادت فى حمقها وغبائها على تصريحاته فى أثناء الحملة الانتخابية.

إن مثل هذه التصريحات يمكن أن تلقى رواجا لدى رجل الشارع الإسرائيلى للضحك بها عليه وقت الانتخابات. ولكن إذا قالها من هو فى موقع مسئولية فإن ذلك أدعى إلى التحرى عن قواه العقلية."

ضرورة تنفيذ اتفاق النفط والغذاء[1]

أحال مجلس الأمن مسئولية تنفيذ اتفاق النفط مقابل الغذاء إلى الأمين العام للأمم المتحدة، وهى إحالة تضع الرجل فى مأزق حقيقى.. فان هو شرع فورا فى تنفيذ الاتفاق مراعاة للاحتياجات الانسانية الماسة للشعب العراقى، فان واشنطن قد تضع على الأرجح فيتو ضد إعادة انتخابه أمينا عاما للأمم المتحدة. وان هو لم ينفذ الاتفاق فى الوقت الراهن متجاهلا الأوضاع الإنسانية المأساوية لشعب العراق، فإنه سوف يعرض نفسه لحنق ونقمة الكثير من شعوب العالم المتعاطفة مع الشعب العراقى والنقمة الكثيرة من الجمعيات المدافعة عن حقوق الإنسان، ولن يضمن تأييد الولايات المتحدة لإعادة انتخابه. والحقيقة أن الأوضاع المعيشية المأساوية للشعب العراقى تفرض على مجلس الأمن وعلى الولايات المتحدة الأمريكية المبادرة إلى تحمل مسئولية البدء فى تنفيذ اتفاق النفط مقابل الغذاء بدلا من إلقاء العبء على الأمين العام للأمم المتحدة بمفرده. وعلى الولايات المتحدة بصفة خاصة اذا كانت تريد أن تكسب أى مصداقية أخلاقية وإنسانية أن تتعهد بعدم إعاقة هذه العملية عبر أى مماحكات عسكرية لا مبرر لها مع العراق سوى المبررات الانتقامية والمزايدات الانتخابية التى لا تستند لأى مبرر أخلاقى أو إنسانى مستقيم.

كذلك فإنه على الأمين العام للأمم المتحدة اذا ضمن بالفعل تأمين تنفيذ العملية أن يبدأ فيها على الفور لأن هناك شعبا عدده ٢٠ مليون إنسان يعانى من أوضاع معيشية مأساوية ويمكن لبدء تنفيذ اتفاق النفط مقابل الغذاء أن يخفف منها كثيرا بانتظار رفع الحظر الاقتصادى الشامل المفروض على العراق منذ أغسطس ١٩٩٠ والذى فقد مبررات استمراره منذ وقت طويل." [2].

الوادى الجديد ونقطة الانطلاق

لامجال لتضييع الوقت حتى تتشكل مصر مع القرن الحادى والعشرين.. هذه كانت كلمات الرئيس حسنى مبارك عند إعطائه إشارة البدء لسريان مياه

---

(١) الأهرام فى ٩٦/٩/١٧

(٢) جريدة الأهرام فى ١٩٩٦/٩/١٧.

النيل إلى مفيض توشكى.. فالقرن الحادى والعشرون سيبدأ بعد ثلاث سنوات فقط. ولم يعد هناك وقت يمكن إضاعته والعالم كله يستعد على قدم وساق فى سباق مع الزمن..

إن مشروع الوادى الجديد الموازى لوادى النيل يعد بحق مشروعا قوميا سوف يلتف حوله كل المصريين، ذلك أنه يمثل مشروع الحياة فى القرن القادم.. فإما أن يكتمل ويوفر عناصر الحياة للملايين من الأجيال القادمة، وإما سوف يضيق الوادى القديم بمن فيه أكثر مما هو ضيق وعندئذ سوف تصعب الحياة أكثر وأكثر..

من الآن لابد أن نضع كل الجهد والتخطيط السليم من أجل الوصول إلى هدف إقامة واد جديد يوسع الأرض المعمورة إلى ٢٥٪ من إجمالى الأرض المصرية مقابل الـ ٤٪ فقط المعمورة حاليا.

ولعل الأمر المهم حقا هو توصيل مياه النيل إلى سيناء بما يساعد على إقامة المزيد من المجتمعات العمرانية فى هذا الجزء العزيز من أرض مصر.. ولعنا نضيف هنا أهمية أن نعمل على إيجاد مجتمعات جديدة على البحر الأحمر، أكثر المناطق إستعدادا لإقامة حياة ومدن متكاملة.. لذلك لابد من التخطيط لتوصيل المياه إلى هذا الساحل سواء من النيل أو بالتحلية لإمكان إقامة الحياة عليها.. وألا يجب أن تضيع هذه الأرض فى منشآت سياحية فقط بل من الضرورى أن تتحول إلى مدن مأهولة تستوعب سكان مصر فى القرن القادم.

ولعل مشروع الوادى الجديد يكون نقطة انطلاق جادة لبناء مصر الجديدة.. مصر المستقبل".

الاضطراب فى الشمال والدور المطلوب للدولة العراقية

مازال القتال الضارى الذى تفجر مجددا بين الفصائل الكردية المتناحرة فى شمال العراق مستمرا فى صراع على السلطة والنفوذ، وفى ارتباط بولاءات خارجية لاعلاقة لها بمصالح الشعب الكردى. واذا كان الاتحاد الوطنى الكردستانى بزعامة جلال الطالبانى قد شن هجومه الأخير اعتمادا على الدعم المباشر من الجيش الإيرانى وبمشاركة مقاتلين إيرانيين حسبما ذكرت وزيرة الخارجية التركية، فإن ذلك يعطى كل الحق لبغداد فى استخدام جميع الوسائل

لمواجهة التدخل الأجنبي الإيراني في شمال العراق الذي يستهدف وضع مجموعة تابعة لإيران في مركز السلطة والنفوذ هناك.

وقد صرح أحد قيادات الاتحاد الوطني الكردستاني بأن الوضع في شمال العراق يحتاج لدور عسكري ودبلوماسي أمريكي، وهي دعوة للولايات المتحدة للتدخل حتى بشكل عسكري في شمال العراق إلى جانب طالباني بالطبع الذي يبدو أنه يعرض ولاءه على كل من يقدم الدعم له بدءا من إيران ووصولا للولايات المتحدة.

والحقيقة أن هذه التصريحات والحقائق الخاصة بارتباط طالباني وضربه بإيران يبرر للحكومة العراقية اتخاذ ماتراه ضروريا لحماية الأمن القومي العراقي وإزاحة كل من يتاجرون بولائهم لقوى أجنبية على حساب مصالح العراق وأمنه القومي وإذا كان الفصيل الكردي الآخر بزعامة البرزاني الذي ينتمي للعائلة التي حملت على عاتقها تاريخيا قيادة كفاح الأكراد، يرغب في التعاون مع بغداد في مواجهة طالباني فلابد أن تعمل بغداد والبرزاني على أن يكون هذا التعاون مبنيا على أساس من السيادة العراقية الكاملة على شمال العراق وإعمال صيغة الحكم الذاتي للأكراد بصورة تحقق مصالح وأمن العراق وأكراده على أساس علاقة استراتيجية وليس تحالفا تكتيكيا." (١)

الخليل مفتاح الثقة لاشك

"إن حل مشكلة الخليل سيوجد مناخا عاماً من الثقة مما سيؤدي بالتأكيد إلى مزيد من المفاوضات التي تهدف إلى وضع الحل النهائي لمشكلة الفلسطينيين والإسرائيليين، ومما يشجع بدوره سوريا على الدخول في مباحثات السلام وإنهاء الجمود التي وصلت إليه العملية السلمية منذ منتصف العام.

ولعل ما يشجع على التفاؤل - رغم كل الصعوبات التي تبدو على السطح - أن جميع الأطراف على اقتناع تام بأن السلام أصبح هو الخيار الاستراتيجي

(١) الأهرام في ١٧ أكتوبر ١٩٩٦.

الوحيد الذى لابديل عنه. وقد هدأت الآن نبرة التهديد التى سادت خلال فترة التوتر الماضية مما يشجع على إيجاد أجواء جديدة لاستئناف المفاوضات.

وكما قال الرئيس مبارك فى مؤتمره الصحفى - عقب اجتماعه مع وزير الدفاع الإسرائيلى - فان المفاوضات لابد أن تستمر حتى تصل إلى نتيجة يرضاها الجانبان لتنفيذ الاتفاقيات التى سبق التوقيع عليها، ويجب ألانتزعج من إطالة أمد المفاوضات، حيث إن القضايا التى تتناولها هى بالفعل قضايا شائكة لكل الطرفين الفلسطينى والإسرائيلى.

إلا أننا لابد أن ندرك أن التمسك بالحق العربى وباهمية المثابرة وحسن إدارة المفاوضات لابد أن تأتى بنتيجة ايجابية تحقق امال الشعب الفلسطينى إن آجلاً أو عاجلاً فى اقامة وطنه ودولته المستقلة.

ولابد أن تدرك إسرائيل أن السلام الحقيقى القائم على العدل هو الضمان والوحيد للأمن والاستقرار وليس القوة والتهديد بها هو الذى يتضمن لها امنها.

ولابد أن تدرك إسرائيل أيضا أن الجمود الذى أصاب عملية السلام لا يمكن أن يكون إلا فى صالح فئات متطرفة محدودة تريد أن تهدم الاتفاقات الموقعة من أساسها بخلاف رغبة غالبية الشعب الإسرائيلى."

جولة روس ومفاوضات التسوية

"جاءت جولة المنسق الأمريكى لعملية التسوية فى الشرق الأوسط، السفير دينيس روس، فى وقت تزايدت فيه الشكوك حول موضوعية وإيجابية الدور الأمريكى لاسيما بعد أن صوتت الولايات المتحدة ضد قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة بوقف الاستيطان الإسرائيلى فى الأراضى العربية المحتلة والتى هى موضع تفاوض، ثم تصريح وزير الخارجية الأمريكى وارين كريستوفر الذى ادعى فيه أن إسرائيل تقدم تنازلات مهمة والجانب الفلسطينى لا يستجيب لها!! فى ظل هذه الأجواء بدأ روس جولته ومن ثم تزايدت التكهنات بفشل الجولة لاسيما وأن روس نفسه معروف عنه التعاطف الشديد مع المواقف الإسرائيلية.

وما إن بدأ روس جولته المكوكية التى شملت تل أبيب وغزة والقاهرة، حتى بدا واضحا أن ثمة تغيرات بدأت تطرأ على حدود الدور الأمريكى الذى بدأ يفارق مهمة "ناقل الرسائل" إلى مهمة أكثر إيجابية من ذلك تضمنت المبادرة بطرح فكرة عقد اجتماع على مستوى القمة بين عرفات ونيتانياهو لكسر الجمود فى

الموقف وإعطاء الانطباع بحدوث تقدم، يعكس ذاته فى مرحلة تالية فى الأجواء التى تسود بين الأطقم المفاوضة عن الجانبين.

وبالفعل تم فى لقاء عرفات ـ نيتانياهو الاتفاق على بعض الخطوط العامة، وبدأت الأطقم المفاوضة ترجمتها على مائدة التفاوض الأمر الذى يوحى باحتمال التوصل قريبا إلى اتفاق حول إعادة الانتشار فى مدينة الخليل ووضع الأسس العامة للمفاوضات النهائية. ولا يعنى ذلك أن الاتفاق أصبح مؤكدا أو أن مماطلات الجانب الإسرائيلى قد توقفت. وبالتالى لابد من استمرار التنسيق بين الأطراف العربية حتى تلتزم الإدارة الأمريكية بدور وساطة إيجابى وموضوعى ـ بقدر الإمكان ـ وتنصاع الحكومة الإسرائيلية لما يتم الاتفاق عليه لاسيما وأنها أظهرت قدرة عالية فى تحريف الاتفاقات وأيضا السعى للتنصل منها. [1]

مخاطر استمرار التعنت الإسرائيلى

مازال رئيس الوزراء الإسرائيلى يصر على موقفه المتشدد من قضية السلام، ومازال يطرح أفكاره الغريبة على استئناف المباحثات مع سوريا بدون أى التزامات أواتفاقيات سبق أن قدمتها حكومة حزب العمل السابقة، وبدون الإعلان عن التزامه بالانسحاب من الجولان معتبرا أن ذلك يمثل شرطا لايجب أن يوضع قبل بدء المباحثات.. وفى مباحثاته مع الرئيس الأمريكى كلينتون زعم نيتانياهو أن تأجيل الانسحاب من مدينة الخليل هو فى صالح عملية السلام مشيرا إلى أن الانسحاب الآن يمكن أن يفجر الموقف فى الخليل وبالتالى انهيار عملية السلام برمتها.

وعلى ذلك يكون الموقف الإسرائيلى فى وضعه المتشدد والمتجمد منذ تولت الحكومة الإسرائيلية الجديدة مسئوليتها، غير عابئة بما يمكن أن تؤدى إليه سياساتها من انتكاسة كاملة لجهود السلام تعود بالمنطقة إلى أجواء التهديد بالحروب واستئناف الصراع المسلح بدلا من اللجوء إلى طاولة المفاوضات وفق المبادئ التى ارتضاها المجتمع الدولى ممثلا فى مؤتمر مدريد الذى شاركت فيه إسرائيل ووقعت على مبدأ الأرض مقابل السلام.

---

(١) الأهرام فى ٢٦ ديسمبر ١٩٩٦.

وليس من الديمقراطية ـ التى تتشدق بها إسرائيل ـ أن تعمد حكومة جديدة إلى شطب كل اتفاقات وتعهدات الحكومة السابقة لمجرد إنها تنتمى إلى حزب آخر يختلف فى توجهاته السياسية والايديلوجية.. وليس من الديمقراطية فى شئ أن تنكر الحكومة الإسرائيلية الحقوق الأساسية للعرب سواء فى فلسطين أو الجولان أو لبنان، متسلحة بمنطق القوة.

إن التحذيرات التى وجهتها مصر مؤخرا من نتائج المماطلات واللاءات الإسرائيلية إنما تهدف فى إخلاص إلى تهيئة المناخ المناسب لعملية السلام التى يجب أن تستند إلى مبادئ الشرعية الدولية وليس إلى عنصر القوة، حيث يدرك الجميع أن لكل دولة فى المنطقة عناصر من القوة يمكن أن تجعل الصراع مريراً وطويلا إذا ما استمر التعنت الإسرائيلى.

وليس من شك فى أن الولايات المتحدة تتحمل مسئولية كبيرة فى إفساح الطريق أمام مفاوضات جادة تؤدى إلى سلام دائم وشامل إلا أن فترة الانتخابات الرئاسية قد جمدت هذا الدور المهم وأدت إلى استسلام شبه كامل لوجهة النظر الإسرائيلية، الأمر الذى لا يمكن أن يخدم عملية السلام سواء على المدى البعيد أو القصير.

وإذا فحصنا تصريحات بنيامين نيتانياهو فى أعقاب لقائه مع الرئيس الامريكى، نجد أن رئيس الوزراء الإسرائيلى يعلن أنه يتطلع إلى مساعدة الولايات المتحدة من أجل استئناف محادثات السلام مع سوريا فى أقرب وقت ممكن "ودون شروط مسبقة" ودون الانسحاب من الجولان، متجاهلا أن ما أعلنه يمثل شروطاً مسبقة، فالمفترض أن محادثات السلام الإسرائيلية ـ السورية بدأت على أساس مبدأ "الأرض مقابل السلام" وقطعت شوطا فى عهد الحكومة الإسرائيلية السابقة تجاوزت من خلاله الأبعاد الاجرائية وتطرقت إلى جوهر المحادثات أى الانسحاب من الجولان السورية المحتلة وانصب الخلاف حول ما كانت تطالب به الحكومة السابقة من إقامة محطة للإنذار المبكر الأرضى، إضافة إلى حدود الانسحاب هل حدود ما قبل عدوان ٥ يونيو ـ كما تطالب سوريا ـ أم الحدود الدولية ـ كما تطالب إسرائيل. وبالتالى فان حديث نيتانياهو عن استئناف المحادثات دون الالتزام بالانسحاب من الجولان يعنى تجميد عملية التسوية والوصول بها إلى طريق مسدود، إذ ما الذى يدفع سوريا إلى استئناف محادثات تدرك تماماً أن الحكومة الإسرائيلية الراهنة ستستخدمها لأغراض

أخرى غير التسوية وسوف تماطل وتراوغ من خلال إثارة أبعادا جرائية تجاوزتها لمفاوضات مع الحكومة الإسرائيلية السابقة.

كذلك واصل نيتانياهو مناوراته ومغالطاته فيما يتعلق بتنفيذ الاتفاقات التى وقعتها الحكومة السابقة مع الجانب الفلسطينى، إذ أعلن فى واشنطن أن تنفيذ الانسحاب من الخليل يمكن أن يفجر الموقف ويؤدى إلى انهيار عملية السلام برمتها. وهو أمر ينطوى على مغالطات شديدة إذ إنه فى أى تسوية لصراع معقد وتشابك تكون هناك مواقف مختلفة ومتناقضة يتم حلها من خلال اتفاقيات تكرس مبدأ "الحل الوسط" ويعتمد ترسيخها على حسن تنفيذ ما تضمنته من بنود، وهو ما قام به الجانب الفلسطينى على خير وجه حتى الآن، فى حين يناور نتانياهو بحجج ومبررات واهية تنم عن عدم الرغبة فى السلام وتكشف بوضوح عدم الوفاء بالالتزامات التى تعد سمة من سمات.

المسئولية التعاقدية، وإذا واصل نيتانياهو مناوراته ومغالطاته، فسوف تتزايد احتمالات تفجر الوضع برمته." (١)

مصر.. والانطلاق الاقتصادى

"تؤكد كل المؤشرات والتقارير الصادرة مؤخرا عن عدد من المنظمات الدولية وخبراء الاقتصاد فى العالم أن مصر مؤهلة فى المرحلة القادمة لتحقيق طفرة فى الانتاج تمكنها من الانطلاق الاقتصادى الذى تسعى إليه من أجل مستقبل أفضل للمواطن المصرى، بل إن مصر - كما يقول الخبراء - هى إحدى الدول المرشحة فى السنوات القليلة القادمة لتحقق فى مجال التنمية والانطلاق الاقتصادى ما حققته دول النمور الآسيوية.

إن كل هذه الترشيحات الباعثة على التفاؤل من أجل مستقبل أفضل ما كانت لتصدر إلا بفضل الاستقرار السياسى الذى تنعم به مصر فى عهد الرئيس حسنى مبارك، وكذلك بفضل المناخ الجيد الذى يوفره لدفع الاستثمار العربى والأجنبى على أرض مصر، وتشجيع القطاع الخاص المصرى على المشاركة بقوة فى مسيرة التنمية.

---

(١) الأهرام فى ١٢ سبتمبر ١٩٩٦.

ولعلنا لانبالغ إذا أكدنا أنـه ما كـان يمكن لمصر أن تسعى لتحقيق هذا الانطلاق إلا بعد ما حققته مـن مراحل متقدمـة فـى تنفيذ برنامجها الإصلاحى الشامل سياسيا واقتصاديا وتشريعيا واجتماعيا.

وإذا كان هذا البرنامج الإصلاحى قد واكبه تنفيذ أضخم برنامج فى تاريخ مصر لإصـلاح المرافق والبنية الأساسية، وكذلك نجاح المرحلة الأولـى من برنامج الإصلاح الاقتصادى فى ضبط السياسات المالية والنقدية فإن كل هذه العوامل مجتمعة قد وفرت أرضية جاهزة لبدء تنفيذ المرحلة من البرنامج، والتى تستهدف تحقيق الطفرة المنشودة فى الإنتاج والانطلاق الاقتصادى.

وإنـه مما يعزز تحقيق تلك الطفرة أن تستضيف مصر هـذا التجمع الاقتصادى العالمى الكبير على أرضها فـى نوفمبر القـادم، فـى إطـار المؤتمر الاقتصادى.

وإن نظرة فاحصة لما ستطرحه مصر من مشروعات على المؤتمر، وما تسـعى إليه من جذب الاستثمار ودفع القطاع الخاص المصرى والأجنبى للاستثمار فى مصر إنما تؤكد أن مصر فى طريقها لتحقيق الانطلاق الاقتصادى.

فرنسا وإحياء الدور الأوروبى

"مازالت أصداء الزيارة التـى يقوم بها الرئيس الفرنسـى "جاك شيراك" للمنطقة تحدث دويها علـى جميع المستويات الاقليمية والدولية، خاصـة بعـد الأحداث التـى شـهدتها هذه الزيـارة فـى إسـرائيل وخطابه المهم أمـام المجلس التشريعى الفلسطينى الذى أكد فيه أهمية وقف الاستيطان الإسـرائيلى ووقف جميع الممارسات التى تعوق عملية السلام، وتتعارض معها خاصة فـى القدس، وهى أمور تزيد الفجوة بين الرؤية الفرنسية والرؤية الإسرائيلية. ولذلك كان من الطبيعى أن ترفض إسرائيل التدخل الأوروبى فـى المنطقـة، ولكن لـم يكـن مـن المنطقى إطلاقا، أن ترفض الولايـات المتحدة هذه المسـألة خاصـة أنها ظلت طوال الفترة الماضيـة هـى اللاعب الرئيسـى فـى المنطقـة، والحكم الوحيد فـى الصراع بين العرب وإسـرائيل، ولكنها لـم تستطع التخلـى عن تأييدهـا الكـامل والمطلق للسياسات الإسرائيلية، بغض النظر عن مدى ملاءمتها لما يحدث على صعيد التسوية السياسية من عدمه، وخير دليل على ذلك الموقف الامريكى تجـاه قضية "نفق البراق" أو إعادة انتشـار القوات الإسـرائيلية بـالخليل وغيرهمـا مـن

الامور التى أكدت عدم حيادية الولايات المتحدة، بل وتشجيعها المستمر للمواقف الإسرائيلية، زاعمة أن ذلك يحقق الأمن لها، ويضمن تسوية عادلة للصراع.

من هنا فإن تدخل الطرف الأوروبى، بفاعلية وموضوعية، فى المنطقة، سوف يؤدى إلى إعادة التوازن من جديد، ويضمن الحد من السطوة الإسرائيلية المتعالية، ويسهم فى منح عملية السلام والتسوية الجارية الآن بالمنطقة المزيد من الثقة والنجاح".(١)

تأييد مصرى للجهد الفرنسى

أوروبا وأمريكا وصياغة نظام عالمى جديد

"تشهد المنطقة الآن تحركات دبوماسية مكثفة لكسر الجمود الذى أحاط بالعملية السلمية بسبب تراجع حكومة بنيامين نيتانياهو عن الخط الأساسى للمسيرة السلمية، والذى أسس على مبادئ ومقررات مؤتمر مدريد واتفاق أوسلو وبمبادئ القانون الدولى التى لا تجيز الاستيلاء على الأرض بالقوة.

ومن أبرز المحاولات التى تبذل لكسر هذا الجمود تلك الجولة الواسعة التى يقوم بها الرئيس الفرنسى جاك شيراك لـ ٦ دول معنية أساسا بالمسيرة السلمية استمرارا لجهود فرنسا من أجل إحلال السلام فى الشرق الأوسط.

وتكتسب جولة شيراك هذه المرة أهمية خاصة فى ضوء الآراء الصريحة التى أعلنها خلال زيارته لسوريا وإسرائيل حول وجوب قيام دولة فلسطينية.وان هذه الدولة هى التى ستضمن الامن الحقيقى لإسرائيل، مع وجوب الانسحاب الإسرائيلى من الجولان وجنوب لبنان حتى يكون السلام شاملا.

نقطة أخرى ركز عليها الرئيس الفرنسى وهى وجوب أن يكون لأوروبا دور سياسى فعال فى العملية السلمية، وقد اتفق معه رئيس الوزراء الإيطالى خلال زيارته للقاهرة مؤكدا أن أوروبا لا يمكن تهميشها فى العملية السلمية،

(١) جريدة الأهرام فى ٢٦ أكتوبر ١٩٩٦.

خاصة وأنها تشكل المصدر الرئيسى للمعونات الاقتصادية التى تتدفق للمساعدة فى إحلال السلام.

هذه الآراء التى أيدتها مصر بقوة من خلال تصريحات الرئيس حسنى مبارك لقيت معارضة شديدة من حزب الليكود الإسرائيلى وجماعات التطرف هناك لدرجة أن الرئيس الفرنسى تعرض لمضايقات بوليسية بحجة حمايته خلال زيارته للقدس العربية.

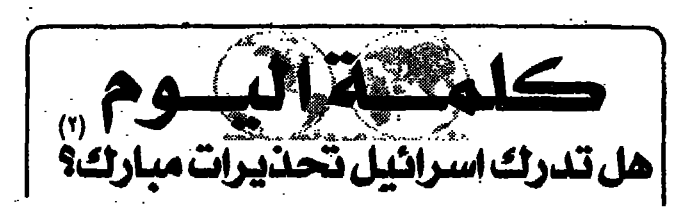
وقد واصل شيراك جولته بزيارته أمس واليوم للأراضى الفلسطينية، حيث أكد نفس المعانى التى سبق أن أعلنها بوضوح من قبل. وغدا تستقبل مصر رئيس فرنسا بكل الحب والترحات مويدة لدوره ولدور أوروبا الايجابى فى الاسهام فى احلال السلام بالمنطقة، مؤكدة مساندتها لأى جهد يقوم به المخلصون والمتفهمون لابعاد القضية من اجل ايجاد تسوية دائمة وعادلة وشاملة.

"الخلاف العلنى الذى ظهر للعيان مؤخرا بين كل من الولايات المتحدة وأوروبا حول عملية السلام فى المنطقة، ينبئ فى الواقع بأكثر من الصورة المحدودة حول الشرق الأوسط فقد جاهر أكثر من مسئول أوروبى بالقول إن أوروبا لا يمكنها أن تكتفى بدور البنك الذى يقدم المعونات للمنطقة دون أن تضطلع فى نفس الوقت بدور مؤثر فى عملية السلام، وهى رؤية تؤيدها جميع الدول العربية. وعلى الجانب النقيض تقف إسرائيل مؤيدة من الولايات المتحدة التى ترى أن على الولايات المتحدة أن تبقى الراعى الوحيد للمفاوضات السلمية. وتؤكد أن أى تدخل أوروبى فى هذه المرحلة الصعبة من المفاوضات قد يضر العملية السلمية فى مجملها.

والواقع أن قصر الخلاف بين الجانبين على رؤيتهما للشرق الأوسط يعانى من بعض القصر فى الرؤية. فمنذ إنهيار الاتحاد السوفيتى وانتهاء الحرب الباردة رسميا، كانت ولا تزال تتردد المقولات حول طبيعة النظام الدولى الجديد هل هو أحادى القطبية ممثلا فى القيادة الأمريكية المنفردة للعالم، أم عالم متعدد الأقطاب تلعب فيه أوروبا الموحدة واليابان ومعهما الجنوب شرق اسيا الناهض اقتصاديا إلى جانب الولايات المتحدة أدورا تتلاءم مع وزنها ومكانتها الاقتصادية

والسياسية، من هنا فان الخلاف الراهن فى الواقع ـ ربما حدث بأسرع ما يتوقع البعض ـ هو خلاف حول الشرق الأوسط قد سبقه خلاف أمريكى ـ فرنسى حول افريقيا.. من هنا ولأن من المصلحة العربية أن تعاد صياغة العالم دون انفراد جهة واحدة أيا كانت بالتحكم فى مقاليد الأمور، فإن تأييد الدور الأوروبى فى الشرق الأوسط سيلعب دوراً فى صياغة عالم متعدد الأقطاب قد يكون أكثر رحمة من عالم تحكمه رؤية واحدة، ليست فى أغلب الأحوال فى مصلحة العرب[1].

المقال الافتتاحى لجريدة الأخبار :-



"جاء تحذير الرئيس حسنى مبارك فى حديثه لمحطة الـ"بى بى اس" الأمريكية من خطر انهيار عملية السلام وتجميد العلاقات بين إسرائيل وكل الدول العربية.. نتيجة لنفاد الصبر بسبب إصرار بنيامين نتنياهو رئيس الوزراء الإسرائيلى لفرض وجهة نظره فى عملية السلام وتجاهله الاتفاقيات الموقعة.

وتحذير الرئيس مبارك تأكيد لمسئولية نتنياهو عن الجمود الذى تعيشه عملية السلام وأنه لم يقدم أى جديد.. وأن هذه السياسة تفتح المجال أمام عمليات إرهابية مدمرة ليس فقط لإسرائيل ولكن للعالم أجمع.. وأن الوضع سينفجر إذا لم يتم السيطرة عليه وحل مشكلة المستوطنات فى الأراضى الفلسطينية لان الفلسطينيين والإسرائيليين سيقاتلون بعضهم البعض فى كل انحاء الضفة وغزة.

---

[1] الأهرام فى ٢٤ أكتوبر ١٩٩٦.

[2] جريدة الأخبار ١٩٩٧/٢/١٩.

وفى قراءة متأنية لحديث الرئيس.. نجد أن الرئيس يوجه للمرة الثالثة خلال ستة أشهر كلاما خطيرا إلى حكومة نتنياهو وتتحاشى الحكومة الإسرائيلية الرد عليه.. ونجد أن الحديث يحمل فى طياته تحذيرا فى غاية الخطورة لإسرائيل.. فهل حكومة الليكود قادرة على فهم كلام الرئيس مبارك وقادرة بالتالى على تحمل تبعات التحذير.

إن الرئيس مبارك أكد فى حديثه أن مصر لا تستطيع الانسلاخ عن العالم العربى والدول العربية لا تستطيع الاستغناء عن مصر وموقعها كشقيقة كبرى تتحمل مسئولياتها فى القضايا القومية ومنها قضية فلسطين ولا تستطيع اتخاذ موقف الحياد عن عملية السلام ولاتريد أن تضغط على الرئيس الفلسطينى ياسر عرفات للقبول بمواقف وتقديم تنازلات يرفضها شعبه.

وفى حديث الرئيس يؤكد على قوة العلاقات بين مصر والولايات المتحدة وهى علاقات صداقة وليست تبعية لأننا لسنا تابعين للولايات المتحدة ونعلم أن الدعم يمكن أن ينتهى فى يوم أو آخر.

وإشارات التحذير فى حديث الرئيس مبارك كثيرة وكلها تؤكد موقف مصر الثابت فهى تدين السياسات الإسرائيلية ومحاولة نتنياهو لنسف عملية السلام.. كما أن مصر لايمكن أن تسكت إزاء أى عدوان إسرائيلى جديد يستهدف سوريا أو لبنان او يستهدف فرض السلام الإسرائيلى الذى تعرضه الحكومة الإسرائيلية عليهما.

إن نظرة مصر إلى السلام تنطلق من مبدأ لم ولن يتغير وهو أن السلام اما أن يكون شاملا وعادلا ودائما، أو لا يكون إذ لا يمكن أن تقيم إسرائيل سلاما مع مصر والأردن وتتراجع عن التزاماتها تجاه الشعب الفلسطينى والاستقرار بالجبهة السورية او اللبنانية.

فهل ستدرك إسرائيل أبعاد هذا التحذير وينتصر العقل!"

تهنئة لبورسعيد[1]

"استحقت وتستحق مدينة بورسعيد الباسلة تلك التحية التي وجهها إليها أمس الرئيس حسنى مبارك فى كلمته بمناسبة الذكرى الأربعين لخروج آخر جندى بريطانى من مصر بعد فشل العدوان الثلاثى الذى شاركت فيه كل من بريطانيا وفرنسا وإسرائيل.. وعندما تحتفل مصر بهذه الذكرى وتعتبرها بمثابة انتصار.. فذلك ليس معناه أننا نتحدث عن انتصار بمعناه العسكرى.. لكنه كان انتصاراً بمعنى آخر هو انتصار إرادة شعب قدم نموذجا للمقاومة التى أصابت قوى العدوان بالصدمة مما أفقد الدول الثلاث التركيز وأدى بها إلى حالة من التخبط العسكرى والإحباط السياسى.. وأصبح هذا العدوان نموذجا لسوء التقدير وعدم الإدراك الحقيقى لابعاد الموقف العربى والدولى.. ولمعدن الانسان المصرى الذى تزيده المصاعب والمصائب قوة وصلابة على قوته وصلابته وتؤكد الأزمات قدرته الكبيرة على قبول التحريات عندما تفرض عليه.

فعندما حلقت المئات من قاذفات القنابل البريطانية فى سماء مصر والقت الاف الاطنان من القنابل الثقيلة وقذفت أهدافها بالصواريخ وألقت عشرات الآلاف من المنشورات التى تحض على الثورة ضد نظام الحكم الوطنى فى مصر آنذاك لم يخضع شعب مصر للتخويف والإرهاب والتحريض وظل حريصا على تأييد النظام الوطنى صامدا قابلا للتحدى الذى هدد وجوده وكرامته وكبرياءه.. هذا هو الانتصار العظيم الذى حققه المصريون فى بورسعيد وفى كل المدن المصرية.. لقد وقف المصريون "العظماء" وقفة رجل واحد حول قيادتهم مبدين استعدادا كاملاً للبذل والتضحية..

هذا الشعب هو نفسه الذى صمد وقاوم وتحمل وصبر بعد هزيمة ١٩٦٧ المخزية.. وأعلن أنه لن يستسلم ورفض الهزيمة التى لم يكن له يد فيها.. وهو عندما خرج يومى ٩ و ١٠ يونيو يعلن رفض تنحى الرئيس الراحل جمال عبدالناصر لم يكن يعلن تمسكه بزعيم قدر ما كان يعلن رفضه كشعب للهزيمة ويعلن قدرته على الصمود والبقاء مرفوع الهامة..

هو نفسه الشعب المصرى الذى حقق أعظم الانتصارات العسكرية فى أكتوبر ١٩٧٣ عندما حطم الجيش الإسرائيلى وأسطورته واقتحم خط بارليف

---

[1] الأخبار ١٠/١٢/١٩٩٦.

أعظم الموانع المائية فى التاريخ العسكرى.. وأعاد للأمة العربية عزتها وكرامتها وكبرياءها المفقود.. وقال بأعلى الصوت إن المصريين قادرون دائما على تحدى الصعاب مهما كانت.

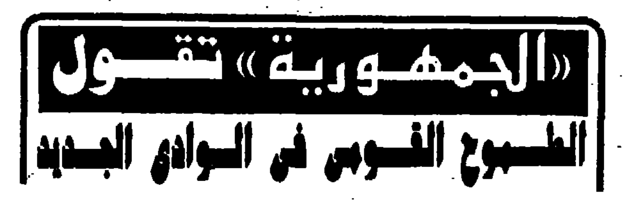
هذا هو نفسه الشعب القوى الذى خرج يعلن من موقع القوة ومن مكانة المنتصرين حبه ورغبته فى السلام لدى عودة الرئيس الراحل أنور السادات من القدس بعد مبادرته السلمية التى أصابت العالم كله بالدهشة..

وهو نفسه الشعب الذى التف حول قائده حسنى مبارك منذ توليه الحكم فى عام ١٩٨١ يكمل معه مسيرة السلام.. ويبدأ معه مسيرة الإصلاح والتنمية.. ويتحمل بصبر ودون كلل سنوات عصيبة ذاق فيها مرارة التحول من الاقتصاد المركزى إلى الاقتصاد الحر حتى أصبح الآن على أعتاب جنى الثمار.

هذا الشعب المصرى هو نفسه الآن الذى فجر فيه مبارك الرغبة فى التحدى والبناء من جديد من أجل الدخول إلى القرن الحادى والعشرين ببلاده أكثر قوة وعنفوانا.. وهى تبنى كما بنى الأجداد منذ آلاف السنين واديا جديدا يفيض خيرا وفيرا على المصريين الآن.. وعلى الأجيال القادمة..

هذا هو الشعب المصرى البطل الذى لا يحتاج إلى جهد كبير لتحفيزه على مزيد من العمل والإنتاج إذا تم تحديد الغاية والهدف أمامه.. بانها مصر.. ورفعة مصر وثقتها وازدهارها..

اننا نتوجه بالتهنئة إلى شعب بورسعيد الصامد.. ولكل الشعب المصرى البطل." وفيما يلى نموذج للمقال الافتتاحى فى جريدة الجمهورية[1] .



"أعلن الرئيس حسنى مبارك أن الدراسات الخاصة بمشروع الوادى الجديد العملاق غربى النيل تمت منذ عشرين عاما.. وأن وزارة الرى المصرية قامت بهذه الدراسات التى أثبتت صلاحية المنطقة للزراعة باستخدام الفائض من مياه النيل.. فائض حصة مصر.

---

[1] الجمهورية ٥ يناير ١٩٩٧.

إذن لم يأت المشروع فجأة.. أو بدون دراسة.. لكنه مشروع قومي طموح يستجيب لاحتياجات سكان مصر في القرن القادم ولم يعد من المنطق أن يستمر التكدس السكاني للمصريين في الوادي والدلتا إلى الأبد.. فقد عشنا طويلا في منطقة ضيقة لا تزيد عن ٤٪ من مساحة مصر.. ولا يعقل أن تستمر الزيادة السكانية المصرية في تصاعد دائم.. بدون التفكير في الخروج على الوادي الضيق.. والخروج منه.

ولا شك في أن مشروع الوادي الجديد العملاق غربي النيل.. جاء في موعده.. وتواكب مع مرحلة الانطلاق الاقتصادي.. كما أنه يأتي كمنفذ جديد للتنمية التي تستوعب الزيادة السكانية وهذا يعني أن المشروع الجديد يفتح أبواب الأمل لسواعد الشباب المتحمس.. المتطلع للمشاركة في بناء مصر.. وبناء الحياة الأفضل لنفسه.

وبصراحة لم يعد يليق بمصر القرن الحادي والعشرين أن يبقى شريط الحياة الاخضر محاطا بصحراء لانهائية شرقا.. وغربا والمسألة لا تتعلق بالشكل فقط.. لكنها تتعلق أيضا بالأمن القومي الشامل لمصر والحقيقة أن بناء دلتا جديدة غرب النيل.. عامرة بالمزارع والمصانع يعطي عمقا استراتيجيا بعيدا لهذا الوطن، وكل ذلك يؤكد أن هذا المشروع القومي العملاق ضرورة اقتصادية وسكانية واستراتيجية.

وقد تعرض المشروع لدراسات جادة ومستفيضة استمرت سنوات طويلة وأصبح المشروع الآن على موعد مع القدر.. ليرى النور في مرحلة الانطلاق الاقتصادي.. والتنمية الشاملة وسارعت مؤسسات التمويل الدولية الكبرى إلى تأكيد اهتمامها بهذا المشروع القومي العملاق وأبدى خبراء البنك الدولي في واشنطن استعدادهم للمساهمة في تمويل المشروع.. وإقناع رجال الأعمال والشركات العالمية الكبرى بالاشتراك فيه بالمال والتكنولوجيا وبالطبع لن يستفيد من كل ذلك سوى أبناء مصر من محدودي الدخل.. الذين يشكلون الشاغل الاساسي لزعيم مصر وقائد مسيرتها الوطنية.. الرئيس حسني مبارك وهذا المشروع هو أفضل ما تبدأ به مصر من مشروعات في عام ١٩٩٧.. وهو في جوهره يمثل الطموح القومي العظيم لزيادة ثروة مصر.. ودعم قدراتها الاقتصادية الشاملة." وفيما يلي نموذج للمقال الافتتاحي في جريدة الشرق الأوسط :

الشرق الأوسط
جريدة العرب الدولية

أقوال مشجعة تنتظر الأفعال

• انتقدت الولايات المتحدة وفرنسا تأييد رئيس الوزراء الإسرائيلى لاستئناف الاستيطان فى الاراضى الفلسطينية.

الولايات المتحدة اعتبرت بالأمس تصريحات بنيامين نتنياهو الداعمة للتوسع الاستيطانى فى الأراضى الفلسطينية المحتلة "غير مساعدة" و "غير بناءة"، واختارت فرنسا تعبير "مقلقة للغاية" لوصف تصريحات نتنياهو وقالت على لسان واجهتها الدبلوماسية انها "إذا ما تأكدت.. تتضمن خطر خلق بؤر جديدة للتوتر وعوامل جديدة للجمود".

كبداية هذان موقفان يستحقان الترحيب. ولا شك أن الدول الكبرى عندما تجد الحاجة للتعبير عن مواقفها تقطع نصف الطريق إلى تبنى الموقف المنسجم مع الألفاظ، والا كان بإمكانها الصمت.. كأنى لا سمعت ولا رأيت.

غير أن اعلان هذا الموقف الايجابى يظل خطوة منقوصة لن تطمئن اصحاب المصلحة فى السلام الحقيقى إلا إذا عزز بتدابير عملية.

فالجميع يعرف أنه مكتوب على المجتمع الدولى التعامل مع هذا الرجل فى المستقبل المنظور طالما احتفظ بثقة الكنيست (البرلمان الإسرائيلى)، وهذا يعنى أن المفتاح بيد نواب هذا البرلمان المفترض أنهم يعكسون مشاغل الشارع الإسرائيلى وهمومه.

وانطلاقا من هذا الواقع، علينا التذكر أن الكيان الإسرائيلى كيان غير مكتف ذاتيا، على الرغم من كل المزاعم الاعلامية عن "تخضيره" الصحارى واجتراحه "الخوارق التقنية". فمما لا جدال فيه أن إسرائيل دولة تعتمد اعتمادا كبيرا على الاعانات الخارجية المباشرة وغير المباشرة، وهذا يعنى أنه اذا وجدت الارادة الدولية لإفهام إسرائيل حكومة وبرلمانا وناخبا بأن لكل تصرف

تصرفا مقابلا، أصبح بالإمكان وقف العربدة التى يرتكبها نتنياهو هذه الأيام على أنقاض مقومات السلام.

وبكل بساطة فإن واشنطن، وكذلك باريس ولندن، فى موقع يسمح لها بممارسة ضغط سياسى واقتصادى على إسرائيل من منطلق أنها أيضا دول تستطيع ضمان أمنها ومصالحها.

وما هو مفهوم فى العالم العربى اليوم، أن الأطر التى تحقق ضمنها "مؤتمر مدريد" تقضى بمبادلة الارض بالسلام. أى بأن يقبل العالم العربى بوجود إسرائيل آمنة وسيدة ومستقلة فى منطقته، ولكن شريطة أن تضمن أمن وسيادة واستقلال غير الإسرائيليين فى جيرتها. بكلام آخر مطلوب من إسرائيل احترام الجزء الخاص فيها من شروط العقد السياسى المنصوص عليه فى مدريد بما له علاقة بالمنطقة ككل، وفى اوسلو بما يتعلق بالفلسطينيين.

وإصرار نتنياهو هذه الأيام على التأجيج فى موضوع المستوطنات بعدما طرح مقولة "الامن مقابل السلام" بديلا لـ "الأرض مقابل السلام"، يشكل امتحانا نرجو أن تتجاوزه القوى الكبرى بنجاح، وأن تترجم أقوالها إلى أفعال."

المقال الأفتتاحى

فى "الأهرام ويكلى " (١) :

10 Opinion



Cause and effect

The synchronised bombings of the US embassies in Kenya and Tanzania last Friday are, in essence, a declaration of war on the primary advocate and executor of the New World Order. The choice of targets, the magnitude of the attacks (which left more than 230 dead and 5,000 wounded), the precision of the operation and the solemn vows of retribution by Washington all indicate that the war will be widespread, vicious and protracted.

Nairobi and Dar es Salaam were the last places one would have expected to be the stage of a massive terrorist attack. But then, that is probably the very reason the terrorists targeted them. As the two capitals have never been known to harbour extremist organisations or to suffer from the plague of terrorism, security there was not at its tightest. This must have facilitated the logistics considerably.

In the absence of either a definitive claim of responsibility or official accusations from the US, Kenya or Tanzania, speculation has been rife as to the identity of those who planned and carried out the attacks. Islamist organisations, however — any or all of over half a dozen groups, acting singly or collectively — are the prime suspects for the moment.

The suspicion is well-grounded. Six such groups banded together last February and formed the so-called Islamic Front for Jihad (struggle) Against the Jews and the Crusaders — meaning Israel and, principally, the United States. The front's founding statement included a *fatwa* (religious opinion) according to which Muslims are duty-bound "to kill Americans and seize their assets wherever they can be found". The front included the Jihad Organisation, which has a record of violent activity inside Egypt, including the 1981 assassination of President Anwar El-Sadat. This group issued a threat against the Americans a few days before the East African bombings.

All of this means that the United States and its allies, notably Israel, are up against a highly professional organisation with a wide sphere of influence. All the Pentagon's power may help in fighting terrorism, but it will never be fully effective as long as discontent and the will to resist persist. A better approach would be policy shifts in favour of the oppressed, such as the Palestinians, and away from Israel.

---

(١) Al - Ahram Weekly. 13-19 Aagust 1998.

المقال الافتتاحى فى "الأهرام إيدو" :

EDITO

Lutte pour une identité

Si les Palestiniens peuvent se targuer de quelque chose en cinquante ans de lutte, c'est bien d'avoir pu préserver leur cause et leur identité malgré les efforts d'Israël ou des « *frères* » arabes pour enterrer l'une et effacer l'autre. La survie n'avait rien d'évident après la guerre qui a accompagné la création, le 14 mai 1948, de l'Etat d'Israël, et la défaite consécutive des armées arabes, autant d'événements qui sont restés dans la mémoire collective palestinienne sous le nom significatif de « *nakba* » (catastrophe).

Plusieurs centaines de milliers de Palestiniens ont alors dû partir en exil pour se réfugier dans les pays arabes voisins, ou en Cisjordanie et à Gaza. « *Après la* nakba, *toutes les tentatives se concentraient sur l'effacement de l'identité palestinienne* », affirme Yasser Abd-Rabbo, un responsable de longue date de l'OLP, aujourd'hui ministre de la Culture et de l'Information de l'Autorité palestinienne. « *C'est pourquoi les premières batailles que durent livrer les Palestiniens, immédiatement après la* nakba, *étaient dirigées contre les efforts visant à mettre un terme à leur existence et à tuer leur rêve de pouvoir un jour retourner sur leur terre* », explique-t-il.

La lutte était menée sur deux fronts : politique d'un côté, contre des tentatives arabes d'assimiler les réfugiés palestiniens et d'annexer les parties de la Palestine historique qu'Israël n'avait pas prises, et culturel de l'autre, contre l'idée qu'aucune identité nationale palestinienne n'existait.

Dès décembre 1948, la Jordanie annexe la Cisjordanie, avec l'aval de notables palestiniens réunis à Jéricho et emmenés par le maire de Hébron, Mohamad Ali Jaabari. Cette décision suscite la colère de la rue palestinienne et conduit à plusieurs manifestations,

notamment à Naplouse. « *Les Jordaniens ont riposté par une vaste campagne d'arrestations pour casser les protestations* », se souvient Faïq Warrad, qui appartenait à l'une des petites factions nationalistes palestiniennes nées après la *nakba*. Le roi de Jordanie, Abdallah, est assassiné en 1951 à Jérusalem-Est par un Palestinien. Mais le royaume hachémite maintient son contrôle sur le territoire jusqu'à la guerre de 1967 et la victoire israélienne qui débouche sur l'occupation de la Cisjordanie et de la bande de Gaza.

Pendant ce temps, d'importantes manifestations agitent les camps de réfugiés, au début des années 50, contre les propositions d'installation définitive des résidents des camps dans le Sinaï, dans la vallée du Jourdain ou dans certaines parties de la Syrie et du Liban. Les Palestiniens commencent ensuite à organiser leur propre lutte armée, dans l'espoir de « *libérer* » leur patrie. En 1955, le gouvernement égyptien permet la formation de groupes de *feddayines* (combattants) à Gaza.

Les Etats arabes tentent alors de contrôler le mouvement palestinien en favorisant la création de l'Organisation de Libération de la Palestine, en 1964, et en mettant à sa tête un homme jugé malléable, Ahmad Al-Chouqeiri. Mais ce n'est qu'après la prise de pouvoir de l'OLP, en 1969, par Yasser Arafat et sa faction, le *Fath*, que les Palestiniens purent vraiment obtenir leur institution indépendante des Etats arabes et engager à fond la lutte armée.

Le choix de la négociation et le retour d'Arafat en terre palestinienne, en 1994, à la suite des premiers accords d'autonomie avec Israël, marquent une étape capitale dans la longue marche des Palestiniens. Mais à ce jour, ils restent très loin de pouvoir concrétiser leur rêve d'Etat indépendant ayant Jérusalem-Est pour capitale.

13 – 19 MAI 1998

المقال الافتتاحى

فى جريدة الرأى العام[1]

حديث الرأى العام

يمثل حادث انفجار سفارتى الولايات المتحدة الامريكية فى كل من كينيا وتنزانيا ابعادا ذات مدلولات خطيرة تعكس مدى السخط والاحباط الذى أصاب البعض بسبب سياسة الولايات المتحدة الامريكية القائمة على تحقيق مصالحها دون اعتبار لمصالح الآخرين وكذا ارتكازها على سياسة الكيل بمكيالين فى عدة أزمات دولية تحدث فى العديد من دول العالم خاصة فى منطقة الشرق الاوسط وفى تراخيها ازاء عملية السلام العربى الاسرائيلى. وفى تعمدها معاقبة اخطاء بعض المسلمين بعنف وارهاب شديدين..

ونحن حينما نقول ذلك لا نحبذ العمل الذى تم ضد سفارتى امريكا فى كينيا وتنزانيا. انما نقول ذلك لأن لهذين العملين اسبابا ومقدمات أدت الى حدوث هذه النتائج وهى نتائج يجب أن تتحمل الولايات المتحدة الامريكية تداعياتها ومعطياتها..

ونحن نندد ونرفض الانفجارين اللذين دمرا سفارتى الولايات المتحدة الامريكية فى كل من كينيا وتنزانيا باعتبارهما عملا ارهابيا يستوجب مقاومته ومعاقبة فاعليه ذلك لأن الحادثين قد استهدفا الابرياء من المواطنين أبناء كينيا وتنزانيا وكذا استهدفا الموظفين فى السفارتين الامريكية والذى وصل كما ذكرت آخر احصائية الى حوالى ٢١٨ قتيلا و ٥٠٠٠ جريح..

ونؤكد كما قلنا سابقا أن سياسة الولايات المتحدة الامريكية الخارجية هى وراء تفشى الارهاب وجعله ارهابا عالميا منظما وهذه السياسة الامريكية القائمة فى تخيلها على أنها أصبحت قوة تحاول فرض هيمنتها على العالم واشتت هذه السياسة شرهة للمزيد من القوة وأنها فظة ومتعالية على الجميع. هذه السياسة هى التى أدت الى حالات الكره والعداء تجاهها فى جميع أنحاء العالم. ومما يدل على سياسة الاستكبار والاستعلاء الامريكى قول الرئيس الامريكى بيل كلينتون أثناء حملته الانتخابية الاخيرة «إن الولايات المتحدة الامريكية أمة لا يمكن للعالم أن يعيش بدونها»!!

وحتى لا نتهم بأننا نتجنى على سياسة الولايات المتحدة الامريكية.. فاننا نستدل بما قالته صحيفة ألمانية ويسير رأيها فى نفس استنتاجنا وتحليلنا للاحداث..

فقد قالت صحيفة «سوددويتشة» الالمانية التى صدرت مؤخرا: أن السياسة الخارجية للولايات المتحدة الامريكية التى تنتهجها من بين الاسباب التى أدت الى تفشى روح العداوة ضدها والتى ظهرت فى أبشع صورها فى تفجير سفارتيها فى كينيا وتنزانيا. حيث كانت تصريحات المسئولين الامريكيين فى الفترة الماضية تعبيرا عن التكبر القومى والاستعلاء الاحمق الامريكى..

---

(١) جريدة الرأى العام ـ القاهرة فى ١٤/٨/١٩٩٨.

وقالت الصحيفة الالمانية: إن البيانات التي وردت بعد تفجير السفارتين وكذلك ما يتردد في الاوساط الدبلوماسية يؤكد ان الكثيرين في اجزاء مختلفة من العالم يشعرون أن الولايات المتحدة الامريكية أصبحت قوة تحاول فرض هيمنتها بطريقة فظة ومتعالية. وأن الولايات المتحدة تسببت في خلق اعداء كثيرين لها في العالم العربي من خلال دورها في عملية السلام في الشرق الاوسط علاوة على جهودها الخبيثة في انشاء تحالف مضاد للرئيس العراقي صدام حسين... وقالت الصحيفة: السياسة الامريكية تحتوي على الكثير من الاخطاء والتناقضات مما يستثني المقاومة والاختلافات السياسية الحادة معها خاصة بعد أن جعلت اسلوب فرض العقوبات على الاخرين أهم وسيلة لفرض سياستها الخارجية مثلما ارادت أن تفعل مع الشركات التي تتعامل مع العراق أو ايران أو ليبيا أو كوبا وكذلك في رفضها لانشاء محكمة جنائية دولية ودورها السلبي في اتفاقيات المناخ الدولية واكدت صحيفة «سوددويتشة» أن المسئولين عن تفجيرات السفارتين أرادوا أن يوصلوا رسالة الى واشنطن مفادها بأنه لا يهمهم عدد القتلى والجرحى الذين سيسقطون فهم ليسوا الهدف الذي يجب أن تصيبه القنابل بل والعلم الامريكي والامة الامريكية»..

وحينما وقعت الحادثتان لسفارتي امريكا سارع البعض وتطوع واعلن أن وراء الحادث «حركة اسلامية» وهذه ادعاءات مغرضة وباطلة تريد النيل من الاسلام والمسلمين.

فالمسلمون والعرب ابرياء من الارهاب بل أن الارهاب يمارس ضدهم في كثير من مواقع على خريطة العالم. ولا يستطيع أي شخص مهما كان أن يلصق تهمة الارهاب بدين عظيم كالاسلام والاسلام براء من الارهاب.

الفصل الرابع

فن العمود الصحفى

تهتم الصحافة اهتماما بالغا بفنون المعالم؛ فى التحرير الصحفى. و"المعالم" هى التى تشمل: التقرير الصحفى والحديث الخاص، كما تشمل المقالات الصحفية والمقالات الافتتاحية، ويجىء فن العمود الصحفى فى مكانه من الجانب المقالى الذى احتل حيزا كبيرا فى الصحافة، لما يمتاز به من وصف واقعى ورجوع إلى مصادر الأنباء، وأسلوب صحفى اجتماعى بسيط، فضلا عن تنوع أساليب التحرير فيه.

وعلى الرغم من أن لفن العمود الصحفى فى الجريدة اليوم منزلة الباب الصحفى الثابت فى العالم، وعلى الرغم من أن عدد قرائه يزيد كثيرا على عدد قراء الافتتاحية غير الموقعة، فإن تكامل العمود وشعبيته حديثا عهد نسبيا. ذلك أن الصحف اهتمت فى حياتها بالخبر ثم بالمقال، بينما لم يتسع المجال للعمود، فلم يظهر إلا متأخرا. واذا جاز أن يختار تاريخ لظهور أهمية العمود الصحفى فى الصحف، فإن من المرجح أن يكون ذلك التاريخ منحصراً فى أوائل القرن العشرين. فالصحف العربية والمصرية خاصة كانت تعتمد على المقال الافتتاحى، الذى كان طويلا فى البداية، ثم أخذ يقصر شيئا فشيئا. كما كانت موضوعات هذا المقال تدور حول موضوعات جادة فى أغلب الأحيان، وإن كانت تتناول أحيانا بعض الموضوعات الطريفة. غير أن الصحف المصرية قد أخذت عن الصحافة الغربية فن العمود الصحفى "على نحو ما نجد عند طه حسين الذى يتجه فى أوائل العشرينات إلى العمود المتخصص، أو الثقافى فى "حديث الأربعاء" ومن ذلك يبين أن ظهور العمود الصحفى فى الأدب العربى الحديث قد جاء استجابة للتجاوب بين الصحافة وطبقات الشعب المصرى بعد ثورة ١٩١٩، وهى الثورة التى دفعت الكتاب إلى أنحاء من التصوير والتعبير يطمحون من ورائها إلى أن تكون "مرآة صافية صقيلة لحياة الشعب يرى فيها الشعب نفسه فيحب منها ما يحب ويبغض منها ما يبغض، ويدفعه حبه إلى التماس الكمال، ويدفعه بغضه إلى التماس الإصلاح".

وكأن العمود المقالى، ثمرة من ثمار الروابط الثقافية والاجتماعية، التى تظهر بظهور الترابط الاجتماعى متعدد الوجوه، وتجاوب الصحافة مع الطبقات الجديدة فى المجتمعات المختلفة. حتى لنقول مع طه حسين إنه يحقق الصلة بين "الشعب وحياته الواقعية العامة وهذه الحياة الواقعية" شعبية أو تريد أن تكون شعبية لا يستأثر بها فريق من الناس دون فريق.

وفى ضوء هذه الرؤيا، تتعدد أذواق قراء الصحف ومشاربهم ومستوياتهم، طبقيا واجتماعيا واقتصاديا وثقافيا. وفى مواجهة هذه الحياة الواقعية الجديدة. ليس للصحافة بدٌ من أن تتطور، وأن تغير من أسلوب تحريرها واختيار موضوعاتها، وأن تتجه المقالات إلى الاهتمام بمصالح الأفراد والجماعات المتعددة المذاهب والاتجاهات والأهداف.. وعن هذا الاتجاه نشأ: **المقال الافتتاحى القصير** ثم فن **العمود الصحفى** كفنّين مقاليينّ تفاعلاً مع الصحافة الحديثة.

والعمود الصحفى يرتبط بما اتصف به النصف الأول من هذا القرن فى نهايته من عامل السرعة من جهة، وبالضغوط التى تعرضت لها الصحافة المصرية، كما يبين من التشريعات الخاصة بالنشر من جهة أخرى، بحيث أصبح المقال الموقّع فى الصحف اليومية يواجه ضغوطاً لا تتبع كلها من داخل صناعة الصحف، وإنما تتبع من أعمال الرقابة الإدارية على الصحف كذلك. ولعل فى هذا ما يفسر اتجاه فن العمود إلى التوسّل بالرمز، لمواجهة المصادرة التى فرضت على الصحف والكتب، وهنا نجد، طه حسين مثلا - يكتب **"جنة الشوك"** وبنشرها على شكل عمود فى **"الأهرام"** فى الأربعينات، قبل جمعها فى كتاب ينشر لأول مرة عام ١٩٤٥، وظل هذا العنوان اسما لعموده الصحفى فى **"الجمهورية"** فى الستينات.

ومقال العمود؛ حديث شخصى يومى أو أسبوعى لكاتب معين يوقعه باسمه وتحت عنوان ثابت مثل **"فكرة"** لمصطفى أمين بالأخبار، والتى كان يكتبها من قبل شقيقه على أمين و**"حقائق"** لإبراهيم نافع فى الأهرام و**"مواقف"** لأنيس منصور بالأهرام **"ومن قريب"** لسلامة أحمد سلامة بالأهرام، **ومجرد رأى** "لصلاح منتصر بالأهرام وصندوق الدنيا لأحمد بهجت فى الأهرام، **ونصف عمود** لأحمد رجب فى أخبار اليوم. **"والموقف السياسى"** لإبراهيم سعده فى أخبار اليوم .. والعمود الصحفى

يمثل فكرة أو رأيا أو خاطرا للكاتب، حول واقعة أو ظاهرة اجتماعية، أو سياسية أوثقافية. ذلك أن الغاية الأساسية من هذا الفن المقالى هى ربط القارئ بالكاتب والصحيفة. ويعتبر العمود رأيا شخصيا للكاتب قد يتفق وقد يختلف مع سياسة الصحيفة فى موضوع معين. غير أن بعض علماء الصحافة مثل "بيلنج" يذهبون إلى أن كاتب العمود لا يختلف عن كاتب المقال الافتتاحى، لأنه يعرض وجهة نظر الصحيفة لا وجهة نظره هو، ولكن معظم الصحف الكبرى فى العالم تؤثر أن يكتب الكاتب بحرية كافية معبرا عن رأيه الشخصى. وفيما يلى نموذج من "جنة الشوك" للدكتور طه حسين فى جريدة الجمهورية:

جنة الشوك (١)

بقلم الدكتور طه حسين

"قال الطالب الفتى لأستاذه الشيخ:

ايهما أدعى للسخرية طاغية معتوه أو قاض مجنون!

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتى:

كلاهما وتمرا.

قال الطالب الفتى لأستاذه الشيخ:

فانى لم أفهم منك هذا الجواب.

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتى:

إنك لقليل العلم بالأمثال ولكن مثلا آخر قد يعينك على فهم مالم تفهم. زعموا أن رجلا من أهل العراق يعرف بالعبادى سئل: أى حمارك شر قال هذا ثم هذا.

قال الطالب الفتى لأستاذه الشيخ:

الآن قد وعيت. ولكن ما خطب الشعب الذى امتحنه الله بطاغية معتوه وقاض مجنون.

---

(١) جريدة الجمهورية فى ١٩/١٢/١٩٥٩.

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتى:

إنما هى سحابة صيف عن قريب تقشع.. وسل الله أن يكذب هذا الشعب قول من قال. الناس على دين حكامهم.

طه حسين

١٩٥٩/١٢/١٩

من هذا النموذج المقالى - عند طه حسين يتبين أن المقال العمودى فن جديد قديم، على النحو الذى تبين لنا عند دراسة "العمود الرمزى"، حتى لنذهب إلى أن وصل هذا الفن المقالى فى الصحف برصيد قولىّ تراث يؤدى إلى لون من التعبير صادق كل الصدق، ملائم كل الملاءمة لحقائق التاريخ الأدبى العام من جهة، ولحقائق التاريخ الأدبى العربى من جهة أخرى".

ذلك أن هذا الفن - كما يقول طه حسين - كغيره من فنون القول إنّما نشأ منظوماً لا منثوراً.. فهو منذ نشأته الأولى فى الأدب اليونانى مذهب من مذاهب الشعر ولون من ألوانه، نشأ يسيراً ضئيلاً، ثم أخذ أمره يعظم شيئاً فشيئاً حتى سيطر أو كاد يسيطر على الأدب اليونانى فى الاسكندرية وغيرها من الحواضر اليونانية، فى العصر الذى تلا فتوح الاسكندر. وقد نشأ كذلك فى الأدب اللاتينى ضئيلا يسيراً، حتى إذا اتصل اللاتينيون بالأدب اليونانى عامة وبالأدب الإسكندرى خاصة، ترجموا ثم قلدوا ثم برعوا، حتى أصبح هذا الفن من فنون الشعر اللاتينى ممتازاً أشد الامتياز وأعظمه فى القرنين الأول والثانى للمسيح، أى فى العصر المجيد من عصور الإمبراطورية الرومانية.

وقد راد طه حسين إبداع الفن فى صحافتنا الحديثة من خلال عموده الرمزى النثرى "جنة الشوك". وهو الفن الذى سماه اليونانيون واللاتينيون "إبيجراما" أى نقشا، واشتقوا هذا الاسم اشتقاقا يسيراً قريباً من أن هذا الفن قد نشأ منقوشا على الأحجار، فقد كان القدماء ينقشون على قبور الموتى وفى معابد الآلهة وعلى التماثيل والآنية والأداة؛ البيت أو الأبيات من الشعر، يؤدون فيها غرضاً قريباً أول الأمر. ثم أخذ هذا الفن يعظم ويتعقد أمره، حتى نأى عن الأحجار واستطاع أن

يعيش فى الذاكرة وعلى أطراف الألسنة، ثم استطاع أن يعيش على أسلات الأقلام وفى بطون الكتب والدواوين. وقد أطلق اليونانيون واللاتينيون كلمة "إبيجراما" أول الأمر على هذا الشعر القصير الذى كان ينقش على الأحجار، ثم على كل شعر قصير، ثم على الشعر القصير الذى كانت تصور فيه عاطفة من عواطف الحب أونزعة من نزعات المدح، أو نزعة من نزعات الهجاء. ثم غلب الهجاء على هذا الفن، ولاسيما عند الاسكندريين وشعراء روما؛ وإن لم يخلص من الغزل والمدح. فلما كان العصر الحديث لم يعد الشعراء الأوربيون يطلقون هذا الاسم إلا على الشعر القصير الذى يقصد به إلى النقد والهجاء.

ذلك هو الأصل الأوربى القديم للمقال العمودى. أما الأصل العربى القديم، فلم يكد يعرفه الأدب الجاهلى، أو نحن لا نعرف من الأدب الجاهلى ما يمكننا من أن نقطع بأن الشعراء الجاهليين قد حاولوه أو قصدوا إليه. ولم يعرفه الأدب الإسلامى (وقد يروى شئ منه بين الفرزدق وعبد الله بن الزبير مثلا)، وأكبر الظن أن الشعراء الإسلاميين لم يعرفوه؛ لأنهم لم يرثوه عن الفحول الجاهليين، ولأنهم لم يشهدوا حياة متحضرة مترفة كالتى عرفها شعراء الإسكندرية وشعراء روما، وإنما عرفوا حياة قد اتصلت بالحضارة ولكنها لم تبدأ من البداوة، وقد حفظت تراثا قويا ضخما ومذهباً فى الشعر مألوفا، أخص ما يمتاز به طول النفس حتى يؤدى الشاعر ما يحتاج إلى تأديته فى أناة ومهل لا تمتاز بالقصر ولا بالاختصار. فلما كان العصر الثانى من عصر الحضارة الإسلامية، أزدهر فى العراق هذا الأدب العباسى الجديد، وظهر هذا الفن فى الأدب العربى قويا خصبا مختلفاً ألوانه فى البصرة والكوفة وبغداد. ولكن حياته لم تطل،. وإنما اقتضت ظروف السياسة والأدب أن يعدل الشعراء والفحول عنه عدولاً يوشك أن يكون تاماً، وأن يستخفى به بعض الشعراء وبعض الكتاب، بل بعض الذين لاتعرف لهم سابقة فى الشعر ولا فى النثر.

ثم كانت عصور الضعف الأدبى، فذهب هذا الفن من فنون القول فيما ذهب، واستؤنفت فى عصرنا الحديث حياة تقليدية عنى فيها أدباؤنا بعمود الشعر، ولم يخالفوا عن سنة الفحول من الجاهليين والإسلاميين والمحدثين، فلم يحفلوا بهذا الفن الذى لم يزدهر فى تاريخ الشعر العربى إلا وقتا قصيرا. وقد نقلت الآداب اليونانية

واللاتينية إلى اللغات الأوربية فى العصر الحديث. فقلد الشعراء الأوربيون فى هذا الفن كما قلدوا فى غيره من الفنون، ثم ابتكروا فيه كما ابتكروا فى غيره من الفنون، حتى أغنوا آدابهم منه بألوان رائعة. ولكن النهضة الشعرية التى دفع الأوربيون إليها منذ أواخر القرن الثامن عشر صرفتهم عنه إلى مذاهب أخرى من الشعر صرفا يكاد يكون تاما.

ومن ذلك يبين أن إحياء العمود الرمزى فى فنون المقال الصحفى يقوم على هذه الأصول، فى تعبير نثرى قصير، يتفق ومقتضيات الفن الصحفى الحديث. فالقِصَر إذن خصلة مقوّمة لهذا الفن المقالى، على النحو الذى تقوم عليه "الإبيجراما" فى شكلها الشعرى، وهذه الخصلة فى نموذج طه حسين من عناصر الأصالة فى الحياة العربية، ذلك أن "الإيجاز هو الذى غلّب فى بداية الحركة الإسلامية جانب العمل على جانب القول". وهذا الإيجاز بالقياس إلى الفن الصحفى الحديث أمر جوهرى. ذلك أن العمود الصحفى لا يتسع لأكثر من الكلام عن فكرة واحدة، أو خاطر واحد، بحكم ظروف العصر من جهة، وظروف الصحيفة من جهة أخرى؛ حيث لاتخصص إلا حَيزا صغيرا للعمود، الأمر الذى يقتضى الإيجاز فى التعبير، وعدم الجنوح إلى الإسهاب بحال ما [1].

ومن أجل ذلك وجدنا العمود الصحفى فى "جنة الشوك" لايتجاوز خمسة عشر سطرا، بحد أقصى، على نحو ما تمتاز به "الابيجراما" إلى جانب التركيز على فكرة واحدة. ومن ذلك مقال للدكتور طه حسين بعنوان:



> "قال الطالب الفتى لأستاذه الشيخ: ألم تر إلى فلان وُلد حرا وشب حراً، وشاخ حراً، فلما دنا من الهرم آثر الرق فيما بقى له من الأيام على الحرية التى صحبها فى أكثر العمر"؟!

(١) فن المقال الصحفى فى أدب طه حسين؛ هيئة الكتاب: الفصل الخاص بالعمود الرمزى.

"**قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتى:** أضعفته السن فلم يستطع أن يحتمل الشيخوخة والحرية معا. وأنت تعلم أن الحرية تحمل الأحرار أعباء ثقالا".

ومن هذا النموذج يتضح لنا على الفور أن من أهم خصائص المقال العمودى: **الإيجاز البليغ المطابق لمقتضى الحال**، وتكثيف الرأى فى ألفاظ قليلة، على نحو ما يسميه البلاغيون "إيجاز القصر" أو الإيجاز البلاغى الذى لايقدر فيه محذوف، لأن الاقدار تتفاوت فيه، ليسهل إفلات العمود الصحفى من قلم الرقيب فى فترات المحن السياسية التى تمر بها الشعوب فى بعض الأحيان.

ويُوظّف الكاتب المقالى هذه الأغراض البلاغية، فى عموده الصحفى ليطبعه بخفة الظل وسلاسة الأسلوب. ولذلك قد يمزج التعبير بالتهكم والسخرية مع الحكم والأمثال المتداولة، والنكات اللاذعة والاقتباسات الدالة، والنقد البناء. وفيما يلى نموذج لعمود "**لمسات**" الذى يكتبه الأستاذ محمد زايد فى صفحته **(اهتمامات الناس)** بعدد الجمعة فى الأهرام:



□ الحكيم وزير خارجية إسرائيل السيد ليفى.. يطلب من السلطة الفلسطينية أن تقنع بما كسبته وتكتفى.. ولا تثير فى لجان الارتباط مسألة المستوطنات لكيلا تتعقد المفاوضات.. عين العقل.. لأن المضى فى السلام.. لا يعنى أبدا إنهاء الاحتلال!

□ ظلمنا كثيرا مادلين أولبرايت.. فرغم أنها من أب وأم يهوديين.. إلا أنها لا تحابى أبدا إسرائيل.. وإنما فقط تعادى العرب!

□ قبل الهنا بسنة.. يؤكد العالمون ببواطن الأمور تزوير انتخابات المحليات القادمة.. لماذا لا تتلقى الحكومة البشرى.. وتبادر إلى انتهاز الفرصة وتفتح باب تقديم الطعون قبل بدء الانتخابات؟!

□ أظهرت أخيرا قضية الحباك أن "القبة ليس تحتها شيخ".. فكل المتهم به هبر ٩١ مليون جنيه لا أكثر.. لهذا خاب الأمل فى قيام "الطريقة النهبية الحباكية"!

□ سئل فيلسوف الغبرة: ماذا تطلب فى الموازنة العامة الجديدة للدولة؟ فرد قائلا: تغيير اسمها إلى "المواءمة الهامة" للدولة.. بين الدخول والنفقات!

محمد زايد: اهتمامات الناس[1]:

□ ولما كان اليوم الثالث بعد الأول من عام سبعة وتسعين.. أنهت شهر زاد رواية ما جرى فى العام السابق اللعين.. وهنا أدركت الصباح.. فكفت عن النكد المباح.. وتطلعت إلى أيام كلها أفراح!

□ المشروع العملاق لتنمية جنوب الوادى.. أطلق "توبة يقظان" مدوية.. أفاقت الجغرافيا من سباتها الطويل.. فتذكرت أن كل شمال لابد أن يكون له جنوب!

□ مع أن الأرض "بتتكلم عربى".. فهم البعض من حالات كسوف الشمس وخسوف القمر التى سوف يشهدها عام ٩٧ أنها "ظواهر كونية" ولم يفهموا من لغة الأرض أنها "ظواهر احتجاجية" على ما يحدث فوقها!

□ سئل فيلسوف الغبرة: ماذا ترى فى موقف الدكتور وزير التعليم من الدروس الخصوصية؟.. فرد قائلا: ولو أنه طيب.. أرى أنه فى حاجة إلى "درس خصوصى" فى فسيولوجيا "البطون المفجوعة".

والسمة "الإبيجرامية" فى العمود الصحفى لا تصدر عن نفس المصدر الذى صدرت عنه "الابيجراما" التى نشأت فى حياة ناعمة متخمة فى القصور، ذلك أنها - فى الصحف - ترتبط برؤية الكاتب اللغوية فى الاتصال بالجماهير من جهة؛ وبالظروف التى تحجب التعبير المباشر من جهة أخرى. والعمود الصحفى يمتاز بخصلة أخرى تتصل بالمعنى، وهى أن يكون المعنى أثرا من آثار العقل والإرادة والقلب جميعا، وهو فى هذه الخصلة كذلك يتفق مع "الإبيجراما" من حيث أنها ليست شعراً عاطفيا يصدر عن القلب أويفيض به الطبع، وليس هو شعرا يصنعه العقل وحده، وإنما هو مزاج من ذلك يسيطر الذوق عليه قبل كل شئ. أثر العقل فيه - كما يذهب إلى ذلك طه حسين - أنه نقد لاذع أوهجاء ممضّ، أو تصوير دقيق لشئ يُكره أو يُحب. وهذا كله يحتاج إلى بحث وتفكير، وإلى روية وتأمّل، ولا يأتى مستجيبا لعاطفة من العواطف أو هوى من الأهواء. وأثر الإرادة فيه أنه لا يأتى

(١) الأهرام - الجمعة ١٩٩٧/١/٣.

عفو الخاطر ولا فيض القريحة .. وذلك أن الكاتب العمودى يعقد إلى عمله وإنشائه قصدا، ويستعد لتجويده والتأنق فيه. وأثر القلب فيه - كما يقول طه حسين كذلك - أنه يفيض عليه شيئا من حرارته وحياته، ويجرى فيه روحاً من قوته التى يجدها عندما يقبل على الخير أو عندما ينفر من الشر، عندما يرضى، وعندما يسخط.

وفيما يلى نموذج من عمود "شوارد" الذى يكتبه المؤلف فى صفحة الأدب بجريدة الأهرام - ملحق الجمعة تحت توقيع مستعار: "سندباد" :

شوارد

تلبيس إبليس

"قال الطالب الفتى لأستاذه الشيخ: ما المقصود بتعبير "تلبيس إبليس" فى كتب التراث؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتى: "التلبيس" إلباس الباطل لباس الحق، أى إظهار الباطل فى صورة الحق بالدفاع عنه والتدليل على صدقه، والمنافحة عنه، والذياد عن حقيته و "تلبيس إبليس" إظهار أن المدافع لهذا التلبيس لا يكون إلا الشيطان لأنه المحرك دائما للشر والمحرض على الباطل والمثير للضلال والدافع للدفاع عن الفساد، ومما روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال لأبى ذر صاحبه: يا أباذر. هل تعوذت بالله من شر شياطين الإنس والجن؟ فقال أبوذر: يا رسول الله وهل للانس من شياطين؟ قال عليه السلام: نعم هم شر من شياطين الجن!

قال الطالب الفتى لأستاذه الشيخ: ومن أجل ذلك كنت تحذرنا فى دروس "الإعلام" من تلبيس الدعاية فى مقابل اصطلاح "النقاء الاعلامى"!؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتى: إن الله سبحانه يقول فى سورة الانعام - ١١٢.

"وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا" شياطين الانس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا"

وفـي ذلـك تنبيـه لنـا بمقاومـة الشـياطين مـن الانـس والجــن.. وشــياطين "الدعاية" يلجأون إلى الاغراء والاستهواء. وصاحب الدعاية، أشبه بـإبليس حيـن يلبس الباطل لباس الحق. وهو لذلك يختلف عن رجل الاعلام الـذى يعتمـد علـى الحقائق والمعلومات والنقاء الإخبارى فى أداء رسالته. إن إبليس العصر يصوب أسلحته الدعائيـة إلـى الـروح المعنويـة عنـد الأفـراد والجماعــات والمؤسســات والشعوب بهدف تحطيمها. ومـن كتابنـا الكريـم نعلـم أن شـيطان الجـن يوسـوس لشيطان الإنس فيطرح فى خياله زخرف القول الباطل يعارض به دعـوة الرسـل بالهمس الخفى.

قال الطالب الفتى لأستاذه الشيخ: ومن أجل ذلـك يتوسـل إبليـس العصـرى بكل الوسائل لكى يحـاصر الحق ولــو كــان مـــن بين هـذه الوسـائل اختـلاق الأكاذيب وإطلاق الشائعات.

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتى: فى أثنــاء الحـرب الثانيـة كـانت الشـائعات من أهم وسائل الدعاية السوداء بل أطلق تعبير "حملـة الهمـس فـى الآذان" علـى الشائعات خارج ميدان القتال ووجدت منظمات لخلق الشائعات لحساب العمـلاء. وفى دراسة العالمين الأمريكيين "البورت" و "بوستمان" تعريف يقول إن "الشائعة هـى.. كـل قضيـة أو عبـارة نوعيـة أو موضوعيـة قابلـة للتصديـق تتنـاقل مـــن شخص إلى آخر عادة بالكلمة المنطوقة وذلك دون أن تكون هناك معـايير أكيـدة للصدق" وحسبك أن تعلم من خطر الشائعات أن سقراط سيق إلى الموت بسـببها اذ اتهم بإفساد الشباب!

قال الطالب الفتى لأستاذه الشـيخ: ومـاذا نقـول لهـؤلاء الذيـن يلبسـون الباطل لباس الحق.

قـال الأسـتاذ الشيخ لتلميـذه الفتـى: وجِّـه إليهـم إهـداء أسـتاذنا عميـد الأدب العربى لأحد، الذى كتبه قال فيه :

"إلى الذين لا يعملون ولا يحبون أن يعمل الناس" ولتطمئن يا بنى فصــانع الشائعة أشبه بالنعامة فى المثل القديم إذ ذهبت تطلب قرنين فعادت بلا اذنين !

"سندباد"

والكتاب العموديون فى الصحافة العربية المعاصرة يمثلون ما وصلت إليه المدرسة الحديثة من ترسل صحفى يتسم بالبساطة والوضوح وحرية التعبير القائم على التعقيل الصحيح. ومنهم من يأخذ نفسه بموضوع سياسى معين يتناوله تناولاً مميزاً؛ حتى لتجمع مقالاته العمودية بين الفلسفة العقلية وإجادة الأسلوب الصحفى، كما نجد فى عمود "حقائق" عند إبراهيم نافع. ويقترب البعض الآخر مثل أنيس منصور من فن "مونتانى" الذى يجعل العمود الصحفى أقرب من القصيدة الغنائية.

مواقف

١ـ مصر: هبة النيل ـ قالها أبو التاريخ هيرودوت عندما جاء إلى مصر. فالنيل وهبنا الماء والأرض والجو المعتدل والنبات والحيوان والاستقرار وحب الحياة، فقامت حضارتنا على جانبيه. فكان المصرى القديم، ولا يزال، محسودا بين الشعوب حولنا التى تعيش على الآبار والأمطار..

وأبونا النيل صار شيخا سفيها، فهو يجرى ويلهث من اثيوبيا إلى السودان إلى مصر، ثم يلقى بنفسه إلى البحر. ولذلك كان لابد أن نمسكه فأقمنا السدود والخزانات لتكون بنكاً نحفظ فيها وديعتين: الماء والطمى.

ولأننا (أولاد حلال) فقد ورثنا سفاهة أبينا، فأغرقنا الأرض وأضعفنا التربة، ولوثنا الهواء، وسممنا الماء بالكيماويات والمبيدات.. حتى مات النبات والحيوان والتربة والإنسان..

ثم قلدنا أبانا النيل مرة أخرى أفضل وأجمل فمددنا ذراعا ثالثة إلى أرض جديدة عذراء تدخر لنا الحياة والأمل والأمان ومستقبلا أفضل..

وبالأمس وباسم الله الذى يعطى من يشاء بغير حساب ومع الرئيس مبارك نفتتح دلتا جديدة فى أرض جديدة لصفحة جديدة من رخاء مصر..

وقد تعجب الملك سليمان قديما عندما نظر إلى النهر والبحر فقال: إن الانهار كلهب فى البحار. لا الأنهار جفت ولا البحار امتلأت!

ولكن الأنهار أخذت تجف. ولذلك لابد أن نمسك ايدينا وندخر قطرة الماء. فلا نكرر جهالتنا فى تبديد المياه وإعدام التربة وشنق الحياة فى كل شجرة وكل بقرة وكل إنسان!

ومثل هذا اليوم من شهر يوليو القادم تصل سفينة الفضـاء الأمريكيـة إلـى كوكب المريخ، بحثا عن قطرة ماء من أجل أن يعيش الإنسـان. لأن اللـه تعـالى قال: (وجعلنا من الماء كل شئ حى).

فهل يا تـرى سوف نتعلم مـن تاريخنـا ألا نعـاود قتـل الحيـاة بأيدينـا فـى وادينا؟

ولكن مع الأسف لقد علمنا التاريخ أننا لا نتعلم من التاريخ!

أنيس منصور [1]

والقارئ لعمود أنيس منصور: "مواقف" يتمثل قول إبن العميد فى الجـاحظ، حين "يعلم العقل أولا والأدب والسياسة بعد ذلك" وهو بذلك يوظف المقالة الأدبية، لمقتضيات العمود الصحفى على النحـو الـذى يجعلنـا نـدرك مـا يعنيـه أستاذنا د. زكى نجيب محمود، حين قال إن المقالة الأدبية يجـب أن تصـدر عـن قلـق يحسـه الأديب مما يحيط به من صـور الحيـاة وأوضـاع المجتمـع، علـى شـرط أن يجـئ السخط فى نغمة هادئة خفيفـة، هـى أقـرب إلـى الأنيـن الخـافت منهـا إلـى العويـل الصارخ، وهى سخط مصطنع بفكاهة لطيفة، وليس سخطا مما يدفع السـاخط إلـى تحطيم الأثاث وتمزيق الثياب.. كما يشترط فى المقالة أن تكـون علـى غيـر نسـق من المنطق، أن تكون أقرب إلى قطعة مشعثة من الأحـراش، الوحشـية منهـا إلـى حديقة المنظمة، فلا نقط فيها ولا تبويب ولا تنظيم". وفيما يلى نموذج آخر :

مواقف [2]

ونام عميقا تغطى وتمطى وقفز من الفراش كبعض من المفكرين يقولـون ما قاله ارشيمدس: أيوريكا.. أى وجدتها.. وجدتها!

أما الذى وجده فهو الصحراء.. ففيها متسـع للجميـع.. وتعمير الصحـراء هو الحل.. والزراعة هي المستقبل. ومصر بلد زراعى. وكلنا فلاحون وريفيون ـ أى أناس زرعوا الأرض، وأناس يتفرجون على ذلك. وظهرت نظرية تقـول:

---

(١) جريدة الأهرام.

(٢) جريدة الأهرام فى ٢٥ / ١٠/١٩٩٦.

يجب أن نزرع الشبان فى الصحراء. فإذا زرعناهم أنبتوا سلاما وحبا بينهم وبين أبناء الوادى. ازرعوهم فى الصحراء. ازرعوهم حتى لا يقلعونا!

ونشرنا الخرائط للأرض التى يجب أن نقتطعها لشباب الخريجين.. أرض مساحتها خمسة أفدنة.. وعشرة أفدنة.. تقام عليها بيوت للعروسين.. أى يجب أن يقيم العريس وعروسه فى الصحراء يرويان ويبذران ويغرسان ويزرعان ويحصدان ويكسبان. ويتضاعف الدخل القومى.. والفلوس تغرى بالفلوس.. والألف جنيه هو أبو المليون.. وكم من فقير صار غنيا، وكم من واحد كان عنده خمسة فدادين صارت الخمسة خمسين ومائة وألفا.. فالبداية صغيرة.. فالميل يبدأ بخطوة.. وكلام حلو كثير. (وذهب الشبان واقاموا وفرحنا بهم ولهم.. وطبلنا وزمرنا.. وأسعدنا أن الحل هو الارض وان الارض هى الخير.. وان الخير عام. والقرآن الكريم يقول: وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون..) ورأينا ما عملوا. وأسعدنا ذلك.. ولكنهم لم يسعدوا بسعادتنا. فعندهم مشاكل كثيرة. فهم أولا ليسوا فلاحين لم يمسكوا فأسا ولا رأوا شادوفا ولا طنبورا.. ثم ليس لديهم فلوس.. والماء ليس متوافرا دائما ولا الكهرباء ولا البذور.. يعنى إيه؟ يعنى تجددت شكاوى الشبان. وهذه المرة شكاوى لامن عدم وجود حل أو نظرية، ولكن بسبب وجود حلول ناقصة ونظريات مرتجلة.. وسعادة فى الصحف وعلى الشاشة فقط..

فقد فعلنا بهؤلاء الشبان تماما ما فعلناه بعمال التراحيل. وقلنا لهم: احرثوا الارض يطلع لكم بطيخ.. وحرثوا الأرض ولم يطلع لا بطيخ ولا شمام.. وإذا ذهبوا يجددون الشكوى مما يعانون.. لم يلقوا إلا ما يلقاه المواطن العادى ساكن القاهرة والمنصورة: وفوت علينا بكره وبعد بكره.. لقد اصبح الحل مشكلة!

أنيس منصور

والرؤية العملية للواقع تجعلنا نذهب مع كتاب العمود الصحفى، إلى أن الصحيفة ليست انعكاسا للواقع الاجتماعى فحسب. أو تسجيلا لهذا الواقع، ولكنها كذلك جزء من تاريخ المجتمع، تقوم بدور القيادة فى القضايا المهمة، وتعرض الأخطاء وتكشفها سواء الأخطاء التى ارتكبها الحزب السياسى الذى تؤيده الصحيفة،

أو الأخطاء التى ترتكبها السلطة السياسية أو الحكومية. ذلك أن المواطنين ينشدون من صحيفتهم أن تكون جريئة فى نضالها من أجل الحق.

وتتحدد وظيفة المقال العمودى فى ضوء هذه الرؤية الصحفية، للقضايا الاجتماعية المختلفة، حين تذهب هذه الوظيفة بالعمود الصحفى إلى اتخاذ موقف محدد من هذه القضايا، يقوم على تفسير الكاتب وتحليله لها، ورأيه الذاتى أيضا، كما يقوم على تقويمه للواقع وحكمه الخاص، الذى يتميز بالصواب فى التفسير، والاستقلال فى التقويم. على نحو ما يتضح فى نموذج **"حقائق"**: العمود اليومى للأستاذ إبراهيم نافع[1] :

(١) الأهرام فى ١٩/٨/١٩٩٨.

(١)

حقـــــائق

«السياسة لا تعرف إلا لغة المصالح».. هذه العبارة فرضت نفسها على الساحة الدولية منذ قديم الأزل ولا تزال. وقد تذكرت تلك المقولة عند محاولتى إيجاد تفسير لموقف دول الاتحاد الأوروبى من بعض الصادرات المصرية. إذ يبدو أن المسيرة الناجحة للاقتصاد المصرى لم تشعل فقط جذور المنافسة، وإنما أثارت أيضا المخاوف والحذر، ولا أقول الأحقاد. والغريب أن يحدث ذلك من بعض الدول التى ترتبط مع مصر بعلاقات سياسية واقتصادية وثيقة مثل دول الاتحاد الأوروبى، والأكثر من ذلك أن الجانبين المصرى والأوروبى كانا قد قطعا شوطا كبيرا على طريق المشاركة. ولذلك فلقد دهشت لتلك الإجراءات الأوروبية التعسفية التى اتخذتها دول الاتحاد ضد بعض السلع المصرية، فيما سمى بفرض رسوم مكافحة إغراق، التى وصلت إلى ١٨,٥٪ على المنسوجات، خاصة، وأن القرار الأوروبى اتسم بالمفاجأة والمباغتة دون سابق تفاوض أو إنذار.

وفى تقديرى أن هذا الموقف الأوروبى له عدة تفسيرات، فى مقدمتها جودة المنتجات المصرية وتميزها والإقبال المتزايد عليها من المستهلك الأوروبى، مما أصاب بعض الحكومات الأوروبية بالفزع من إمكان حدوث تعديل فى الميزان التجارى لمصلحة مصر، بعد أن ظل طويلا لمصلحة الدول الأوروبية.

فمهما تتحدث الدول المتقدمة عن حرية التجارة والأسواق الحرة، فإنها فى النهاية لا تريد سوى أن تكون لها الغلبة وأن يميل الميزان التجارى لمصلحتها على طول الخط ومن هذه الزاوية بالتحديد تنظر تلك الدول، ومن بينها بعض الدول الأوروبية، بقلق إلى تقدم وازدهار اقتصادات الدول النامية، خشية أن تصل أى من هذه الدول النامية إلى مرتبة الشريك الكامل اقتصاديا، وهو ما لا تقبله فى الحقيقة كل الدول المتقدمة بلا استثناء. فدول الاتحاد الأوروبى تهدف إلى المحافظة على ترتيبها المتقدم فى قائمة الدول المصدرة فى العالم، وبالتالى تبذل كل جهدها لكيلا تتراجع صادراتها ولو خطوة واحدة بالمقارنة مع وارداتها.

ومن يدقق فى الموقف الحالى بين مصر والاتحاد الأوروبى يلمس عدة حقائق تثير التأمل والتعجب لهذا الموقف من جانب أوروبا، هى أن الصادرات المصرية من المنسوجات لا تمثل سوى نسبة ضئيلة بالنسبة لواردات الدول الأوروبية من هذه الصناعة.

ومصر ملتزمة بتطبيق اتفاقية التجارة العالمية ومختلف السلع المصرية تتفق مع الشروط العالمية للتجارة، التى تلتزم بها مصر. فمن أين يأتى إغراق السوق الأوروبية بهذه السلعة أو تلك؟!

كيف نفهم رغبة دول الاتحاد الأوروبى فى توقيع اتفاق للمشاركة المصرية - الأوروبية، ثم تقوم هذه الدول فى الوقت نفسه بوضع العراقيل أمام الصادرات المصرية؟

(وللحديث بقية)

إبراهيم نافع

---

(١) الأهرام فى ١٩٩٨/٨/٢٠.

٤٠

حقـــائق

الموقف الحاسم الذى اتخذته مصر على المستــوى الحكومي، وعلى مستوى دوائر رجال الاعمال لمواجهة الاجــراءات الاوروبيــة المناهضــة للصادرات المصــرية يعكس جــدية الرغبة فى دفع الصادرات المصرية، والعمل على إزالة اى عقبات تعترض طريقها، خاصة بعد ان اثبتت تلك الصادرات جودتها وقدرتها على الاستمرار والمنافسة. فإذا ما تمادت الدول الأوروبية فى موقفها، وفرضت بشكل نهائى ما قررته مؤقتا من فرض رسوم مكافحة إغراق على بعض السلع المصــرية، فــإن ذلك ســوف يلحق الضــرر بالصناعــة الأوروبيــة ذاتهــا، إذ أن تخـفـيض الصــادرات المصــرية إلى اوروبا سيقابله بالضرورة وقف استيراد بعض منتجات الدول التى وقفت ضــد مــصــر، مما يؤثر على اقتصاديات تلك الدول، نظرا لزيادة واردات مصر بالمقارنة مع صادراتها لهذه الدوله وعلى سبيل المثال فإن مصر تستورد من فرنسا مثلا ما يوازى ١,٢ مليــار دولار سنويا، فى حين أن الصادرات المصرية إليها لا تتجاوز ٢٠٠ مليون دولار.

غـيـر اننا نلاحظ أن الحكمـة قـد فرضت نفسها على الموقف المصرى من هذه الإجراءات الاخيرة، وانه لم يتوقف عند حدود المعاملة بالمثل فى حد ذاته، وإنما بدات الدبلوماسية المصرية تشق طريقها للتعامل مع الموقف بشكل عصرى وحضارى، فنهض رجال الأعمال فى كل موقع للاتصال بنظرائهم فى دول الاتحاد الاوروبى لشــرح وجــهــة النظر المصرية وتوضيح المخاطر المترتبة على الإجراءات، والفرص المتاحة للمشاركة الحقيقية.

اى لتوضيح الموقف بكل ابعاده، خاصة ان المستثمرين المصريين لا يرغبون فى تغيير سياساتهم القائمة على تاييد الانفتاح الاقتصادى على العالم، وتحرير التجارة الخارجية، كما لا يريدون التراجع عن الاستراتيجية الجديدة للصناعة المصرية، التى تقوم على التصنيع بهدف التصدير بدلا من التصنيع بهدف تلبية احتياجات السوق المحلية وحدها لتخفيض الواردات. كما اتجهت رغبة عدد من المستثمرين ومنظمات الأعمال إلى التنسيق مع نظرائهم فى دول مجموعة الـ ١٥ من اجل التوصل إلى موقف موحد لقطاع الأعمال فى هذه الدول، بما يتيح فرصة الوصــول إلى افــضل الصــيغ المناسبة لتنفيذ الاتفاقات الدولية متعددة الأطراف.

وقد جاء هذا التحرك الاولى قبل البحث عن اسواق بديلة فى اسيا وإفريقيا ودول الكومنولث وامريكا. فــهل وصلت الرســالة إلى رجــال الاعمال بدول الاتحاد الاوروبى. وهل ادركوا حقا مخاطر تحول دول مثل مصر عن اسواقها سواء للاستيراد منها، او التصدير إليها؟!.

إبراهيم نافع

ويظهرنا عمود "من قريب" للأستاذ سلامة أحمد سلامة؛ على نموذج مقاليّ متميزة؛ تيضح فيه أثر الفلسفة النقدية فى التناول المقالى لأمور الحياة.؛ كما يتضح فيه أثر المنهج التحليليّ فى التفكير والتعبير؛ على النحو الذى يطبع هذا المقال العمودى بطابع موضوعى يشير إلى منهج مبدعه "من قريب". على نحو ما نجد فى النموذجيْن التاليين [1]

من قريب

السودان.. مسئولية مشتركة

لا يسمع العالم من انباء السودان خلال السنوات الاخيرة غير إحدى قصتين او كلتيهما معا. فإما ان يكون القتال مشتعلا على اشده بين قوات نظامية تتبع حكومة الخرطوم وفصائل قوات التجمع التى تمثل المعارضة السودانية فى الجنوب.

او ان تكون المجاعة قد فتكت بعدة مئات من الالوف. تتجاوز المليون سودانى احيانا. وان فرق الإغاثة الدولية تتوسل لكل من الحكومة السودانية وقوات المعارضة لوقف القتال وعقد هدنة - ولو مؤقتة - حتى يمكن توصيل المؤن والاغذية إلى الضحايا.

ولا يوجد شك الآن فى أن ثمة قوى دولية وإقليمية، تستهدف تقسيم السودان. وأن هذه القوى تعمل بكل الحرص والداب على تحقيق هذا الهدف سواء على المدى القصير او الطويل، وانها تستغل فى سبيل ذلك تضارب الزعامات والمصالح، وإثارة النزعات العرقية والقبلية، والخلافات الدينية بين الشمال والجنوب.. وتستفيد اكبر الفائدة من محاولات فرض الوحدة بقوة السلاح التى استنزفت السودان اقتصاديا وسياسيا وعسكريا.

وطوال السنوات الماضية بذلت مصر جهودا مضنية لإحباط مؤامرات التقسيم الدولية والإقليمية، واستخدمت نفوذها لدى قوى المعارضة السودانية لدفعها للتوصل إلى تسوية سلمية مع حكومة البشير - الترابى التى لا تترك فرصة إلا انتهزتها لاثارة الخلافات مع مصر، وتوظيف هذه الخلافات لابقاء العلاقات متوترة بين البلدين الشقيقين. وكان آخر ما فعلته حكومة البشير هى النكوص عن الاتفاقات التى سبق التوصل إليها لتحسين العلاقات، ومن بينها إعادة الممتلكات المصرية التى صادرتها، وإثبات حسن النيات فى التعاون الامنى وتسليم اية عناصر إرهابية تلجأ إلى السودان.

ومن المعروف انه فى ظل التدهور الخطير الذى شهدته الاوضاع فى جنوب السودان اخيرا، وانتشار المجاعة على نطاق واسع بسبب الحرب الاهلية.. اتجهت مصر إلى بذل مساعيها بهدف لم الشمل ووقف القتال، ولم تقدم على استضافة الاجتماعات الاخيرة إلا بعد ابلاغ حكومة الخرطوم.

إن الأوضاع الدولية الراهنة، والانفجارات الإرهابية التى وقعت ضد امريكا فى شرق إفريقيا، اعادت تسليط الاضواء على الانظمة التى تعتبر حاضنة للإرهاب.. وتعرف حكومة الخرطوم انها ضمن القائمة وان قوى اجنبية عديدة تتربص لتقسيم السودان وفصل جنوبه عن شماله. وانه لولا معارضة مصر ووقوفها بكل قوة ضد هذه المحاولات لكان تقسيم السودان قد وقع منذ وقت طويل.

ومن هنا تبدو اتهامات الخرطوم لمصر بالتدخل، فضلا عن سذاجتها، بمثابة دعوة صريحة إلى تحالف القوى الاجنبية الضالعة والمتآمرة لتقسيم السودان.. وهذا ما لن تسمح به مصر، حتى ولو ادت سياسات البشير إلى تحقيقه باسم الشريعة والدعوة إلى الإسلام بحد السيف.. والمسئولية هنا مشتركة بين حكومة الخرطوم وقوى التجمع، بعد ان اصبح السودان اشبه بثمرة ناضجة حان قطافها لدعاة التقسيم فى اية لحظة.

سلامة أحمد سلامة

---

(1) الأهرام فى ١٩٩٨/٨/٢٠.

من قريب

الأستاذ الفاضل /

أشرتم في بابكم الموقر إلى الموقف السلبي لأمريكا وأوروبا تجاه الممارسات العدوانية ليهود إسرائيل. ولي رأى أود أن أسهم به في توضيح وتفسير ماهية المساندة الأمريكية والأوروبية لإسرائيل. فقد تزايدت في الآونة الأخيرة المواقف المعلنة للسياسة الأمريكية بمساندة إسرائيل وتأمين وجودها في فلسطين، ونتج هذا الأمر عن ضعف النفوذ العربي ليس في أمريكا وحدها بل في كل أوروبا وخاصة أوروبا الغربية.

والولاء لدولة إسرائيل ليس نابعا من قوة إسرائيل نفسها أو من ازدياد نفوذ اليهود في الدول الغربية وأمريكا ولكنه راجع لأسباب دينية في الأساس. فمن الخطأ الاعتقاد بأن اللوبي الصهيوني يمثل أقوى أداة فعالة أو قوة ضغط على السياسة الأمريكية لتسييرها وفق المخططات الصهيونية. كذلك فإنه من الأخطاء الشائعة اعتقاد معظم المؤرخين والمحللين السياسيين أن ذكاء ودهاء اليهود الصهيونيين الأوائل مثل وايزمان أو لويس برانديس وحنكتهم السياسية وراء إصدار وعد بلفور ومساندة الدول الغربية لليهود.

فلا تزال توجد عدة قوى واتجاهات من غير اليهود تساند إسرائيل عن اقتناع تام بأن اليهود قد عادوا إلى وطن أجدادهم الذى اغتصبه منهم العرب. وقد تمركزت هذه القوى في كل من بريطانيا وأمريكا. وذلك هو السبب وراء تأييد هاتين الدولتين والسعي لإنشاء دولة يهودية في فلسطين ثم مساندتها بعد ذلك.[*]

والنقطة الأساسية في هذا الموضوع هي تأييد المذهب البروتستانتي للاحتلال اليهودى لفلسطين. ويعتبر كل من كالفن ومارتن لوثر، هما مؤسسي هذا المذهب في أوروبا ويرى البعض أن كالفن، وهو مؤسس المذهب البروتستانتي في سويسرا، من أصل يهودي، وكان اسمه الأصلي كوهين، ثم غيره إلى كارفن عندما انتقل من سويسرا إلى فرنسا للتبشير بدعوته، ثم غيره إلى كالفين حينما انتقل إلى انجلترا.

فأصول هذه العلاقة المميزة بين اليهود والبروتستانت ترجع إلى القرن السادس عشر الذى تمرد فيه مارتن لوثر على الكنيسة الكاثوليكية واعتبره

[*] الأهرام ٢٣ ديسمبر ١٩٩٦.

إصلاحاً داخل هذه الكنيسة، فقد اعترض على بعض المعتقدات الكاثوليكية ولذلك سمى معترضاً Protestant وانصب اهتمام هذه الحركة الجديدة على الإيمان الكامل بأسطورة شعب الله المختار، وعودة المسيح المنتظر والعهد الألفى السعيد، وحق اليهود الدينى فى فلسطين.

وللحديث بقية إذا أردتم.

محمد مصطفى محمد

ماجستير عن اقتصاد اليهود فى مصر

هذه وجهة نظر ننشرها عملاً بحرية الرأى والبحث العلمى معاً. وإن كنت شخصيا لا أميل إلى اعتبار العامل الدينى وحده السبب فى التأييد الغربى الكاسح لإسرائيل، فنحن نعرف أن الكنيسة الكاثوليكية بدورها عدلت عن بعض مبادئها اخيرا تحت تأثير ضغوط سياسية ارضاء لليهود ولتحقيق مصالحة تاريخية بين الفاتيكان وإسرائيل.. وليست الكنيسة البروتستانتينية وحدها فى ذلك.

سلامة أحمد سلامة

وإذا كنا نفضل المقال الموقّع على غير الموقع لافتقار الأخير إلى الطابع الذاتى، فإن القراء المعاصرين يرحبون بعودة "الطابع الذاتى" فى المقال العمودى.. والطريف أن المقال العمودى لم يقترن بهذا الطابع الشخصى، إلا بعد فترة متأخرة من تاريخه، وبطريق الصدفة تقريبا، فقد استحدثه "فرانكلين ب". أدامس عندما أدخل فى عموده "برج القيادة" "مذكرات من "مفكرة بيى" إذ أخذ يوقع العمود بالأحرف "ف. ب أ". ومن الطبيعى جدا أن تعكس المفكرة الطابع الشخصى، لأنها تعالج مايراه كاتبها وما يفعله ويحس به ويفكر فيه.

واذا كانت معرفة الكاتب لقرائه وبيئته، تتيح له أن يتكلم بلغة الشعب من حوله فى مقاله العمودى، فإن هذا الأمر يجعل من الطبيعى فى المستقبل، أن يتجه المؤرخون إلى دراسة الشعوب من خلال المقالات العمودية وكتابها؛ دراسة دقيقة تعطى مؤشرات هامة لدراسة حركة التاريخ الاجتماعى فى مكان وزمان معينين. ذلك أن الكاتب المقالى إنما يصدر فى عموده الصحفى عن رؤية لجتماعية واضحة تجعلنا نذهب مع طه حسين إلى أن "ما يقال فى نقد الناس وحمدهم إنما هو أشبه بالمرايا، يرى الناس فيها أنفسهم، لأننا لا ننقد عفاريت الجن، ولا نحمد الملائكة الأبرار، وانما ننقد ونحمد ما نرى وما نعلم من آمال الناس وآثارهم".

وفيما يلى نموذج من عمود "مجرد رأى" الذى يكتبه الاستاذ صلاح منتصر فى الاهرام:

مجرد رأى

عبادة إيه؟! [1]

قال لى أحد الأصدقاء عندما سمعت أم طرقات الزائر الغريب على الباب عند الفجر فإنها عندما فوجئت برجال البوليس الواقفين وفى يد أحدهم مدفع الكلاشنكوف وهم يطلبون إبنها فان أول ما طرأ إلى ذهنها أنهم أخطأوا وتصوروه من "المتطرفين الدينيين" ودفاعا عن ابنها قالت لكبيرهم ببراءة يا بيه ابنى مالوش دعوة بالجماعة دول.. ابنى بيرقص وبيقضى وقته فى سماع المزيكا.. يابيه ده كمان بيشرب الخمرة..

وقد تصورت الأم الطيبة أنها بذلك أنقذت إبنها فراحت تتمادى فى إلصاق الأفعال السيئة به ولكنها فوجئت بالضابط الكبير يقول لها: عشان كده احنا جايين نقبض عليه.. ابنك يا هانم من بتوع عبادة الشيطان!

وطرقت الأم على صدرها فى ذهول وهى تصرخ: عبادة إيه ياخويا..؟!

لم أكن فى مصر عندما نشرت الصحف القبض على الأولاد وقد كان الواضح أن اجهزة الأمن هى المصدر، ولكن أجهزة وقد فاجأها الخبر تماما كما فاجأ أمهات عدد كبير من الشباب الذين قبض عليهم راحت تعيد وتزيد وتفتعل أقوالا واعترافات وحكايات حتى أصبحنا على مايبدو أمام قصة جديدة "لفتاة العتبة" التى سبق أن حدثت أيضا فى شهر سابق من شهور رمضان وقيل من بين ما قيل أن هذه الفتاة وقعت ضحية لاعتداء جنسى وقع عليها فى وسط ميدان العتبة أزحم ميادين القاهرة وأمام عيون كل الذين تصادف مرورهم فى الميدان فى ذلك الوقت!!

عدت من عبادة الرحمن لأجد كل من أقابله مهموما بما قيل عن عبادة الشيطان.. اختلفت الأقوال والتفسيرات والشروحات واختلطت اعتبارا من أن إسرائيل هى الفيروس والسبب، وصولا إلى الذين ذهبوا للعمل فى الخليج وتحمل سنوات الغربة من أجل توفير اسباب الحياة لأسرهم وقد أصبحوا اليوم مسئولين بأنهم ذهبوا لعبادة المال وتركوا أولادهم يعبدون الشيطان.

---

(١) الأهرام فى ١٩٩٧/٢/١٩.

لاحظت أيضا اختلاف ردود أفعال المجتمع.. على الفور ظهرت شريحة اعتبرت مجرد القبض عليهم إدانة والبعض تسرع وطالب بمعاقبتهم كمرتدين وآخرون طلبوا "قتلهم على سبيل القصاص" دون أن يعرفوا معنى القصاص في الإسلام وأنه لا يكون إلا في حالة واحدة هي قتل النفس.

فئة ثانية انزعجت وتاهت فيما نشرته الصحف وأذاعه التليفزيون بينما إعتبرت فئة ثالثة أن الموضوع فرقعة بلا أساس وراحت تبحث عن الفرقعة في هذا الوقت بالذات لدرجة أن بعضهم تصور أنه قصد بها التغطية على موضوع ممدوح الليثي(!)

وهكذا في مبالغات وصلت إلى حد التطرف أصبحنا نعالج قضية من قضايا التطرف التي كان حتما وضروريا أن نواجهها!

صلاح منتصر

والرؤية الصحفية لمضمون المقال العمودي هي التي تحدد بناءه وشكله التحريري. ذلك أن معظم المقالات العمودية إنما تصدر في تحريرها عن نموذج أوعدة نماذج تحددها الرؤية الصحفية للكاتب الرؤية التي تسهم في تكوينها مقوماته الخاصة ومصادر ثقافته المتنوعة، على نحو ما نجد في عمود "فكرة" للأستاذ مصطفى أمين:

"من الآن يجب أن يستعد العالم الثالث لدخول القرن الواحد والعشرين.. ويعد نفسه ويؤهلها لحياة جديدة متقدمة منطلقة إلى الأمام.. لامستقبل للقاعدين والغافلين والكسالى والذين يرفضون التغيير والتجديد ويصرون أن يبقوا في مكانهم غافلين.

العالم الجديد لامكان فيه للخاملين ويجب أن نعترف أن العالم الثالث متخلف وسبقه الزمن وان بينه وبين عالم الغد مائة سنة على الأقل. وعلينا أن نختصر هذه المسافة فنسير بسرعتين سرعة نلحق بها الغد، وسرعة نتحرك بسرعة المستقبل. وهذه ليست مهمة سهلة فقد تعود عالمنا الثالث أن يسير الهوين ويتوهم أنه يسير بأقصى سرعة.. وهذا الهوينا لغة لم يعد يفهمها العالم، كل شئ أصبح يتحرك بسرعة. يعدو وينطلق ولا يقدم ساقا ويؤخر ساقا.

العصر القادم هو عصر الشعوب والحكومات وليس عصر العصابات، عصر المصارحة والعمل فى النور وإطلاع الشعب على الحقائق وعدم الكذب عليه أو تضليله ولامكان فيه للعاملين فى الظلام.. ويجب أن تشعر حكومات العالم الثالث أنها حكومات الشعوب لاحكومات الحكام وأنها تستمد سلطتها من المواطنين ولا تفرض عليهم وان القرارات يجب أن تصدر من تحت لاتنزل كالصواعق من فوق.

حكومات العالم الثالث يجب أن تتوقف عن الاستهتار بالشعوب وأن تعلم أنها خادمة الشعب لاسيدته وأنها تنفذ إرادته لا تفرض عليه إرادتها وترغمه أن ينزل عن مشيئتها. ويجب أن توقف البذخ والإسراف والاستهتار وتحافظ على أموال الشعوب وتصونها لاتنهبها وتسلبها وتعبث بها، ومهمة الشعب أن يكون الحارس الأمين على أموال الشعب لا يغلق عينيه ولا ينام ولا يسمح للصوص والنصابين والأفاقين والمختلسين للعبث بأموال الشعوب.[١]

علينا بالوضوء قبل أن ندخل القرن الواحد والعشرين.

مصطفى أمين

والعمود الصحفى - يزداد شيوعا كلما شاعت الصحافة، وهو أقرب إلى المقالة الأدبية، حين نعود إلى مفهومها الذائع. ذلك أن الكلمات التى تطلق على المقالة فى اللغات الأوروبية توشك أن تفيد كلها كما تقدم معنى المحاولة والمعالجة فكلمة Essay وكلمة sketch بل كلمة study وهى تترجم أحيانا بمعنى الدراسة، لايعدو أن يكون القصد منها فى بداية وضعها أن تفيد معنى المحاولة التى يعوزها الصقل والإنجاز، وكلها مستمدة من أساليب معامل النحت والتصوير، يريدون بها الرسم الذى يخطط الصورة قبل تلوينها، أو النموذج الذى يصب التمثال على مثاله وينقلونها إلى الموضوعات الأدبية على سبيل الاعتذار لا على الاشتراط، كأنهم يتقون نقد الناقد بهذه التسمية، فلا يحاسبهم على كتابتهم بحساب العمل المتمم الذى استوفى نصيبه من الاتقان، وكلمة Article وهى أبعد قليلا من الغرض تفيد معنى الفاصلة أو الجزء؛ ويقابلها عندنا (الفصل) الذى يستقل بموضوعه، ولا يشترط فيه أن يكون فصلا فى كتاب مطول تتممه فصول.

وفيما يلى نموذج من عمود "شوارد" فى صفحة الأدب بجريدة الأهرام :

---

(١) الأخبار فى ٩٦/١٢/٢٧.

شوارد

من عصر «المأمون» إلى أكاديمية الفنون

.. أما الأسباب الداعية لاهتمام المأمون بالترجمة فيختلف فيها المؤرخون، ولعلها مجتمعة - كما يقول د. عبد الحليم محمود رحمه الله - كانت داعية للمأمون إلى الترجمة.. هذه الأسباب الداعية، ما حكاه ابن النديم، من أن المأمون رأى فى منامه رجلاً أبيض اللون، مشرباً بحمرة، واسع اللحية، حسن الشمائل، جالساً على سرير، قال المأمون: وكأن بين يديه قد مُلئتُ هيبة. فقلت من أنت؟

فقال: أنا "أرسطو"

فسررت به، وقلت: أيها الحكيم أسألك؟

قال: سلْ.. قلت: ما الحسن؟ قال: ما حَسُن فى العقل. قلت: ثم ماذا؟ قال: ما حَسُن فى الشرع. قلت: ثم ماذا؟ قال: ما حسن عند الجمهور، قلت: ثم ماذا؟.. قال: ثم لا ثم...

قلت: زدنى.

قال: عليك بالتوحيد..

وهذا السبب يراه "سانتللانا" أشبه بالأساطير منه بالحقائق، ويرى آخرون أنه تعبير عما يشعر به المأمون من تقدير لأرسطو.. وعلى أية حال فإن المؤرخين يسجلون لعصر المأمون ازدهاراً ثقافياً فريداً، ذلك أنه قد شجع النهضة العلمية وحرية الفكر ودفع حركة النقل والترجمة إلى الأمام، وقد تجلى ذلك إمداد "بيت الحكمة" بالكتب فى مختلف العلوم والفنون، حتى أصبح أشبه بجامعة علمية، ووزارة للثقافة نهضت فى ظلها الترجمة، وانتشرت بل لقد تنافس كثير من الوجهاء فى تبنى الترجمة والتوسعة على المترجمين، وقد شجع المأمون كل ذلك وساهم بالنصيب الأوفر فى هذا المجال.

وبيت الحكمة مكتبة فكر فى إنشائها ببغداد الخليفة هارون الرشيد، ونفذها ابنه الخليفة المأمون، وكان ذلك نتيجة للحركة العلمية النشيطة فى بغداد واتساع

حركة الترجمة عند اليونانيين، وتقدم صناعة الورق، وكثرة التأليف العلمية، جمع بها المأمون مؤلفات العرب المشهورة، ونقل إليها ما حصل عليه من مكتبات بلاد الروم. وقد تولى أمانة هذه المكتبة جماعة من العلماء أمثال: يوحنا بن ماسويه، وسهل بن هارون، والفتح بن خاقان وغيرهم. وظلت هذه المكتبة عامرة ومصدر إشعاع علمى ضخم، إلى أن دمرها المغول فيما دمروه عند استيلائهم على بغداد ١٢٥٨م - ٦٥٦هـ وكان بيت الحكمة يحوى كل الكتب فى العلوم التى اشتغل بها العرب، كما كان للعلماء والأدباء الذين يختلفون إليها، أكبر الأثر فى تقدم الحركة العلمية فى عهد العباسيين ونشر الثقافة بين جمهور المسلمين وغيرهم من أصحاب الديانات الأخرى. ولم يقتصر تشجيع العلم على الخلفاء بل تعداهم إلى الوزراء وسائر كبار رجال الدولة. ويذكر المسعودى أن يحيى بن خالد البرمكى كان يميل إلى البحث والمناظرة.

اليوم ونحن نستقبل عام ١٩٩٧، ونقترب من مشارف القرن الحادى والعشرين نرى د. فوزى فهمى رئيس أكاديمية الفنون، يحقق إنجازاً عظيما فى قضية الترجمة يحيى به دور بيت الحكمة، على النحو الذى يؤكد أننا نستأنف ما انقطع من تاريخ أمتنا، حتى تواصل هذه الأمة دورها الحضارى كمصدر للنور، يرسل ويستقبل، ويسهم فى بناء القوام الإنسانى لحضارة العالم.

سندباد"

والكلمات الدالة على "المقالة" لا تستوعب أغراض المقالات كلها فى الكتابة الأوربية أو فى الكتابة العربية، فمقالات "بيكون" و "ماكولى" و "أرنولد" و "سانت بيف" ليست كلها من هذا القبيل، بل مقالات "وليام هازليت" نفسه؛ على إسهامه فى أدب المقالة كما يعرفها د. زكى نجيب محمود؛ لا تجرى كلها على النسق الأدبى الشائع، وفيها ما هو أشبه بالبحوث والرسائل فى حيز صغير، ولاسيما وأن البحث لا يشترط أن يكون كتابا ضخما أو كتابا صغيرا فى عدد من الصفحات، فإذا جاز أن يتم البحث فى حيز المقالة فليس ما يمنع انتظامه فى عداد المقالات. وفيما يلى نموذج لعمود "حكاية" الذى يكتبه الاستاذ محمد صالح فى الأهرام :



"تصورنا أن الدنيا تضيق بنا خلال الخمسينات والستينات فرحنا نبنى المساكن فوق الأراضى الزراعية وذلك حتى تتسع محافظتى القاهرة والجيزة للسكان الذين يتزايدون دائما، إما بالإنجاب أو بالمهاجرين من الأقاليم إلى العاصمة للعمل، وبذلك تحولت أحسن الأراضى الزراعية إلى طوب وأسمنت، وانتقلت العدوى إلى سائر المحافظات الأخرى!؟

ثم اكتشفنا ما فعلناه بأنفسنا، وأن الزيادة التى كانت مرجوة فى الأرض الزراعية ببناء السد العالى لم تتحقق بالشكل المرجو بسبب تدميرنا لجانب من أفضل أراضينا الزراعية، فرحنا نستصلح أراضى صحراوية. حول القاهرة الكبرى والطرق الموصلة إلى مدن القناة والاسكندرية واقتربت المسافات وزالت الحدود بين محافظات القاهرة الكبرى وأصبح البشر كتلة واحدة تقريبا فى العاصمة فوق الأرض وتحتها داخل الأنفاق وعلى الأرض فى الدلتا، وناء الشريط الضيق حول مجرى النيل فى صعيد مصر من الجيزة إلى أسوان هو الآخر بالبشر والحجر!؟

ثم كان الحل الثورى الشجاع والجرىء معا ونحن ندخل القرن الـ ٢١.. أنه لابد من واد جديد يكون موازيا لوادى النيل وأن خريطة مصر يجب أن تتغير حتى تلحق بحضارة العصر من خلال فتح مجال أكبر وأضخم للتنمية الشاملة بجميع مجالاتها فى صحراء مصر الغربية من جنوبها حتى شمالها.

لقد كانت صحراء مصر الغربية هى مزرعة روما تمدها بالقمح.. وكان معروفا أن الطريق إلى واحة سيوة حيث معبد آمون فى عمق الشمال الغربى لمصر كان أهلا بالحضارة عامرا سواء أكان الطريق إليه من جنوب مصر أو من دلتاها سهلا وميسورا. وما أكثر الآثار المصرية التى توجد فى الصحراء الغربية وواحاتها.. وكلها تؤكد أنه كان هناك مياه وخضرة. ثم جاءت عصور نسى فيها المصريون أراضيهم الغربية وتركزوا فى الدلتا والشريط الضيق وأصبحت واحاتنا الغربية مجرد تاريخ وتراث قديم.

إن مشروع مبارك الذى تدخل به مصر القرن الـ ٢١ يشهد لها بأنها بلد لاينام، وأن مبارك يقول بهذا المشروع إن مصر قادرة وإنها تمتلك مقومات نهضة عصرية ينطلق بها العمران بكل مجالاته فى واد جديد.

كما أنه مشروع يعتبر صحوة للكرامة المصرية لأنها تقول به للدنيا إنها تستطيع أن تعتمد على مقوماتها الذاتية وهى تدخل القرن الجديد.. ولعلنا نذكر هنا ما يردده الرئيس مبارك من وقت إلى آخر.. وأقربها من أيام قليلة اننا لم نطلب زيادة المعونة ولا ننتظرها..

نعم إنه مشروع تؤكد به الكرامة المصرية ذاتها.

محمد صالح

وفى عمود إبراهيم نافع: "حقائق" وعمود "سلامة أحمد سلامة" "**من قريب**"، وعمود "**ابراهيم سعدة**": آخر عمود نزوع إلى التحليل، و إلى الاعتماد على تذوق الحوادث اليومية، والشواهد العملية.

فى حين يتجه أحمد رجب، ومحمود السعدنى وأحمد بهجت نحو توظيف المقال الكاريكاتيرى الأدبى، لأغراض فن العمود الصحفى، حيث يفترض الكاتب الساخر دائما وجود "الآخر" الذى يسخر منه، أو يشترك معه فى السخرية، أو يتبادل معه النكتة، ولكنه يوظف هذه السخرية لأداء وظائف الصحافة فى اتخاذ السخرية سيفا مصلتا على رقاب الخارجين على المعابير العامة.

و "روح الفكاهة" هى السمة الرئيسية لأعمدة هؤلاء الكتاب، الذين يوظفون العمود الصحفى للسخرية اللاذعة والضحك الموجع من الخارجين على قوانين المجتمع .. والكاتب الساخر وهو يفعل ذلك إنما يصدر عن الشخصية المصرية فى اتخاذها للسخرية وسيلة للنقد والإصلاح بالنسبة إلى المجتمع المصرى ذاته، ذلك أن الضحك - كما يقول برجسون — وسيلة فعالة لتصحيح أو تعديل تلك الآليات الضارة التى تنطوى عليها حياتنا الاجتماعية العادية بإظهارنا على ما فيها من سخف وعبث.

ولذلك نرى أن مقالة العمود الصحفى، أقرب فى كتابتها إلى ما يسميه العقاد بنمط "المناجاة والاسمار"، وأحاديث الطريق بين الكاتب وقرائه، الأمر الذى يكسب المقال العمودى" لون الافضاء بالتجارب الخاصة والأذواق الشخصية". وفيما يلى نموذج

وجهة نظر الذى يقدم فيه الأستاذ : محمد سلماوى اسبوعياً

وجهة نظر

حوارات نجيب محفوظ

مطبعة «الأهرام»

قال الأستاذ نجيب محفوظ كم كنت أود أن أحضر افتتاح مطبعة "الأهرام" الجديدة بمدينة ٦ أكتوبر لكن الحالة الصحية أصبحت الآن تحول دون تلك الزيارات الميدانية الواسعة، وذلك ليس فقط بحكم أن هذا المشروع العملاق هو أحد التوسعات الخاصة "بالأهرام" الذى أعمل به، وإنما بحكم أنه أحد الإنجازات المهمة فى عصر المعلومات الذى تتنافس فيه كل وسائل الإعلام بحيث لن يكون هناك مكان إلا لكل ماهو سابق للعصر، لقد مضت العهود التى كنا نطالب فيها بملاحقة العصر، وأصبح البقاء الآن هو لمن يسبق العصر، ففى ذلك وحده إمكانية الاستمرار والتقدم. (٢)

ووسط ذلك فإن الصحافة عليها عبء كبير فى المنافسة الشرسة التى يشهدها الآن عصرنا هذا، فهى لم تعد تتنافس مع بقية الصحف فقط، وإنما عليها أن تتنافس مع وسائل المعلومات الأخرى بما فى ذلك الوسائل الحديثة من قنوات المعلومات والانترنت وخلافه، فمهما تطورت قنوات المعلومات فلن يكون هناك غنى ـ فى رأى ـ عن الكلمة المطبوعة التى يستطيع القارئ أن يلمسها بيديه ويدقق فيها النظر أو يطويها ويضعها فى جيبه، إن كل ذلك التقدم فى مجال المرئيات لن يلغى أبدا الوثيقة الورقية، فلطالما قلنا إن السينما ستلغى المسرح أو أن التليفزيون سيلغى السينما لكن ذلك لم يحدث، لذلك فإن التقدم التكنولوجى الآن فى وسائل الاعلام والمعلومات لن يلغى أبدا دور الصحيفة، بل إنى أعتقد ـ على العكس من ذلك ـ أن تلك المنافسة ستساعد الصحافة على الالتزام بدورها الحقيقى والذى لا تستطيع أية وسيلة إعلام أخرى أن تنافسها فيه، إن على الصحافة فى العصر الحديث أن تحفظ مكانها بأن تضمن أنها تعطى للقارئ كل مالا تستطيع وسائل الاتصال الأخرى اعطاءه له، والطريق إلى ذلك يمر بشيئين: أولا الحرية التى لاتحدها القيود وثانيا المطبعة المتطورة.

محمد سلماوى

---

(٢) الأهرام فى ١٧/١٠/١٩٩٦.

وفيما يلى نموذج مقالى للعمود الصحفى الذى يكتبه الأستاذ سمير رجب فـى جريدة الجمهورية، يتسم بالمتابعة الدقيقة للأحداث؛ وعرضها بأسلوب نقدى تميز به:[١]

٢٥

خطوط فاصلة

لعل مـا اعلنه امس المسئولون الامـريكيـون بشـان التفجيرات التى استهدفت مباني سفارتيهم فى كل من نيروبى، ودار السلام يعتبر مبرراً كافياً لإيجاد الوسائل المثلى للتعاون الدولى من اجل مكافحة الإرهاب..!

●●●

مثلاً .. لقد قال «توماس بيكرنج» وكيل وزارة الخارجية.. إن المخابرات المركزية بريئة مما حدث.. وإن كان لايمكن إغفال ان ثمة تحذيرات تلقتـها السلطات «المسئولة».. لكنها ـ للأسف ـ لم تاخذها ماخذ الجد..!

ايضاً.. اعلن «ستانلى بيدلنجتون» اكبر خبراء مكافحة الإرهاب فى الولايات المتحدة انه من الصعوبة بمكان حماية جميع المنشات الامريكية على مستوى العالم.. إلا إذا قامت التكنولوجيا والاختراعات الحديثة بدور كبير.. ولاجدال ان ذلك يحتاج إلى جهد، ووقت.. لايعلم مداهما احد..!

●●●

على الجانب المقابل .. ذكر الخبراء.. ان مقار السفارات الامريكية تبنى الآن بحوائط مقواة، ومزدوجة واسقف ونوافذ من انواع معينة.. اما المبانى القديمة ـ والتى من بينها سفارتا نيروبى ودار السلام ـ فمن السهل ان يخترقها الرصاص، وتفجرها القنابل..!

●●●

إذن .. المشكلة قائمة .. وبصراحة مهما حاولت امريكا او غيرها.. استخدام مختلف الوان التكنولوجيا.. فإن النتائج تصبح غير مضمونة.. الأمر الذى يثير تساؤلاً هاماً:

● .. وما الذى يمنع .. من ان تتبنى واشنطن اليوم قبل

---

(١) الجمهورية فى ١٩٩٨/٢/١٩.

٢٥

غد.. الإعداد لعقد مؤتمر دولى لمواجهة الإرهاب.. تدعى إليه كل دول العالم ويصدر عنه اتفاق يلزم الجميع بتبادل الخبرات، والمعلومات، وتسليم المجرمين، وحرمان القتلة، وسفاكى الدماء من اى نوع من انواع الحماية..!

●●●

إن مثل هذا الاتفاق .. هو الذى يمكن ان يسهم ـ بحق ـ فى تقليم الأظافر القذرة، وفى الحد من نشاط المحرضين على ارتكاب الجريمة المنظمة فى أى مكان.

إن الأمور .. إذا تركت على عواهنها.. فسوف تستفحل الظاهرة، وتستشرى اكثر واكثر.. وإذا احس الإرهابيون.. بأن أمريكا ـ بجلالة قدرها ـ عاجزة عن صدهم.. فسوف يزداد شططهم.. ليعيثوا فى الأرض فساداً.. كما يحلو لهم..!

.. وفى النهاية .. وقبل كل هذا، وذاك.. ياليت.. ان تتوخى واشنطن العدالة فى تعاملها مع البشر.. لان الإحساس بالظلم.. يولد الغضب، والكراهية، ويحول ابتسامة الأمل.. إلى صرخة لوعة، وحزن، ورغبة عارمة فى الانتقام.

وإذا كان النقاد يذهبون إلى أن المقالة الأدبية "قطعة نثرية محددة فى الطول والموضوع، تكتب بطريقة عفوية سريعة خالية من الكلفة والرهق، فإن شرطها الأول أن تكون تعبيرا صادقا عن شخصية الكاتب"[٣]. ونرى فى هذا التعريف ما يصدق على فن "العمود" الصحفى، الذى اكتسب من خصائص المقالة الأدبية: "الايجاز فى كتابتها، وتجنب الإطالة، والبعد عن التوغل فى البحث عن الظواهر، وعرض التفصيلات وإيراد الاستقراءات الدقيقة لجزئيات الموضوع وترتيبها. وفيما يلى نموذج للعمود الذى يكتبه الأستاذ محمد العزبى بجريدة الجمهورية:

أطفال "فاطمة المعدول"

تلقيت أحلى تهنئة بالعام الجديد من أطفال "فاطمة المعدول" فى صورة كروت معايدة تحمل فنون الأطفال من رسوم وعرائس.. وسبق أن سعدت بكتاب يحمل عنوان "أنشودة البراءة" الذى أصدرته الإدارة العامة لثقافة الطفل

(٣) محمد يوسف نجم: فن المقالة، بيروت ١٩٥٧ ص ٩٥.

ويضم لوحات فيها فن وتلقائية وفيها شقاوة الأطفال.. عشرون لوحة، اختارتها لجنة فنية برئاسة "فاطمة المعدول" مدير عام إدارة ثقافة الطفل من بين أعمال عشرة آلاف طفل اشتركوا فى النشاط التشكيلى بمجمعات وقصور وبيوت الثقافة فى جميع أنحاء مصر.. رسموا البحر والنيل والصحراء وجنى البلح، وعبروا عن رؤيتهم البريئة للبيئة من حولهم، من الاسكندرية إلى أسوان، فى المدن والقرى والنجوع.. أطفال ما بين السادسة والخامسة عشرة من عمرهم يثيرون الإعجاب والدهشة، وقد لفتت لوحة الطفلة "نانسى حلمى حبيب" من قصر ثقافة الفيوم أنظار السيدة "سوزان مبارك" فاختارتها لتكون الملصق الإعلانى لمهرجان القراءة للجميع.. "ونانسى" التى لا يزيد عمرها عن ١٣ سنة تقدم لوحة بارعة الألوان لأطفال تزدحم بهم المكتبة يقرأون ويرسمون ويمارسون نعمة القراءة للجميع.. أما "هشام يحيى عبود" - ٩ سنوات - من قصر ثقافة مصر الجديدة فيقدم البحر والنيل فى لوحة واحدة حيث البواخر الكبيرة والزوارق الشراعية فى تشكيل بسيط يبشر بموهبة كبيرة.. "وشادى أحمد محمد" - ٧ سنوات - من كفر الشيخ اختار الورود والعصافير وأعواد الذرة.. كذلك قدم "محمد السيد عبد المجيد" - ١٠ سنوات - من بنى عبيد دقهلية صورة للقرية التى نحلم بها بأشجارها وبيوتها والطريق على ضفاف الترعة وحاملة "البلاص" والمآذن العالية ترفرف حولها الطيور.. ومن العريش نقل لنا الطفل "أحمد ناجى محمد جلال" - ١٠ سنوات - صورة بسيطة لجمع البلح والرجال معلقون فوق النخيل وسيارة النقل الحديثة تنتظر لنقل المحاصيل.. "والشيماء محمود يوسف" - ٩ سنوات - من بيت ثقافة دار الاشارة احتفلت بالعيد على لوحة ملونة.. "ومروة محمد الدسوقى" - ١٠ سنوات - من بورسعيد رسمت السيرك.. بينما اختار "أحمد صبحى" - ٨ سنوات - من "جاردن سيتى" حديقة الحيوان والفيل أبو زلومة.. يبقى غلاف كتاب رسوم الأطفال "أنشودة البراءة" الذى رسمه "إسلام حمدى صبرى" - ١٣ سنة - من قصر ثقافة مصطفى كامل بالاسكندرية وأطفال فنانون كثيرون يستحقون الاشادة والتشجيع أود لو أذكر أسماءهم جميعا وأن تهتم بهم جميع وسائل الإعلام.. والرسم ليس هو الفن الوحيد الذى تهتم به قصور الثقافة وانما هناك فنون اخرى وجنود مجهولون يبحثون عن المواهب ويرعونها.. وانه لعمل شاق أن يتابع الانسان طفلا موهوبا، ويظل ينفخ فيه من علمه وثقافته وصبره حتى تخرج لنا أجيال جديدة تحمل مشاعل التقدم.(٤)

محمد العزبى

---

(٤) جريدة الجمهورية ١٩٩٧/١/٧.

هذه الخصائص الأدبية نتعرف عليها فى عمود "سامى دياب" الذى يكتبه فى "وجهة نظر" أسبوعياً؛ كما نرى فى النموذج التالى (١)

٢٦

وجهة نظر

وأنتم ... ماذا ترون؟

مارجو كورتي تلتقي في ربيعها العشرين بجون شانتر الذى يكبرها بخمس سنوات فيتحابان، ويحاولان تتويج حبهما بالزواج، لكن ظروفا قاهرة تحول دون ذلك فيفترقان.

ويشاء القدر ان يلتقيا مرة أخرى بعد نصف قرن ليكتشفا ان الحب الذى كان بينهما لا يزال متلجا، فتتزوج مارجو امرأة السبعين حبيبها جون رجل الخامسة والسبعين!

ويلتقي نيلسون مانديلا رئيس جنوب إفريقيا وهو فى الثانية والسبعين بجراسا ميتشل ارملة رئيس موزمبيق، فتشتعل بينهما علاقة عاطفية تستمر ثماني سنوات، وتنتهى بزواج جراسا من مانديلا فى عيد ميلاده الثمانين!.

....

خبران نشرتهما الصحف على فترات متقاربة.

الخبران يدوران حول «الحب»، ويؤكدان حقيقتين:

الحقيقة الاولى ان الكبر لا يصيب العواطف الإنسانية.

إن قصة حب مانديلا وجراسا تؤكد ان العواطف لا تذبل، وان القلب لا يشيخ!.

لقد احب مانديلا جراسا وعمره سبعون عاما وعامان، ليصل إلى الثمانين وقد علا حبه بعلو سنه، وزاد بزيادته!.

الحقيقة الثانية أن الحب لا يموت!

إن قصة حب مارجو وجون تؤكد ان الحب الصادق لا يموت.

إن خمسين عاما فرقت بينهما لم تستطع ان تقتل حبا تبادلاه!.

ويصدمنى الدكتور زكريا ابراهيم برفضه لنتيجة توصلت اليها مستندا الى واقع حي!.

يقول: إن الحب يموت، لانه يحيا على أزمات الحياة اليومية، ولان التجربة شاهدة على ان المحبين قلما يصونون العهد، وان الحب الابدى الذى يتحدثون عنه قلما يزيد على عمر الزهور!.

واسارع باحثا عمن يساندنى ويقف إلى جانبي ويؤيد ما توصلت إليه!.

واجد ضالتى فى فقيه وفيلسوفين يرددون ما أردده!.

ارسطو يقول: إن حبا امكن يوما ان ينتهى لم يكن حبا حقيقيا!.

جابرييل مارسل يقول: إن الحب لا يتحول او يتغير.. إن المحب ينبغى ان يضع محبوبه فوق شتى الاحداث والاعراض والتقلبات والتغيرات!.

إبن حزم يقول: من كان سلوه عن ملل فليس حبه حقيقة!.

وانتم ... ماذا ترون؟

اتؤيدون ما يراه ارسطو وجابرييل مارسل وإبن حزم؟... اتؤمنون بان المشاعر الوجدانية لا تهرم، وبان الحب الصادق لا يموت؟... اتباركون حب مانديلا وجراسا، ومارجو وجون؟... أم ترفضون ذلك كله وتقولون بموت الحب؟! □

سامي دياب

---

(١) الأهرام فى ١٢/٨/١٩٩٨.

وفيما يلى نموذج آخر للمقال العمودىّ فى "وجهة نظر" يكتبه الأستاذ محمد مصطفى البرادعى أسبوعياً؛ من خلال المتابعة النقدية لحركة الأحداث والحياة فى المجتمع وفيه توظيف السخرية فى المقال من الظواهر السلبية توظيفاً فنياً :(٢)

٢٧

وجهة نظر

روب المحاماة بالإيجار!!

القضاء الواقف الصفة التى تتصف بها مهنة المحاماة، والتى عاشت الاجيال تكن لها كل التقدير باعتبارها المكمل الاساسى للقضاء. ومهنة المحاماة فى مصر لها تاريخ مشرف وسمعة عالمية بما ضمت ولاتزال تضم من عمالقة لهم دور فى الدفاع فى كل القضايا سواء التى تمس الدولة أو المؤسسات او المواطنين.. ومازالت كليات الحقوق تخرج اجيالا يفضل الكثير منهم العمل فى مهنة المحاماة، وتاريخ المهنة يزخر بالنابغين والمفكرين والسياسيين من بين هؤلاء الخريجين. ومع تطور الحياة، كان اهتمام الدولة بمبانى المحاكم لتكون صورة مشرفة لاتمس رسالة، واقيمت المبانى الحديثة وفق احدث مثيلاتها فى الدول الكبرى، وهذه المبانى مبهرة فى صورتها الخارجية، ولكنها تحتاج إلى الرعاية والصيانة فى الداخل والتوعية الدائمة للمترددين والمتعاملين معها لتبقى الصورة متكاملة. وهو دور العاملين فيها بكل المستويات. ومع زيادة وعى المواطن بدور الدفاع واللجوء إلى المحامين غصت المحاكم باعداد كبيرة من شباب المحامين يتولون قضايا او ينوبون عن محامين كبار فى بعض اجراءات التقاضى.. وتقديرا للقضاة وتنفيذا لتعليمات نقابة المحامين، اصبح محظورا على المحامى ان يقف أمام القضاة الا وهو يرتدى الروب الاسود..

ولكن الصورة التى تتكرر فى كل المحاكم التى يتولى شباب المحامين مهامهم فيها، ان معظمهم ليس لديه هذا الروب.. وقد يكون لدى عدد قليل منهم، فيتبادلونه فيما بينهم كلما جاء دورهم فى القضايا المكلفين بها.. ولجأ متعهدو بوفيهات المحاكم وبعض السعاة إلى التكسب من تأجير الارواب لمن ليس لديه هذا الروب وبفئات معروفة لديهم.. وبحساب الزمن الذى سيستخدم خلاله هذا الروب!! كل ذلك يحدث أمام اعين المتقاضين الذين وضعوا مصائر قضاياهم بين ايدى هؤلاء المحامين الشبان.. وتطوير القضاء ليس بالمبانى فقط، ولكن ينسحب اساسا إلى من يتعاملون ويعملون فى هذه المهنة المقدسة.. ومهمة نقابة المحامين التركيز بالصورة التى تراها بان يحرص كل محام شاب على مظهره القانونى. وأن ينفرد بالروب دون تبادله مع الآخرين.. او بالايجار وان يكون لهذا الروب الشكل الموحد الذى أعد له وليكن قدامى المحامين والشيوخ منهم نموذجا يحتذى بهم فهم حريصون على الشكل والمظهر الذى يضفى القدسية للقضاء الواقف، وبالقطع فان تكلفة الروب الأسود بصورته القانونية لن تكون كبيرة، ولكنها بامثلة شكلا وموضوعا بلغة رجال القانون.

محمد مصطفى البرادعى

---

(٢) الأهرام فى ١٧ أغسطس ١٩٩٨.

وجهة نظر

حوارات نجيب محفوظ

الأدب العربى

سال مندوب الاذاعة الالمانية الاستاذ نجيب محفوظ إن كان يشعر بعد كل هذا العمر بانه حقق الرسالة التى كان يريدها؟ فقال: اعتقد انني حققت ما استطيعه، فقد اشعر فى بعض الاحيان بانني كنت اريد تحقيق الاكثر بكتابة اعمال جديدة لم اتمكن منها وبالوصول بفن الرواية الى آفاق جديدة لم يتيسر لى بلوغها رغم تصورى الفكرى لها، لكني لم أشعر ابدا انني قصرت فى عملي بالقياس لما كان مستطاعا لي من حيث إيجاد الوقت اللازم للكتابة ومن حيث الالتزام بالعمل الادبى قبل اى عمل آخر ومن حيث القدرة العملية على الكتابة، اما النتائج فاكبر من ان يحققها كاتب وحده أو مجموعة كتاب مجتمعين، لذلك فانا إن كنت دائما ارى انه كان بالإمكان ان انجز اكثر إلا انني الى حد كبير راض عن انني فعلت ما كان باستطاعتي.

فساله مندوب الإذاعة: كيف ترى واقع ومستقبل الادب العربى وقد كنت انت الذى شكلته خلال نصف القرن الاخير؟

فقال: للاسف فإن الادب العربى الآن واقع بين شقي الرحى ففى الكثير من الدول العربية يعانى الكتاب من الرقابة المفروضة عليهم من قبل بعض الانظمة السياسية والتى تحد من قدرتهم على التعبير الحر، اما فى الدول العربية الاخرى فإن الاتجاه الى التطرف الدينى يشكل قيدا آخر على الادباء لا يقل خطورة عن الرقابة السياسية وذلك بلا شك يفرض على الادب العربى قيودا تحد من انطلاقه، ولذلك فقد وجدت فى بعض ما اطلعت عليه من الاعمال الادبية الحديثة اتجاها نحو الانسحاب من الحياة العامة الاجتماعية والسياسية والانغلاق على النفس بالتعبير عن موقف الشخص من الجنس او الدين او خلافه، هذا فضلا عن ان الأدب ككل قد اهتزت مكانته لمنافسة التليفزيون له.

فساله المندوب: وهل ترى ان هذا الوضع الادبى سيتغير قريبا؟ فقال له الاستاذ: صحة السؤال هى: هل سيتغير المجتمع العربى قريبا؟!

محمد سلماوى

وفيما يلى نموذج للمقال العمودى "حصاد القلم" الذى يكتبه الأستاذ محمد الشهاوى رئيس تحرير جريدة الرأى العام، ورئيس مجلس إدارتها أسبوعياً فى الصفحة الأخيرة.

حصــــاد القلــــم

بقلــــم / محمــــد الشهــــاوى

هــل القوانين الصادرة حبر على ورق ؟ !



الدين الاسلامي.. دين يدعو الى الأمر بالمعروف والى النهى عن المنكر. ويدعو الى اجتناب الوقوع في الاخطاء أو تكرارها أو تعمد الدخول في الممنوع والمحظور والوصول الى نقاط الاثم والخطيئة والخطايا.. وفي ذلك يؤكد الرسول - صلى الله عليه وسلم - "الاسلام لا ضرر ولا ضرار".

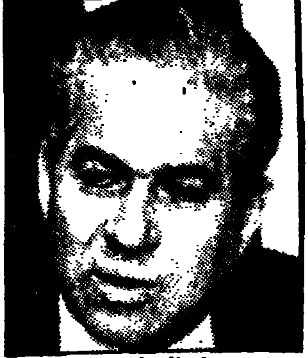
كما يأمرنا الاسلام بأن نحافظ على ما فيه مصلحة للمجتمع ويدعونا الى الالتفاف حول رأى والاتفاق حول قرار فيه مصلحة للجميع..

أمور كثيرة تحمل الخير والنفع العظيم دعانا اليها الاسلام وأمرنا بها.. ولكن.. البعض ممن استهوتهم المنافع الفردية والمصالح الشخصية والانانية العالية المرتفعة لديهم التي تدفعهم لمخالفة القوانين والقرارات. والضرب بكل قانون يصدر من أى وزارة أو من أى جهة تنفيذية يضربون بهذه القوانين عرض الحائط. بل ويتحايلون عليها. ويحاولون أن يجربوا اشال القانون وتهميشه وتقزيمه عن طريق "الاعيب شيحة" التي يجيدونها تماما ويرقصون على حبالها جيدا مثل "بهلوانات السيرك" أو مثل "الحاوى" الذى يقف فى الممنوع وفي الطريق المخالف ليعرض العابه على المارة والجمهور..

ولدينا حالة عجيبة وتحفة من معروضات متحف "الانتيكات" و"الروبابكيا" التي بتخلفها تتحدى القانون العصرى ووجودها فى المعرض ومسرح الدنيا الكبير انما لتمثل دورا يضرب به المثل فى الانانية والفردية واللامبالاة فهى خارجة عن روح العصر ومهزومة نفسيا ومجروحة روحيا وهمها الأول والاخير الوصول الى تحقيق اغراضها عن طريق دهس القانون "والدوسان" عليه بعجلات عقولها التى تسول لها عمل كل خبيث..!!

اصدر الدكتور كمال الجنزورى رئيس مجلس الوزراء أمرا "عسكريا" يقضى بعدم هدم أى عقار أو فيللا قديمة. وتأخذ طابع المعمار الاثرى. وكذا معاقبة من يقوم بالبناء دون ترخيص ومن يفعل

ذلك يقدم للمحاكمة مع ازالة التعدي فورا في حالة البناء بدون ترخيص..


● د. كمال الجنزوري ●

ولقد قام المستشار ماهر الجندي محافظ الجيزة بتطبيق هذا الأمر العسكري بحذافيره وبنوده وقام بتحويل الكثيرين الى المحاكمة لأنهم تعدوا الأمر العسكري وخالفوه وانقذ محافظ الجيزة عقارات وفيللات كثيرة من التعدي والهدم والضياع. وقد اراح محافظ الجيزة واستراح..

أما الوضع في محافظة القاهرة. فالامور لا تسير على ما يرام وتمشي عكس الصحيح وتسبح ضد التيار.. والدكتور عبد الرحيم شحاتة محافظ القاهرة خرج علينا بتصريحات ملتهبة ومتحمسة وقوية عبر وسائل الاعلام تؤكد كلها أن الرجل سيتخذ الاجراءات الفورية التي تقبض على يد كل من يخالف وأن قرارات الازالة جاهزة بالاضافة الى وسائل الردع الاخرى.

وذكرتنا تصريحات محافظ القاهرة بأننا داخلون معركة حربية ضد بؤر الفساد التي تهدم وتخرب وتبني بدون ترخيص.. وتابعنا "المارشات" العسكرية والاناشيد الحماسية وقلنا نجرب ولو لمرة واحدة.. قلنا مرة واحدة تكفي!! ولذلك قصة.

هناك شكوى قدمت لرئيس حي مدينة نصر ومضمون هذه الشكوى ينحصر في أن أحد الاشخاص قام ببناء غرفتين في مساحة غير مسموح أو مصرح بالبناء فيها بل ومحظور حظرا تاما. وذلك طبقا لما ينص عليه النظام المعمول به في مدينة نصر الذي يقضي "البناء على ثلثي المساحة. والثلث فراغ للتنفيس عن البني أدميين قاطني العقار"..!!

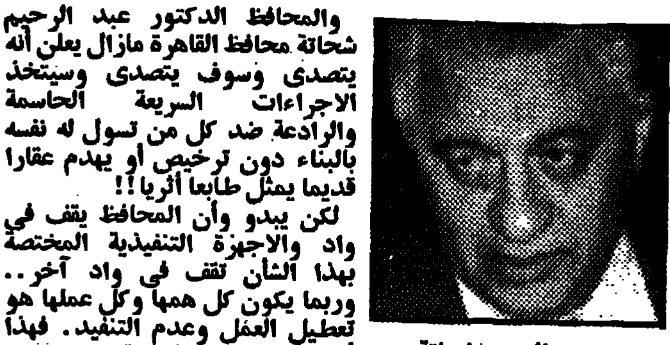
ولكن حرفة الالتفاف حول القوانين مهنة قديمة برع فيها البعض ونشطوا بطريقة عجيبة لدرجة تجعلنا نقول أن القانون فعلا في اجازة..

فقد قام بعض مالكي الوحدات بالاستيلاء على المساحة بالكامل وقام احداهما ببناء سلم خارجي لوحدته واستقطع لنفسه جزءا من المساحة المحظور البناء فيها.. بينما قام الاخر بالاستيلاء على بقية المساحة بهدف اقامة "جراج"... فيها والله أعلم هدف استغلاله..!! وتم لهما ما أرادا ونفذا ما انتويا بتجاسر غريب وفريد كأنه لا يوجد في البلد قانون ولا يحزنون أو ولا عزاء لحكم محكمة!!

ومنذ ١٩٩٨/٦/٢ أشر رئيس الحي على الشكوى باتخاذ اللازم.. وبعد شهر قدم له استعجال ثم استعجال آخر.. ثم عدة مكالمات هاتفية والرد وعود.. ووعود.. فربما هذه سلطته وقدراته..!!

المهم لم يهتم احد ولم يتدخل بل والاعجب سمعنا من يتذرع بأن الاجراءات تأخذ وقتا أطول على طريقة عمنا رأفت فهيم "فوت علينا بكرة يا سيد"!! ويبدو أن بكرة هذا يفوت وبعده يفوت وقوانين تقتل وتموت وتصير تصريحات المسئولين مجرد أشياء مجمدة في ثلاجة وتترك الامور على حالها الى أن تحل نفسها بنفسها.

وهذه الحالة التي معنا ونتحدث عنها تدل على أن احترام القوانين في بلدنا وتنفيذها أصبح شيئا غير موجود بل أصبح معنى مفقود والحديث فيه يكون من قبيل تحصيل الحاصل أو اعادة سرد مكرر لقصص متشابهة.



● د. عبد الرحيم شحاتة

والمحافظ الدكتور عبد الرحيم شحاتة محافظ القاهرة مازال يعلن أنه يتصدى وسوف يتصدى وسيتخذ الاجراءات السريعة الحاسمة والرادعة ضد كل من تسول له نفسه بالبناء دون ترخيص أو يهدم عقارا قديما يمثل طابعا أثريا !!

لكن يبدو وأن المحافظ يقف في واد والاجهزة التنفيذية المختصة بهذا الشأن تقف في واد آخر.. وربما يكون كل همها وكل عملها هو تعطيل العمل وعدم التنفيذ. فهذا أمر مضحك مبكي في وقت واحد.

فمن الذي يقف وراء هذا الطابور الطويل العريض الذي يخالف قواعد البناء ويتحدى الأوامر العسكرية التي تحذر من مخالفات المباني.. هل يوجد في داخل الاجهزة التنفيذية "طابور خامس" هدفه أن يقف بالامور "محلك سر" أو "للخلف دور" ما هذا الذي يحدث أيها السادة..؟!!.. الذين تعطلون تنفيذ القرارات بحجة طول الاجراءات والتبرير بضعف الامكانات؟ أي منطق يبيح لكم هذا وأي قانون يسمح لكم بذلك؟.. وأي اخلاقيات تدعوكم لسلوك هذه الطرق الوعرة الصعبة؟

فلا منطق ولا قانون ولا عرف ولا أخلاقيات تجعلكم تقفون في هذا الركن المظلم وفي الجانب القصي المشبوه..

فالاسلام دين يدعو الى الاحترام واصلاح المعوج وتصحيح الفاسد حيث يقول الله تعالي في احترام القوانين والقرارات: "واطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم"..

ويبدو أن هناك في بعض الاحياء من يقف ضد احترام القوانين ولا يعمل علي تنفيذها حتي ولو كانت صادرة من أعلي جهاز في السلطة التنفيذية وهو الأمر العسكري الصادر عن رئيس مجلس الوزراء!!

هذه الحالة نهديها الي الدكتور عبد الرحيم شحاتة محافظ القاهرة ونطلب منه التدخل شخصيا والتحقيق في هذا الأمر وفي هذه الحالة والتي ربما تكون هناك حالات أخر مثلها تقف عاجزة عن الحركة وعاجزة عن النطق والكلام بفضل جهود العاملين في الاجهزة التنفيذية في بعض الاحياء الذين يعملون علي اعاقة أي شكوى هادفة وفيها مصلحة للجميع وليست مصلحة شخصية..

ولاشك أن الامر العسكري الصادر بمنع البناء دون الحصول علي ترخيص وكذا هدم العقارات القديمة. فيه مصلحة للجميع والا ما كان تفتق ذهن مشرع لذلك الامر العسكري ولما دعاه ذلك الى اصدار مثل هذا الامر.

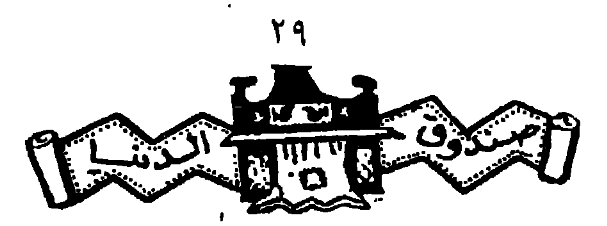
فنحن نرى أن في الأمر العسكري فوائد كثيرة ومنافع كبيرة ومصالح عظيمة ذلك لأنه يحول دون وجود العشوائيات التي تفسد ذوق المكان وتؤدى الي تعطيل خط سير الناس وتعمل على اقلاق راحتهم وتعكير صفوهم هذا بالاضافة الي ايجاد مشاكل بين الجيران والذى من المقرر أن يوجد بينهم التعاون والتكافل والحب والالفة والانسجام

(البقية ص٢)

وفيما يلى نموذج للمقال العمودى "حصاد القلم" الذى يكتبه الاستاذ محمد الشهاوى رئيس تحرير جريدة الرأى العام، ورئيس مجلس إدارتها أسبوعيا فى الصفحة الأخيرة.

ومن النماذج السابقة يتضح لنا لماذا يشعر قارئ العمود الصحفى، نحو المقالة وكاتبها أنه تجاه حديث ممتع لمحدث لبق يستهويه بحسن عرضه، فكتابته للمقالة من نوع التعبير الوجدانى عما يعرض له من مشاهد الحياة ومواقف الأحياء. ويذهب د. كفافى إلى أن التعبير الوجدانى فى المقالة الأدبية ليس معناه حصر موضوع المقالة فى الكاتب نفسه، ولكن المراد أن ما يعرضه الكاتب فى المقالة إنما يعرضه من خلال رؤيته الخاصة وطابعه المميز عمن سواه من الكتاب. ومن التجارب الفنية فى المقالة الأدبية ما هو ذاتى محض، ومنها ما يتجاوز حدود الذاتية الخاصة بالكاتب إلى آفاق عامة: إنسانية أو إجتماعية أو دينية أو وطنية ينفعل بها الكاتب انفعالا صادقا لا تزييف فيه ولا تقليد كما ينفعل بها الشاعر فى شعره والقاصّ فى قصصه، وفيما يلى نموذج لعمود "صندوق الدنيا" الذى يكتبه الأستاذ أحمد بهجت فى جريدة (الأهرام) :

٢٩



مفهوم البطولة[٥]

رغم اختلاف المجتمعات والقيم والثقافات، فإن البطولة لها مفهوم واحد، رغم تعدد صورها وكثرتها.

مفهوم البطولة فى جوهره هو إنقاذ إنسان فى مأساة، أو إنقاذ حيوان فى مأزق، أو الدفاع عن أرض وطن مهدد، أو الاستشهاد من أجل فكرة نبيلة، أو الموت فى حرب ضد الفساد أو الطغيان.

باختصار يمكن القول إن مفهوم البطولة هو الوقوف مع الخير فى صراعه الأبدى ضد الشرور.. هذه القاعدة العامة تحطمت فى إسرائيل.

---

[٥] الأهرام فى ٩٧/١/٤.

منذ ثلاث سنوات دخل مستوطن إسرائيلى إلى صحن الحرم الإبراهيمى وقت صلاة الفجر فى رمضان، وانتهز فرصة سجود المصلين وراح يطلق النار عشوائيا من مدفعه الرشاش على المصلين.. وفى لحظات.. سقط ٤٢ من الساجدين للصلاة قتلى ومن حولهم سبعون آخرون من الجرحى..

كان المستوطن الذى قام بهذه الجريمة البشعة هو "باروخ جولد شتين" وهو ضابط احتياط فى الجيش الإسرائيلى.. وقد قتل بعد فعلته ودفن فى مكان صار الآن مزارا للمتطرفين الذين يعتبرونه بطلا، ومنذ أيام فتح "ناحوم فريدمان" المستوطن الإسرائيلى والمجند فى الجيش نيران بندقيته على العرب فى السوق.. وكان سببا فى إصابة سبعة من العرب حالتهم حرجة.. وحين سئل لماذا يطلق النار على الفلسطينيين غير المسلحين فى السوق، قال بصراحة: لعرقلة مسيرة السلام.

وحين قيل له من بعض المراسلين: ولكنهم كانوا غير مسلحين.. قال إنهم يكرهون إسرائيل وكان هذا السبب عنده هو المبرر لفعلته، وحين قال له المراسل إنهم يعيشون على أرضهم قال المستوطن الإسرائيلى ليست هذه أرضهم، هذه أرضنا التى اشتراها أجدادنا بـ ٤٠٠ شيكل من الفضة.. كما أضاف المستوطن أنه غير نادم على فعلته.. وفى إسرائيل يوجد من يعتبر هذا القاتل بطلا مثلما اعتبر سفاح المذبحة الإبراهيمية بطلا.. ويبدو أن البطولة عند المتطرفين الإسرائيليين تقتصر على قتل العرب وإبادتهم، ومن المؤكد أن الثقافة العنصرية المريضة فى إسرائيل هى المسئول الأول عن مفهوم البطولة التعيس المعكوس عندهم.

أحمد بهجت

فيما يلى نموذج لعمود "صباح الخير" الذى يكتبه الأستاذ سعيد سنبل فى جريدة "الأخبار".

صباح الخير [٦]

تقع وزارة الداخلية فى قلب مدينة القاهرة.. وتحتل الوزارة والإدارات التابعة لها مساحة هائلة فى حى لاظوغلى.. الذى يعتبر من أكثر أحياء القاهرة، ازدحاما بالسكان.. واكتظاظا بالموظفين.. وتعرضا لاختناقات المرور.

---

[٦] الأخبار فى ٢/١/٩٧.

ومن المقرر أن تخلى وزارة الداخلية، والإدارات التابعة لها المبانى التى تحتلها فى حى لاظوغلى، وإن تنتقل إلى مقرها الجديد فى أرض كلية الشرطة بحى العباسية.. قبل نهاية العام الحالى.

والسؤال: ما مصير الأرض والمبانى المقامة عليها.. والمقرر اخلاؤها؟

قال اللواء حسن الألفى وزير الداخلية ـ وفقا لما نشر مؤخرا فى الصحف ـ أن الأرض ومبانيها ملك للحكومة.. وهى صاحبة الرأى الأول والأخير فى مصيرها.

ويتردد أن هناك نية لهدم المبانى القديمة، وتقسيم الأرض، و طرحها للبيع خاصة أنها تقع فى حى من أغلى أحياء القاهرة.

وأقول: إن الأمر الطبيعى هو أن تحول هذه الأرض إلى حديقة خضراء.. ونجعل منها رئة تتنفس فيها الناس هواء نقيا نظيفا.. فى زمن اندثرت فيه الحدائق! إن عدد سكان القاهرة يتزايدون ويتكاثرون بشكل غير طبيعى.. بينما المساحات الخضراء، تتراجع وتتقلص بفضل التتار الجدد، الذين اقتلعوا الشجر، وقتلوا الأزهار، وداسوا الورود بالأقدام.. وزرعوا الأرض بغابات قبيحة من الأسمنت.. لوثت الجو.. وأساءت إلى البيئة!

لقد حان وقت إنقاذ ما يمكن إنقاذه.. وتحويل أرض الداخلية إلى حديقة خضراء.. وكفانا تفكيراً، بأسلوب التجار والمقاولين!

ومن حسن الحظ. أن رئيس الوزراء الدكتور كمال الجنزورى، هو واحد من المؤمنين بضرورة حماية الأرض الخضراء.. من هجمات التتار الجدد! تدل على ذلك قراراته وتوجهاته.. وكلنا يذكر قراره الذى يقضى بعدم إقامة أية مبان على الأراضى الحكومية الفضاء، والأراضى الخضراء، التابعة للحكومة والوزارات.

وكلنا يذكر قراره الأخير الذى يقضى بإزالة مبنى المقاولين العرب من أرض الجزيرة.. والذى أقيم بغير ترخيص.. وهو القرار الذى احترمه الجميع، وصفقوا له.

ومن هذا المنطلق الحريص على الأرض الخضراء.. أرجو أن يكون القرار القادم لرئيس الحكومة.. هو تحويل أرض وزارة الداخلية إلى حديقة عامة.. توفر رئة لسكان المنطقة يتنفسون فيها.. وتخفف عنهم ضغوط الاختناق.

ويوم يصدر مثل هذا القرار.. لن أكون وحدى المصفق له.. بل سوف يشاركنى التصفيق.. ملايين المواطنين."

سعيد سنبل

فيما يلى نموذج لعمود "طواحين الكلام" الذى يكتبه الشاعر الأديب د. محيى الدين اللاذقانى فى جريدة (الشرق الأوسط):

طواحين الكلام

محايد فى زمن الانحياز

يقدم الكاتب السويسرى بوجن اولسومر مجموعة فرضيات تاريخية جديرة بالاعتبار فى كتابه المعروف باسم "أسلافنا العرب" الذى صدر بالفرنسية قبل ربع قرن تقريبا لكن ترجمتة العربية لم تر النور إلا العام الماضى عن طريق وزارة الثقافة السورية التى أصدرته بترجمة جيدة أنجزها محمد محفل.

ومع أن صورة الغلاف مأخوذة من لقطة لقصر الحمراء فى غرناطة، فإن الكتاب فى حقيقة الأمر لا يحكى عن الوجود العربى فى إسبانيا بل عن ذلك الوجود الطويل والمستمر تاريخيا فى فرنسا وسويسرا وجنوب إيطاليا.

وأجمل ما فى ذلك الكتاب هو جرأة مؤلفه على هدم المسلمات التاريخية، ونقضها بوثائق جديدة لم يشر إليها المؤرخون القدامى، فهو يفترض مثلا أن دخول العرب إلى فرنسا وسويسرا لا علاقة له بالوجود فى الأندلس انما جاء عن طريق ميناء سان تروبيه حيث كان ذلك الشاطئ الجميل هو المدخل لوجود عربى استقر فى فرنسا وسويسرا أكثر من ثلاثة قرون، وترك اثاره فى الأسماء البشرية والعادات والحصون الحجرية وأسماء الأسلحة والأطعمة بل وأسماء الجبال حيث ما يزال اسم جبل "موروس" او الموريين مستعملا حتى الآن، وهو اسم كان يطلق على عرب وبربر المغرب الأقصى القادمين من موريتانيا.

ويشكك المؤلف السويسرى بوجن اولسومر بالموقعة الشهيرة فى بواتيه، ويرفض قبول الزعم القائل بأن شارل مارتل هزم العرب فى المعركة التى يطلق عليها المؤرخون اسم معركة بلاط الشهداء، فالمؤرخون الأوروبيون، معظمهم من رهبان الكنيسة يزعمون أن القائد الفرنسى قضى على أربعمائة ألف عربى بجيش جرار جمعه من المقاطعات المجاورة، وهذه كذبة كبيرة كما يقول المؤلف، فشارل الذى يطلق عليه لقب الأصلع ما كان يستطيع جمع أكثر من ألف فارس فى ظل غياب المواصلات وطرق الإمداد والتموين.

ولا يكتفى المؤلف بهذا التبرير المنقطى لدحض الأساطير القومية التى روجها كتاب العصر الوسيط إنما ينتقل بالمسألة عدة قرون ليسأل إذا كان الوجود العربى قد انتهى فعلا فى معركة بلاط الشهداء على أبواب بواتيه عام ٧٣٢م، فلماذا نراهم يوجدون بكثافة، ويجتاحون نيس وجنوى عام ٨١٢م، ولماذا يسلمهم الماركيز برانجه بعد أكثر من قرن أى فى عام ٩٤٥م حراسة ممرات الألب حيث ما تزال آثارهم باقية فى ممر مون جو ذلك الشعب المفصلى الذى يربط فرنسا بلوزان ونيوشاتل السويسريتين.

ومثلما اعتمد اولسومر على المؤرخين المسيحيين اعتمد على المرؤخين والجغرافيين العرب والمسلمين وقدم لأول مرة مقارنة بين أسماء القادة التاريخيين عند الجانبين فالسمح بن مالك الخولانى يعرف من تواريخ الفرنجة باسم زاما، وكذلك الهيثم بن عبيد الكلابى الذى أطلق عليه الرهبان اسم آثيم لغرابة اسم الهيثم عندهم.

ويعترف مؤلف كتاب أسلافنا العرب بأن إقدام اليونسكو على طباعة كتاب صورة الارض لابن حوقل حل لغزا كبيرا فى الجغرافية الغربية لأن ذلك الكتاب حدد بدقة موقع جبل الغلال الذى يقبع فى مدخل خليج غريمو، وقد كان ذلك الجبل الذى تعرفه المصادر الغربية باسم كلال تحت السيطرة العربية الدائمة حتى القرن الثانى عشر للميلاد.

ومع اعجاب الكاتب بالزهراء وقرطبة وتاريخهما المزدهر يرفض إقامة أية علاقة إدارية، أو سياسية بين الأندلس والمقاطعات التى كان يحكمها العرب فى فرنسا وسويسرا دون أن ينكر طبعا علاقات التعاون التى ظلت قائمة بين الطرفين إلى أن تم القضاء على الوجود العربى فى سويسرا، وفرنسا، وتمت محاصرته خلف الجبال الأندلسية، وعزله بإمارات ليون ونافار، واراغون.

ومن حسنات كتاب أسلافنا العرب أنه يقدم تفسيرا جديدا لبدايات الحروب الصليبية ويربطها بقيام العرب بأسر القديس مايول رئيس دير كلونى الذى دفع ديره لاسترداده ألف ليبرة فضية وهو مبلغ أكبر من المبلغ الذى دفعه شارل الثالث لاسترداد باريس.

وقد كان أسر ذلك القديس الذى يقع بحدود ٩٧٣ ميلادية هو الذى اغضب باب الفاتيكان ودفعه إلى إطلاق صرخة الغزو الشهيرة "إنها إرادة الله" وهى الصرخة التى بدأت منها الحروب الصليبية التى شغلت العالم لمدة تزيد عن القرنين.

ويتوجه هذا المؤلف المحايد بكتابه إلى الذين يستحقون الاطلاع على الحقيقة أما الذين يتعاركون تحت هذا العلم، أو تلك الراية فهم كما يقول لا يعرفون من الحقيقة إلا ظلها، ونتيجة لمعرفته بهؤلاء وكثرتهم يؤكد أن أوروبا تحتاج إلى ألف عام أخرى لتنظر بحياد وموضوعية إلى قضية الوجود العربى فى فرنسا، وسويسرا، وايطاليا، وربما كان هذا الرقم من الأرقام المتفائلة فالعنصرية الواقعة على احفاد العرب حاليا فى بعض تلك البلدان تشجع على الاعتقاد بحاجة أوروبا إلى اكثر من ألف عام قبل أن تقدم على قبول الروايات المحايدة التى تصحح الفصول المزورة ـ وما أكثرها ـ من ذلك التاريخ المرير.

عيـــون وآذان

٦ وفى جريدة الحياة؛ يكتب الاستاذ جهاد الخازن عموده اليومى بعنوان: عيون وآذان" ومنه هذا النموذج :

"جمدت انتخابات الرئاسة الأميركية قضايا كثيرة فى الولايات المتحدة نفسها، وفى بقية العالم، منها "قضية بنيامين نتانياهو، ومدى صلاحيته للحكم.

رئيس وزراء إسرائيل يتقن شيئاً واحداً هو الكلام، ومنذ تسلمه رئاسة الوزارة قبل أربعة أشهر وهو يتكلم، ولا يفعل شيئاً غير الكلام، إذ يبدو مقتنعاً بأنه يستطيع أن يكذب على كل الناس كل الوقت. رئيس وزراء إسرائيل السابق شمعون بيريز قال عنه إنه "قضى ١١١ يوماً فى الكلام". وأضاف أن نتانياهو يعتقد أنه أذكى من غيره، وأنه بمجرد أن يشرح موقفه سيجد قبولاً فورياً من العالم العربى. ولكن بيريز أكمل محذراً نتانياهو "لا تستطيع أن تحصل على السلام مقابل لا شئ. بل تحصل على لا شئ مقابل لا شئ".

ومع تركيز الأنظار كلها على المفاوضات المستمرة على الانسحاب من الخليل، وتأكيد نتانياهو كل يوم تقريباً إحراز تقدم، ونفى المفاوضين الفلسطينيين ذلك، فإن قضايا أخرى تعكس سوء أداء نتانياهو وكذبه المستمر، تكاد تمر من دون تعليق.

عندما زار نتانياهو واشنطن الشهر الماضى فاجأ المستمعين فى اجتماع محدود بالقول إن العراق يملك مادة انشطارية كافية لصنع قنبلة نووية. ولكن

مصادر دفاعية أميركية قالت فوراً إن تقارير الاستخبارات الأميركية والإسرائيلية لا تملك أى دليل على هذه القدرة المزعومة للعراق. بل إن مصادر الموساد اعترفت بأن نتانياهو أدلى بتصريحه الغريب من دون استشارتها.

وأبدى الأميركيون "ذهولهم" من كلام نتانياهو، وأعربوا عن "الأسى" و"الغضب".

وإذا تركنا الذهول والأسى والغضب جانباً، فرئيس وزراء إسرائيل كان مرة أخرى يتذاكى على الناس، لأن سياسته الخرقاء أدت إلى انفجار الأوضاع فى الأراضى الفلسطينية فى وجهه، فلم يجد ما يرد به سوى أن يثير قضية غير موجودة، وهو يعتقد أن مستمعيه من السذاجة، أو البلاهة أن يقبلوا كلامه عن العراق، وينسوا الهيجان فى الأراضى الفلسطينية.

وعلى الأقل، ففى هذا الوضع يعامل نتانياهو الأميركيين، كما يعامل الفلسطينيين، باحتقار وعنصرية، ويعتقد أنه أذكى منهم ويستطيع بالتالى أن يحصل منهم على ما يريد من دون أن يقدم شيئاً.

(فى هذا الوضع لا أستبعد البتة أن يعلن نتانياهو فى يوم قريب أن إيران تملك أسلحة نووية، أو هى على وشك امتلاكها، مع وجود وسائل فى حوزتها لإيصالها إلى أهدافها، فقد ثبت الآن أن سقوط طائرة تى. دبليو. أى فى البحر قبالة نيويورك فى تموز (يوليو) الماضى كان سببه انفجار غاز أو ما شابه، داخل خزان الوقود الأوسط، بين جناحى الطائرة وهيكلها، أى أنه لم يكن انفجاراً ارهابياً تقف وراءه إيران عن طريق حزب الله أو غيره. وهكذا ستكون أسهل طريقة لتحويل الأنظار عن التهمة الساقطة اختراع قضية جديدة ضد إيران، كما اخترعت قضية ضد العراق).

هل يخترع نتانياهو قضية غير العراق، أو إيران، محاولاً شق طريقه بالكذب من مفاوضات الخليل.

لعل أوقح ما قرأت فى هذا المجال كان تعليقاً فى صحيفة إسرائيلية ليكودية الميول الأسبوع الماضى ذكّرنا بانقضاء مهلة الأشهر الستة لإلغاء الدعوة فى الميثاق الوطنى الفلسطينى لتدمير إسرائيل. وكان المجلس الوطنى قرر فى ٢٤ نيسان (ابريل) الماضى تحويل الموضوع إلى لجنة فرعية قانونية تدرس كيفية تعديل الميثاق وتقديم تقريراً عنه خلال ستة أشهر، أى فى فترة انتهت يوم الخميس الماضى.

هل هناك أوقح من مطالبة الفلسطينيين بإلغاء مادة أساسية فى الميثاق، اتفق عليها كجزء من عملية السلام، وإسرائيل ترفض المضىّ فى هذه العملية، بل ترفض تنفيذ المتفق عليه، ناهيك أن تدخل المرحلة الأخيرة؟

لو كانت إسرائيل نفذت أى جزء من تعهداتها فى موعدها، لكان يحق لها أن تطالب الجانب الفلسطينى بتنفيذ تعهداته كلها. ولكن ليكود يعطل عملية سلام تؤثر فى مستقبل ملايين الناس فى الشرق الأوسط كله، من أجل ٤٠٠ مستوطن من بروكلن، ثم يتوقع من الفلسطينيين أن ينفذوا أهم تعهداتهم مقابل لا شئ.

غير أن بيريز قال عن جميع المفاوضين إن نتانياهو سيحصل على لا شئ مقابل لا شئ.

جهاد الخازن [1]

ونخلص من دراسة هذه النماذج لفن العمود العمود الصحفى إلى أن الكاتب كلما كان أدنى إلى أن يحدثك عن تاريخ نفسه فيما يكتب؛ وإلى أن يرسل الخواطر إرسالا هينا فيستشف منها ماوراءها من حالته النفسية، فاعلم أنه قد أجاد، على حد قول أستاذنا د. زكى نجيب محمود رحمه الله. وأما إن وجدته يعالج موضوعا لا يتصل بمكنون نفسه، ويعنى بتنظيمه وثبوته كما ينظم البحث العلمى فاعلم أنه عن الجودة بعيد.

ونخلص مما تقدم إلى أن المقالة فى العمود الصحفى إنما تقوم على صدق إحساس الكاتب، والأصالة، بمعنى التعبير عن الذات، ووجهة نظر خليقة بالتأكيد وجمال التعبير، ثم قوة الإثارة أو الإمتاع، وهى العناصر التى تكسب المقال "العمودى" أدبية، بين فنون المقال الصحفى.

ومن أجل ذلك نذهب مع العلماء إلى أن خصائص العمود من حيث التعبير؛ إنما تشمل: جمال الأسلوب، وروح الفكاهة، والذاتية التى تميزه عن المقال الافتتاحى، واتخاذه شكل الهرم المعتدل فى الصياغة والإيجاز فى العبارة.، وربما كان أهم من ذلك كله، أن كتاب العمود الصحفى يحرصون الحرص كلّه على ألا يضيعوا من وقتهم ومن وقت القراء فى تقديم قضية من القضايا بطريقة القصة الخبرية، ثم يلصقون فى نهايتها فقرة قصيرة من المدح، أو القدح..

---

(١) جريدة الحياة ١٩٩٦/١٠/٢٩.

الفصل الخامس

فن اليوميات الصحفية

يقترب فن اليوميات الصحفية من روح العمود الصحفي، سواء في التعبير عن خوالج النفس وروح المذهب الذى يعتنقه الكاتب، أو في نظرته الى الحياة، حيث يسجل هذا الفن المقاليّ خواطره المتناثرة التي تؤثر في القارئ، وهي خواطر تتصل بصلات من العاطفة أو الخيال .. ذلك أن فن اليوميات يتضمن خاطرا يلحق خاطرا ويتبعه - لا لأن بينهما علاقة منطقية كالتي تأتي بالنتيجة وراء سببها، بل لأن هذين الخاطرين مرتبطان في خيال الكاتب أو يتصلان بعاطفته.

فكاتب اليوميات الصحفية يكتب وكأنه يتحدث في سمر، حديثا مطلقا من كل قيد، ويدع الخواطر يسوق بعضها بعضا بما بينها من روابط تستدعي تتابعها وتداعيها دون أن يُعمل في ذلك عقله ومنطقه لينظم الترتيب والسياق.. هكذا بدأ "مونتاني أدب المقالة على وجهه الصحيح". فيما يرى "تشارلتن".

ويذهب بعض علماء الصحافة الى أن المحرر الصحفي ينبغي أن يترك آراءه الخاصة عند باب غرفة التحرير، ويخلعها دائما كما يخلع معطفه عند هذا الباب حتى إذا ماانتهى عمله، وعاد إلى معطفه عادت إليه آراؤه الخاصة التي يمكنه أن يحتفظ بها لنفسه.. غير أن هذا الرأى لا يمكن أن ينطبق على كاتب اليوميات بصفة مطلقة، وذلك ـــ كما يقول الدكتور إمام ـ لأن "اليوميات" أشبه بالمقال الأدبى من بحث العناية باختيار الألفاظ والاحتفاظ بطلاوة الأسلوب.. بل لعلها أقرب إلى مقالات الإعترافات بصفة خاصة. فهى تقدم صورا نابضة بالحياة، زاخرة بالمعاني. وهى تتطلب سيطرة تامة على اللغة والتعبير بالأسلوب السهل الممتع. ولاشك أن طواعية اللغة لا تتيسر إلا للعارفين بها، والقادرين عليها. على نحو ما نجد في "يوميات الأخبار" التي كان يكتبها العقاد رحمه الله، والتي لا يزال يكتبها نخبة من الكتاب من أمثال: **الإمام محمد متولى الشعراوى، محمد مصطفى غنيم، وحسن شاه وسناء فتح الله، وإسماعيل النقيب، ود. حسن رجب. وعبد الرحمن الأبنودى**، وكما نجد في "مفكرة الأهرام" التي كان يكتبها حشد من الأدباء والمفكرين من أمثال: **عبدالرحمن الشرقاوى - ثروت أباظة - زكى نجيب محمود، و د. يوسف عز الدين عيسى ود. يوسف إدريس، وسعد الدين وهبه.**

وفـى مقـالات "اليوميات" بالأخبـار، و"المفكرة" بـالأهرام يتضـح لنــا أن فــن اليوميات الصحفية يتلخص فى أنه فن مقالىّ يتناول الفكرة والأداء سعياً إلى وصــل جماهير الناس بالحضارة ومعطيات العصر: آرائه وأفكاره وأدواته وآلاته وتشوقه وتطلعاته، من طريق تطويع اللغة لمعطيات الحضارة.

على أنه يمكن القول إن التصنيف العام، الذى يقسم أدب المقالة، إلـى: مقالـة ذاتية. ومقالة موضوعية، أو مقالة حرة Informal ومقالة رسمية أو تقليدية formal كما تقدم، يعد دليلا مرشدا لـ "اليوميـات" الصحفيـة"، ذلـك أن النـوع الأول يحدّد المقالة تحديدا يجعل من "الإيجاز" و"الوضوح" و"الذاتية" عناصر رئيسية فيها، حيث تعبر عن آراء الكاتب الذاتية، فى أسلوب يعيدها إلى خصـائص " القـول"، ومايتسم بـه من تنويع بين الجد والهزل، والامتاع والمؤانسة، فى بنْية استطرادية غير مترابطة.

ويختلف النوع المقالى الثانى عن مُقابله، من حيث الطول. فهو أكثر طـولا، وأشد إحكاما من حيث التنظيم فـى بنْيـة المقـال، وفـى عرضـه لـلآراء والمواقـف، وهو يتجه نحو الموضوعية، ويتسم بالطابع غير الشخصى.

وعلى الرغم من أن البناء "غير الرسمى" Informal Essay للمقالة يعتبر غير مقنن أو غير محدد تحديدا واضحا، فإنـه يكتسـب أهميـة خاصــة فـى تنميط الشكل المقالى الذاتى؛ حيث تصبح الذاتية Subiectivity فى المقالة، خاصية تعكس تجربـة أو خبرة خاصة وفريدة لكاتب معين. ويستخدم المصطلح أحيانا ليشير الى أن خبرة الكاتب الخاصة لا تسمح بتحقق الآخرين منها، ولهذا يترك انطباعا بأنــه يعنـى كـل ما هو متميز وغير علمـى. ومـع ذلـك، يمكـن أن تكـون المقالـة الذاتيـة أعمـق مـن المقال الموضوعى وأكثر منه تعقيدا، حين تغدو مصدرا هاما مـن مصـادر التعبير والتأمل، على نحو ما نجد فى مقالات "اليومات" الصحفية. وربما من أجل ذلك كان من مسـميات المقالـة الموضوعيـة مسـمى: المقالـة الرسـمية أو الشـكلية Formal إذ يتحدد بناؤها عن طريق القواعد والتوقعات المقررة بوضوح. وتصبح"الموضوعيـة" فى المقال خاصية تظهر فى محاولة التقليل من الأخطاء التـى تـترتب علـى التحيز الاجتماعى أوالسيكولوجى لفرد أو جماعة عند تفسير أو فهم ظاهرة معينة.

أمـا المقالـة الذاتيـة، حين تصبح "غير رسمية Informal أو حرة، فهـى لا تتحدد فى ضوء قواعد أو توقعات رسمية، بل تنجم عن توقعات كامنـة فـى طرق التفكير أو العقل تعتبر بدورها موضع اتفاق عام.

والأسلوب الذى نعرفه باسم "السهل الممتنع" أى الذى يبدو كما لو كان قد تـم دون أن يبذل فيه أى مجهود أو محاولـة؛ بهـدف التـأثير الأدبـى المباشـر؛ هـو الأسلوب الأمثل فى هذا الفن المقالى. ولذلك فإن المقالة الحرة أو الذاتية هى الشكل الأدبى الذى يؤثره أنصار "المقالة الأدبية" فى صورتها الأدبية، وأنصار "اليوميـات" فى شكلها الصحفى، ذلك أنــه يتسم بالرشـاقة التعبيريـة، والشـفافية، وروح الفكاهـة والسخرية، كما لو كان يعرض مسرحية محكمة التدريب أمـام عقول مدربـة جيدا على التأمل، فى معالجة الأحداث وتنـاول الشـخصيات، ومحاولـة نقل حالـة عقليـة ونفسية وموقف إقناعى بدون جدل، وتقديم للامتاع بدون إجهاد.

ويمكننا أن نصنف بعض الأنماط المتفرعة عن المقالة الذاتية أو الحرة علـى الرغم من أنها ليست قاصرة على فئة خاصة. والمقالة الحرة أو الذاتيـة تقدّم جانبـا من جوانب شـخصية الكـاتب، مـن خـلال ردود أفعالـه تجـاه خبرة أوموضـوع، أو حـدث، وهـو يكتبهـا بأسـلوب يتسم بـالصدق فـى الحديث. ذلـك أن أسلوب مقالـــة "اليوميـات" أقـرب إلـى أسـلوب الحديث Conversational tone بمايشـير إليـــه مـن "إمتاع" و"مؤانسة" بطبيعة الحال.

وربما من أجل ذلك قال "مونتانى" فـى أحد مقالاتـه: "أنـا لا أقوم بـالتدريس ولكنى أتحدث": إذ الحركة والتغيير هما قوام كياننا "فلنقل كل مايرد على رءوسـنا، نكرر أنفسنا، ننـاقض أنفسنا، نتخلـى عن النزعـات غير المنمقـة ونتبـع الخيـالات الزائفة دون أن نلقى بالا لما يفعله العالم أو يظنه أو يقوله. وذلك لأنه لاشئ يهم إلا الحياة وبالطبع النظام. "إن مهمتنا الرئيسية هى الاتصال بالناس.. مسراتنا الأساسية هى المجتمع والصداقة والقراءة، لا لنحصل على المعرفـة أو لنكسـب لقمـة العيش وإنما لنوسع حلقة الاتصال بالناس متجاوزين زماننـا ومشكلاتنا. سـنرى مثـل هـذه العجائب فى الدنيا، كالطيور الغريبة والأراضى التى لم تكتشف بعد".

وعلى الرغم من كل هذه المتناقضــات فهنـا إذن أشـياء بـالذات تمثـل جوهـر المقالات الذاتية، نراها عند"مونتانى" كمحاولات للاتصال بالروح. ففى هـذه النقطـة

على الأقل نراه واضحا. "إنها ليست الشهرة التى يسعى إليها، ولم يكن همه أن ينقل الناس عنه فى السنين التالية، إنه لايقيم لنفسه تمثالا فى السوق، وإنما هو يبغى أن يطلعنا على أسرار نفسه. صلاتنا هى الصحة، هى الحقيقة، هى السعادة. ومشاركته واجب علينا، لكى نغوص فى أعماق النفس بشجاعة ونخرج الى النور.. هذه الأفكار الخفية التى هى أشد البلاء، ولانخفى منها شيئا، ولا نتظاهر بشىء، فإذا كنا جهلاء فلنقل ذلك، وإذا كنا نحب أصدقاءنا فلنخبرهم بذلك. لأنى أعلم بتجربة أكيدة أنه ليس هناك عزاء ألطف ـ عندما يرحل عنا الأصدقاء ـ من العزاء الذى يجلبه لنا يقيننا بأننا لم ننس شيئا نقوله لهم من شأنه أن يدخل عليهم السرور وأن صلتنا بهم كانت على أحسن وجه[١]."

واليوميات الصحفية تأسيسا على هذا المهم أقرب ـ إلى المحادثة المرسلة الحرة، إذ الكاتب يحدث صديقه القارئ على قدم المساواة دون إملاء أو استعلاء، حتى لتصبح شخصية كاتب المقالة موضوعا طريفا محبوبا جذابا. وقد كان اتجاه "مونتانى" المشرب بالدعابة وروح الألفة وعدم التخلف، والمصادقة. هو الذى أعطى لأدب المقالة طابعه المميز له. وربما من أجل ذلك يسعى المقال الذاتى إلى التعبير فى صورة موحية عن تجربة شعورية، عاشها الكاتب بوجدانه، واستغرقها تأمله حتى بلغت درجة من النضج فأبرزها فى صورة لفظية تتفق بإيقاعها وظلالها مع الجو الشعورى الذى يخالجه. فهذا النوع من المقال لايبدأ فكرة محددة المعالم، واضحة القسمات فى ذهن الكاتب، وإنما يبدأ خواطر مبهجة ممتزجة بانفعاله ومشاعره فهو يصور الإحساس ولا يقرره، وينقل الانفعال ولا يجمده، وبذلك يقترب من القصيدة الشعرية، لأنه يؤدى وظيفتها فى عرض التجارب الشعورية الملائمة، ويهدف إلى التأثير فى القارئ وإشراكه فى التجربة.. والفرق بينه وبين القصيدة هو فرق فى درجة حرارة العاطفة: تعلو وتتناغم فتكون قصيدة لها وزنها وقافيتها، وتهبط وتتناثر فتكون مقالة كثيرا ما يوجد فيها لون من الإيقاع يقابل الوزن، ونوع من التوافق فى المقاطع يقابل القافية، لأن طبيعة التجارب التى تعالجها لا تستغنى عن قسط قوى من الإيقاع والتنغيم".[٢]

---

(١) فرجينيا وولف / السابق، ص ٧٨

(٢) د. على عبد المنعم عبد الحميد وآخرون: السابق، ص١١١

أما بناء **المقالة الذاتية**، فمن الواضح أنه يتحدد بنماذج "تداعى المعانى، أو الأفكار، وهى لذلك مقالة "حرة" Informal، و"**غير شكلية**"، وتحاول جاهدة تحقيق ما كانت " فرجينيا وولف virginia woalf تسعى إليه بأسلوبها المعروف فى الكتابة، أسلوب "تسلسل الأفكار العفوى" Stream of Consiousness [(1)] أو "الشوارد"، فعندما يرد ذكر "سقراط" مثلا، فإن العقل يفكر فى هذا الفيلسوف وفى بحثه عن الحقيقة وفى ماهية الحقيقة كما يراها، وعلى ذلك تسجل فرجينيا وولف تلك الخواطر وتلك الرحلات الفكرية التى يشطح فيها الفكر ثم يئوب.

ويظهرنا هذا الأسلوب فى تداعى المعانى، أو تسلسل الأفكار، والشوارد، على ما ذهبنا اليه من اختلاط جنس أدبى بجنس أدبى آخر ليؤلف جنسا جديدا. ذلك أن هذا الإسلوب فى المقالة الذاتية؛ أصبح يطلق على صورة من صور الفن القصصى، على نحو ما صنع بعض كتاب القصة النفسية. وهو ما يعرف باسم "تيارالوعى"، إذ يؤدى المزج بين جنسي: المقالة الذاتية، والقصة، إلى لون من القصص فيه "خلود إلى الذات وتجاوب مع الأفكار والخلجات المتتابعة الداخلية التى تسترسل.. وليس للأحداث أو المحفزات الخارجية أهمية ذات شأن كأهمية هذا التيار المنساب الذى يبنى على الخواطر وتداعيها وتعلقها ببعضها البعض تعلقا قد لا يكون للمنطق فيه نصيب أو للتسلسل المألوف فى الحياة اليومية أثر كبير"[(2)].

هذا الأسلوب ــ الذى يتسم بتداعى المعانى أو تسلسل الأفكار، والشوارد، هو ما يظهر لنا اختلاط جنسيْن أدبيين، ونعنى: **المقالة الذاتية، والقصة النفسية خاصة**، حيث أصبح **تيار الشعور** أو الوعى عند كتابها، فرارا من العالم الخارجى، وانسيابا فى العالم الداخلى، والأديب الصادق هو الذى يفيد من هذا التيار الفياض فيسجله كله أو بعضه. ويعتبر "جيمس. Jomes Joyce (١٨٨٢-١٩٤١) من أشهرالكتاب الذين أسهموا فى هذا الفن، ووصل الذروة بقصته الشهيرة "يوليسيس" Ulysses . وتعتبر القصصية الانجليزية " فرجينيا وولف" (١٨٨٢- ١٩٤١) من رواد هذا الأسلوب الأدبى الجديد، وهى تقربنا إليه أكثر ـ صوب المقالة الذاتية ــ حين تقول عن مقالات" مونتانى" بمناسبة نشرها فى انجلترا، بترجمة " تشارلز كوتون" :

---

(١) د. عقيلة رمضان، تقديم: القارئ العادى ـ فرجينيا وولف، القاهرة، هيئة الكتاب، ص ٤

(٢) د .ناصر الحانى: المصطلح فى الأدب الغربى، بيروت المكتبة العصرية، ١٩٦٨، ص ٤٢

"رأى "مونتانى" ذات مرة فى بار" الدوق" صورة كان قد رسمها " رينيه" ملك صقلية لنفسه، وتساءل "مونتانى" : "لماذا لا يكون ممكنا أن يرسم الشخص نفسه بطريقة مماثلة ـ عن طريق الكتابة كما فعل "رينيه" عن طريق الرسم،" ويمكن للمرء أن يجيب على الفور بأنه ليس معقولا فحسب، بل ليس هناك ما هو أبسط من ذلك. وقد يتحاشانا بعض الناس بالرغم من أن ملامحنا تكاد تكون مألوفة جدا. فلنبدأ وعندئذ ـ أى عندما نحاول البدء ـ فإن القلم يسقط من بين أصابعنا، إذ الموضوع عميق، وغامض، وبالغ الصعوبة.

"ومن المسلم به فى جميع الآداب أن الذين نجحوا فى رسم أنفسهم بالكتابة قليلون، وقد يكونون فى الآداب الأوروبية "مونتانى" Montaigne و"بيبز" Pepys و"روسو" Rousseau وحدهم. إن صورة نيافة الميدنيشى Midici عبارة عن زجاج ملون من خلاله يرى المرء فى الخلفية السوداء نجوما تتابع وروحا غريبة مشاغبة. وتعكس المرآة المصقولة وجه" بوزويل" Boswell كاتب سيرة الميديتشى الشهيرة وتحس به وهو ينظر نظرات ثاقبة فى أغوار الناس وأنت تقرأ تلك السيرة.

"أما أن يكتب المرء عن نفسه وهو يتتبع أوهام نفسه وتخيلاتها فإنه يعطى الصورة الكاملة بثقلها ولونها ـ وأبعاد الروح فى خلطها وفى تفاوتها وفى انحطاطها. هذا الفن طوع رجل واحد، إنه طوع "مونتانى" ".

وهكذا تعود بنا" فرجينيا وولف"مرة أخرى إلى "مونتانى"، لتؤكد طبيعة المقال الذاتى، من حيث التعبير بصدق عن النفس، أو كشف خباياها للعالم، وليس هذا بالأمر اليسير .. يقول "مونتانى"[(١)]

"إننا نسمع عن اثنين أو ثلاثة فقط من الأقدمين الذين سلكوا هذا الدرب، ومنذ ذلك الوقت لم يحذُ حذوهم أحد من بعدهم بعد أن سلك نفس الدرب، إنّه طريق وعر، بل أكثر وعورة مما يبدو، يقتضى خطوة ضالة، غير مؤكدة مثل الروح، لكى ينفذ إلى الأغوار والمنعطفات المعقدة والمظلمة، وحتى يختار ويضع يده على كثير من الخطوات الرقيقة الرشيقة، إنه عمل جديد غير مألوف، وهذا يبعد بيننا وبين الأعمال العادية التى يحبذها الجميع بشدة فى العالم".

---

(١) Essays of Montagne,translaated by Charles Cottan,5 Vols The Nararre

وصعوبة التعبير فى المقال الذاتى ـ تكمن ـ كما تقول "وولف" أيضا، فى أننا جميعا" منهمكون فى الأعمال الغريبة السارة التى تسمى بالتفكير، ولكن عندما نصل إلى حد الإفصاح عما نفكر فيه حتى ولو كان فى مواجهة البعض، نجد أنفسنا غير قادرين على نقل ما نفكر فيه الى هذا الغير. فشبح الفكرة يجوب ثنايا العقل ثم سرعان ما يمرق من النافذة قبل أن نتبين ملامحه أو يرسب رويدا رويدا ويعود إلى ظلمات الأعمال التى ومضت لحظات بضوء عابر. إن الوجه والصوت واللهجة تشوه كلماتنا وتؤكد ضعفها مع الشخصية عند الكلام. وبينما القلم أقدر على التعبير نراه فى الوقت نفسه آلة صارمة، والقلم قليل الكلام ولكنه محيط يجمع صنوف العادات والطقوس الخاصة بالشخصية. وهو مستبد كذلك فقد تكون الكلمة فاشلة إذا ألقيت فى خطاب، ولكن القلم قادر على أن يحولها إلى مقال رزين رائع.. ولهذا ظل "مونتانى" حيا بعيدا عن عداد الأموات، بقى فى حيوية ناطقة. ولا يمكن أن يتطرق إلينا الشك ـ ولو لفترة وجيزة أن كتابه إنما هو شخصيته. إنه لا يقبل أن يكون معلما ولا يقبل أن يكون واعظا. فقد دأب يقول إنه مجرد شخص كغيره من الأشخاص. واتجهت كل جهوده لأن يصف نفسه بالكتابة على صفحات من كتبه وأن ينقل أفكاره إلى الناس، وأن يقول الحقيقة وهذا "طريق وعر بل أكثر وعورة مما يبدو"[1]

ومقالة "اليوميات" فى أبلغ صورها إنما تسعى إلى نقل صورة النفس إلى الآخرين. وهنا ـ كما تقول "فرجينيا وولف" أيضا، تأتى"مشكلة المشاكل، وهى أن يكون الانسان نفسه. وهذه الروح أو الحياة التى بين جنبينا لا تتوافق بتاتا مع الحياة التى تحيط بنا. فإذا كان لدى المرء الشجاعة لأن يسأل الروح فيم تفكر، فإنه سيرى فيها دائما عكس ما اعتاد الناس رؤيته، ويراها تفكر منطلقة بعيدة عن القيود والعادات التى يخضع لها الناس اضطرارا.[2] وفيما يلى نماذج لمقالة "اليوميات" :

---

(١) فرجينيا وولف: القارئ العادى، ترجمة د. عقيلة رمضان، القاهرة، هيئة الكتاب ١٩٧١، ص٧٣

(٢) نفسه، ص ٧٤

●● فى النهار من آلاء الله وآياته الشىء الكثير، وفى الليل أيضا آلاء وآيات أخرى ●●

هداية النجوم

ليست الآء الله فى الكون مقصورة على ما قلناه من قبل من أنه سبحانه فالق الحب والنوى يخرج الحى من الميت ومخرج الميت من الحى، وأنه فالق الإصباح وأنه جعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا.

لقد ذكر الله جل وعلا هذه الآلاء ليتدبرها الذين يكفرون به ويلحدون، ويعبدون الأصنام التى لا تنفع ولا تضر ولا تغنى شيئا عن عابديها، ليست الآلاء مقصورة على ذلك، فمن ينظر فى الكون يرى الكثير والكثير.

هذه مقدمة فى حديث اليوم لإمام الدعاة إلى الله فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى، أو هى ربط بين ما مضى من أحاديث الآلاء وما يأتى اليوم من حديث آلاء أخرى وهى النجوم التى يهتدى بها البشر فى ظلمات البر والبحر، حيث يقول تعالى فى الآية(٩٧) من سورة الأنعام:

"وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر، قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون".

يقول شيخنا الشعراوى:

إن الله سبحانه يعلم أن البشر فى كونه يحتاجون إلى حركة دائبة وسعى مستمر، وليس معنى أن النهار للمعايش وأن الليل للهدوء والسكون من تعب السعى للمعايش أن الليل خال من العمل.

فهناك ضرورات للحياة لا تتم إلا بالعمل ليلا، ولكن ليس معنى ذلك أن الليل ينقلب إلى نهار، فلو حدث ذلك لتغير نظام الكون، ولكن الجماعات من الناس، والتى نطلق عليها القرى أو المدن، أو الدول تحتاج إلى أعمال ليلية فى الحراسة مثلا، أو الضرب فى الأرض أو السعى فى الكون لتحصيل منافع فى الزراعة والتجارة مثلا، ففى البر تسير السيارات حديثا، وكانت الجمال تقوم بمهمتها قديما،

ولاتزال، والفلاحون يذهبون إلى حقولهم فى المساء لإدراك نوبات الرى مثلا حينما تنطلق المياه فى الترع ويأخذ كل دورة فى رى أرضه والتجارة الواسعة تحملها السفن فى البحر، ولا تتوقف ليلا عن المسير، وهكذا كل حركة فى الكون تحتاج إلى الليل لتكمل حركة النهار وتعينها.

وفى النهار خلق الله لنا الشمس تضيء الكون ونحسب بها الأيام والأعوام، وفى الليل خلق لنا القمر نستضيء به ونحسب الشهور، ولكن القمر تختلف منازله، فيظهر منه ما يظهر فى أول الشهر هلالا يكبر مع الأيام حتى يصبح بدرا فى منتصف الشهر، ثم يأخذ فى الصغر شيئا فشيئا حتى يختفى ويسمى المحاق، وهو فى هذه المنازل لايظهر طوال الليل، وإنما يظهر فى جزء من وقته ويختفى فى جزء آخر، وحين اختفائه نحتاج إلى هداية النجوم.

وإن من يتدبر هذه النجوم وأحجامها وحركتها وسكونها ويدرك الحكمة من خلقها لابد أن يؤمن بأن هذا الكون له إله حكيم، ولا إله سواه.

فمن ذا الذى يزعم أنه خالق هذه النجوم لتؤدى مهمتها فى هداية البشرية ليلا، وفى ضبط الجهات ليلا؟

إننا نعلم أن الشمس تشرق فى الصباح فنسمى جهة شروقها: الشرق، وتغرب آخر النهار، نسمى جهة غروبها: الغرب وعن طريق الشرق والغرب نحدد جهتى الشمال والجنوب على النحو المعروف فى علم الجغرافيا.

لكننا فى الليل لا نرى الشمس لنحدد بها هذه الجهات الأصلية وحركة الحياة تتطلب المسيرة فى الصحراء وتتطلب إبحار السفن فى البحار واستمرارها وهى تمخر عباب الماء ومهما يتطور العلم فى صنع الأجهزة التى تحدد الجهات ومنها "البوصلة" فإن البشرية لا تستغنى عن وسائل الهداية التى خلقها الله فى الكون وأهمها النجوم.

إن النجوم هى الأجرام اللامعة التى نراها فى السماء لنهتدى بها فى ظلمات البر والبحر، ومن رحمة الله بنا وعلمه أن بعض خلقه ستضطرهم حركة الحياة إلى الضرب فى الأرض والسير ليلا فى اليابسة وفى الماء، وذلك مثل من يحرسون ويشيعون الأمن فى الدنيا، ويؤدون مهمتهم ليلا. كل ذلك أراده الله بتقدير عزيز حكيم عليم. ولذلك ترك النجوم لنا ليهتدى بها هؤلاء الذين يسهرون أو يضربون فى الأرض أو يبحرون فى الماء بسفنهم، وهم يحتاجون إلى ضوء قليل يهديهم.

ومن أجل ذلك كانت العرب تهتدى بالنجوم ليلا، ولايزال التقدم العلمى يهتدى بالنجوم فى كثير من حركة الليل، فالنجم القطبى مثلا، وهو المعروف للكافة يحدد جهة الشمال التى عن طريقها تعرف بقية الجهات، وبه يهتدى السائرون برا وبحرا، ولايزال الناس حتى الآن يتخذون من نجوم السماء دليلا.

ثم يقول شيخنا الشعراوى.

إن من النجوم ما هو ثابت، ومنها ما هو متحرك، ولقد هدى الله الانسان إلى النجوم الثابتة يضبط بها اتجاهاته هنا وهناك، كما يضبط أوقاته بالنجوم المتحركة، ومنها ما يبدو لنا صغيرا، ومنها ما يبدو كبيرا، وقد يكون النجم الصغير أكبر فى الواقع من النجم الكبير، لكنه يبعد عنا بمسافة كبيرة وعلى ذلك لا تقتصر الحكمة من النجوم على الهداية بها فى حركة الانسان برا وبحرا فهذه فقط هى الحكمة التى يدركها العقل الفطرى أولا، ولذلك يأتى الله فى أمر النجوم بقول كريم آخر ليوضح لنا ألا نحصر الحكمة فى الهداية ليلا، برا وبحرا. إنه سبحانه يقول فى الآية(١٦) من سورة النحل "وعلامات وبالنجم هم يهتدون".

فلم يقل سبحانه: يهتدون فى ظلمات البر والبحر، وإنما ترك قوله على إطلاقه ليستوعب كل اكتشاف للعقل البشرى فى الهداية بالنجوم.

إن النجوم عالم كبير لا يتسع إدراك البشر لاستيعابه مرة واحدة، ولا يدرك كل أسراره فى المكتشفات العلمية مع مرور الأزمان، إن إيحاءات الكلمة فى القرآن الكريم يجب أن تلفت الأنظار إلى ذلك أو شىء منه، حيث يقول تعالى فى الآيتين (٧٥،٧٦) من سورة الواقعة: "فلا أقسم بمواقع النجوم، وإنه لقسم لو تعلمون عظيم".

فالقسم بمواقع النجوم عظيم، وعظمة القسم تدل على عظمة المقسم به.

وفى كل يوم يتقدم العلم ويبين الله لنا بهذا التقدم أشياء كثيرة، فهاهو ذا المذنّب الذى يقولون عنه الكثير، وهاهى ذى نجوم جديدة تكتشف تأكيدا لقول الله تعالى فى الآية (٤٧) من سورة الذاريات:

"والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون".

أى أنه سبحانه قد خلق لنا عالما كبيرا وأنت أيها الانسان قد أخذت منه على قدر ادراكاتك وامتداداتك فى النظر الطبيعى الذى لا تستخدم فيه آلة ابصار،

وأخذت منه بالنظر المعان الذى تستخدم فيه التلسكوب، وجاءت وستأتى بعدها أجهزة تكتشف أكثر وأكثر ومع ذلك فلن نحيط بكون الله علما، إن هذا يرفعنا إلى تدبر القول الكريم: "فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم".

وفى أنواع النجوم يقول الإمام الشعراوى:

إن بعض العلماء يقول:إن كل انسان فى الوجود له نجم ترتبط حياته به، وحين يأفل النجم يأفل قرينه على الأرض.

وهناك نجوم لامعة ندرك خفقاتها، ونجوم أخرى غير لامعة وبعيدة عنا، ويقال إنها تخص أناسا لا يدرى بهم أحد لقلة تأثرهم بأعمالهم فى الحياة.

ويتقدم العلم كل يوم، ويربط لنا أشياء بأشياء، وكأن الله يوضح لنا بذلك أنه خلق لنا الأشياء، ومنها ما قدرت عقولنا أن تصل إلى شئ من الحكمة فيها. ولكن لا يصح أن نقول: إن هذا هو منتهى الحكمة، لأن وراءها حكما أعلى، فهو سبحانه الحكيم القادر. أننا قد ندرك جانبا يسيرا من حكم الله، ولكن علينا أن نعلم أن كمال الله غير متناه، ولا يزال فى ملك الله ما لا نستطيع إدراك حكمته إلى أن ينهى الله الأرض ومن عليها.

يأتى بعد ذلك تذييل الآية الكريمة بقوله تعالى:

"قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون"

والآيات جمع آية، والآية هى الشيء العجيب، وتطلق الآيات على الآيات الكونية مثل الليل والنهار والشمس والقمر، وذلك قول الله تعالى فى الآية (٣٧) من سورة فصلت.

"ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر"

وتطلق كلمة آية على الطائفة من القرآن التى لها فاصلة.

وإذن فهناك آيات قرآنية، وآيات كونية والآيات الكونية تعتبر مفسرة للآيات القرآنية.

وتفصيل الآيات فى الكون ما نراه من تعدد أشكالها وألوانها وحكمها وغاياتها.

وتفصيل الآيات فى القرآن هو ما ينبهنا إليه الله فى قرآنه، وليلفت النظر إلى أن ذلك التفصيل فى آيات الكون، وذلك الخلق العجيب الحكيم الذى لا يكون إلا لإله قادر يستحق أن يكون إلها واحدا، ويستحق أن يكون إلها معبودا.

أما بعد، فقد بلغ حديث اليوم لشيخنا الشعراوى نهايته، ولم تنته الآيات التى وردت فى سورة الأنعام للرد على الكافرين الملحدين، وفى يوم الجمعة القادم إن شاء الله آية أخرى من آلاء الله." (١)

■ يوميات الأخبار ■ يكتبها اليوم عبدالرحمن الأبنودى ■

●● لو كان الأمر بيدى لشحنت كل من أراد الاحتفال ببونابرت وديزيه وبليار والحملة الفرنسية وربطتهم الى باب المسجد وأقمت الاحتفال لهذا الجدار الباسل ●●

معركة أبنود الكبرى !!

الخميس:

كان صديقى الحاج «عبده الكردى» مريضا فقررت زيارته بعد اداء واجب العزاء فى احد فضلاء القرية. ليس اسم الكردى هو العجيب فقط فلدينا احياء بكاملها فى ابنود تحمل اسماء مثل «الفارسى» و«العجمية».. الخ كان لابد لزيارة «الكردى» ان ابلغ حافة ابنود الغربية فصديقى بنى بيته فى قلب مسرح المعركة القديمة، معركة ابنود الكبرى ضد الفرنسيين خلال حملة «ديزيه» على صعيد مصر.

اعطتنى الزيارة - وربما للمرة الاولى - فرصتى الذهبية لمعاينة الموقع القديم للموقعة القديمة بعد ان كبرت، وعرفت، وقرات عن هذه المعركة الكثير.. والكثير.

لا يعرف الكثيرون ان ابنود قريتى التى اعتز بها لدرجة المبالغة ابيدت - يوما ما - عن آخرها. احرق الفرنسيون بيوتها جميعا. اضرموا النار فى الحوانيت ذات الأبواب الخشبية وفى اسطح الدور القشية حتى صارت القرية كرة من لهب سجلها فى لوحة مهيبة «دينون» الفرنسى الذى لم يرسم قرية أخرى تحترق، فقط رسم حريق ابنود الذى ساهم هو ورفاقه فى إشعاله.

ان جغرافيا المكان كما وردت فى مذكرات «دينون» وكما صورها «ج. كريستوفر هيرولد» فى كتابه الرائع «بونابرت فى مصر» وكما جسدها عمنا المؤرخ الكبير «عبدالرحمن الرافعى» تؤكد على وجود معلمين او اثرين اساسيين فى هذا المكان - جامع وقصر.

هذا هو الجامع. هذا هو مسجد «سيدى العزب» يقوم مهيبا الى جوار بيت «الكردى» وهذه هى بقايا جدران القصر كما اعتقد والمبنية جدرها بحوالى ثمانى طوبات عرضا. ربما لا تكون الجدران من بقايا ذلك



القصر القديم لكنها كاشفة عن طابع البناء القديم ورائحة ابنود القديمة. وها هو النيل الذى كان ينام تحت ارجلها مباشرة حين يفيض الفيضان فيغرق الجزر وتنضم كل هذه المساحات المهولة الى النهر حيث كانت سفن حملة ديزيه تطلق منه مدافعها وبواريدها على القرية المناضلة. لولا الخجل ولولا خشية اتهامى بالجنون او النزق على الاقل لطلبت منهم ان اعتلى اعلى سطح فى المكان لابعث المعركة حية واتخيل اين كان الابنوديون يومها.

كيف اتخذوا سواترهم؟ كيف سبحوا الى السفينة «ايطاليا»؟ كيف استولوا على البارود والمدافع وكيف اغرقت امام شواطئنا النائمة منذ قدماء المصريين؟

يقول الرافعى: «كانوا يرابطون فى السهل وعددهم نحو ثلاثة الاف من الاهالى وعرب الحجاز و٣٥٠ : ٤٠٠ من المماليك والتقى الجمعان - هؤلاء والفرنسيون - فى سهل «قفط» - بلد الشاعر امل دنقل - يوم ٨ مارس ١٧٩٩ فكانت معركة حامية الوطيس اشتبك فيها المقاتلون وجها لوجه، وانتهت بهزيمة الاهالى والعرب وانسحابهم الى ابنود».

معركة ابنود الكبرى ٨ - ٩ - ١٠ مارس ١٧٩٩

واصل الاهالى والعرب انسحابهم وهم يدافعون دفاعا شديدا عن كل قرية وعن كل مكان ارتدوا اليه. فلما وصلوا الى ابنود تحصنوا فيها ونصبوا بها المدافع الفرنسية التى غنموها فى واقعة بارود النيلية واخذوا يطلقون النار منها ففتكت بالفرنسيين فتكا شديدا وكانت هذه اول مرة واجه فيها الفرنسيون مدفعية حديثة فى صفوف المصريين.

وضعت الخطة الفرنسية لاستعادة مدافعهم اليهم وقد نجحوا فى ذلك مما اضطر الأهالى الى النزول الى بيوت القرية التى متجدد القتال فى طرقاتها وبيوتها ولم يتمكن الفرنسيون من التغلب عليهم الا بعد ان اضرموا النار فى منازل القرية كلها فاصبحت البلدة شعلة من الجحيم وتصاعد اللهب الى عنان السماء. واستحالت القرية الى اكوام من الخرائب. وبالرغم مما حل بها من الحريق والدمار فقد امتنع الأهالى والعرب فى قصر حصين كان فيما مضى مقرا لكشاف المماليك وفى مسجد يجاوره جمعوا فيه الذخيرة التى غنموها من الفرنسيين فاشتد القتال حول هذا المنزل والمسجد المجاور له وتبادل الفريقان اطلاق النار الى ان جن الليل وتكبد الفرنسيون خسائر جسيمة فكفوا عن الضرب بعد ان احرقوا المسجد واخذوا يحاصرون المنزل طول الليل ويستعدون لاستئناف القتال فى

---

(١) جريدة الأخبار فى ٣ يناير ١٩٩٧.

أفكار طائرة : صلاح منتصر

بصمة الصوت دليل تعتمده المحاكم (١)

لابد أن هناك آخرين غير عبد الوهاب الحباك الذى تعامل مع البنوك السويسرية عن طريق بصمة الصوت وإن كان من غير المعروف من هم هؤلاء الذين يشاركون الحباك طريقته.. والحباك من أشهر الأسماء التى لمعت فى مصر فى عام ١٩٩٦ بسبب حكايته المعروفة التى كشفتها مطلقته.. والتى أبلغت أجهزة الرقابة أن مطلقها يحتفظ بحسابات خاصة سرية فى البنوك السويسرية بها عدة ملايين حصل عليها بطرق غير مشروعة. وفى التحقيق الذى أجراه اللواء أحمد عبد الرحمن الرئيس السابق للرقابة الإدارية تمكن بطريقته الهادئة المقنعة من إقناع الحباك بأن يعيد إلى الدولة ١٩ مليون دولار هى كل ماله فى الخارج حسب قوله أملا منه فى إغلاق الملف. ولكن بطريقة ما وصل الخبر إلى الصحافة فأثارته وتم القبض على الحباك وقدم للمحاكمة وأصبح مشهورا بأنه صاحب الحساب الخاص الذى يتعامل معه عن طريق بصمة الصوت. ونحن نعرف بصمة الإصبع وتوقيع صاحب الحساب.. ولكن الجديد هو بصمة الصوت.. وربما كان من أهم البحوث التى تحدثت عن هذه البصمة الصوتية تلك التى نشرها لورانس كريستا فى عام ١٩٦٢ قبل ١٥ سنة وفيها طرح إمكانية تصنيف الناس عن طريق تفرد كل منهم صوتيا. وقد قام هذا التفرد على أساس إثباته وجود اختلاف بين الناس فى إشكال تجاويفهم الصوتية (تجويف الحلق - الفم - تجاويف الأنف - تجويف الشفتين) وأعضاء نطقهم وطريقة تحريكهم لأعضاء النطق أثناء الكلام. وقد أمكن للباحث التمييز بين هذه الفروق عن طريق تحليل نماذج مرئية عن طريق جهاز اسمه الراسم الطيفى Spectojraph ويظهر الراسم الطيفى الاختلافات بين الأشخاص عندما يتكلمون.

وهناك الحكاية المعروفة فى عام ١٩٦٥ عندما تفاخر شاب أمريكى كان يتحدث فى برنامج تليفزيونى بأنه أضرم النار فى عدد من محلات لوس أنجلوس. وقد استخدمت القناة التليفزيونية التى أذاعت حديث الشاب حقها فى عدم الكشف عن هويته وإخفاء وجهه تماما عند إذاعة اعترافه، ولكن المحققين تمكنوا من

(١) مجلة أكتوبر ١٩٩٧/٢/٩.

معرفة هذا الشاب وتقديمه إلى المحاكمة على أساس الاستدلال عليه من بصمة صوته وبالفعل أخذت المحكمة بالدليل وحكمت بإدانته.

وفى مصر درجت بعض المحاكم منذ سنوات على اعتماد بصمة الصوت كدليل وأصدرت قرارات بالإدامه أو البراءة فى كثير من قضايا الرشوة والتجسس والابتزاز وطلب الفدية والتهديد بالقتل.

ومع استمرار البحوث أصبح من الممكن استخدام تقنيات أكثر نقاء فى رسوم الأطياف وطرق أكثر تقدما فى التعرف على نماذج الأصوات مع استخدام الحاسبات الآلية وزادت نتيجة ذلك ثقة العلماء والمحققين فى بصمة الصوت لدرجة جعلتهم ينفون إمكانية إخفاء هذه البصمة عن طريق التغيير المتعمد للصوت أو وضع مواد غريبة فى الفم، أو تغطية الشفتين أو الأنف أو غيرهما من وسائل التمويه أثناء الكلام!

قناة توشكى وترعة زايد

منذ أسابيع جذب اهتمام ملايين المصريين مشروع الوادى الجديد الذى زار الرئيس حسنى مبارك موقع العمل فيه التاسع من يناير وأعطى إشارة البدء فيه.. وهذا المشروع جرى الحديث عنه مؤخرا فى وقت تزامن مع تشغيل قناة توشكى.. ولهذا اختلط الفهم على الكثيرين وصعب عليهم معرفة علاقة هذا المشروع بقناة توشكى.. ولماذا هذا المبلغ الكبير من الاستثمارات التى سيحتاج إليها مشروع الوادى الجديد، وقد قيل إنها ستصل إلى نحو مائة مليار دولار وأنها ستحتاج إلى ٥ مليارات متر مكعب من مياه النيل الأمر الذى جعل الكثيرين يسألون من أين سنوفر هذه الأموال وكيف سندبر احتياجاتنا من المياه فى الوقت الذى تربط مصر والسودان اتفاقية تحدد نصيب مصر من مياه النيل بـ ٥٥ مليار متر مكعب سنويا وقد كان وزير الرى المهندس عبد الهادى راضى رحمه الله يشكو من عجز هذه الكمية عن توفير كل احتياجاتنا للرى.. تساؤلات كثيرة وتخوفات أكثر.. ولكن السبب فيها بالتأكيد هو ظهور المشروع فجأة رغم أن الحكومة أعلنت عن حق أن دراساته بدأت منذ نحو ثلاثين سنة كمشروع مكمل لمشروع السد العالى..

والواقع أن الذى أثار الخلط هو مشروع قناة توشكى وهذه القناة بدأ حفرها منذ العالم ١٩٧١ وكان اسمها فى ذلك الوقت قناة السادات وبعد عدة سنوات كانت جاهزة للتشغيل لكن ظروف منسوب المياه فى بحيرة ناصر لم تسمح

بتشغيلها إلا هذا العام. ذلك أن فكرة هذه القناة أنها قناة لتصريف الماء الذى يرتفع منسوبه فى بحيرة السد عن ١٧٨ مترا، فإذا وصل ارتفاع الماء إلى هذا المنسوب أصبح ما يزيد على ذلك يمثل خطرا على جسم السد، لهذا حفرت هذه القناة لتصريف الزائد عن هذا المنسوب وحماية السد من أية آثار ضارة، ونظرا لأن فيضان العام الماضى تميز بوفرة فى المياه القادمة لم تحدث من قبل بسبب غزارة الأمطار عن أى سنة سابقة لهذا تم تشغيل القناة وقدر انها سوف تقوم بتصريف فائض القناة من مياه البحيرة يصل إلى ٥٠ مليون متر مكعب. ومن الممكن أن تستمر قناة توشكى فى تصريف المياه الزائدة عن ارتفاع ١٧٨ مترا إذا استمر الفيضان القادم على نفس منسوب الفيضان الماضى ـ كما أنه من الممكن ـ وهذا هو الأرجح ـ أن يتولى وصول الفيضانات القادمة بنفس معدل الفيضانات السابقة باستثناء العالم الأخير فلا نحتاج إلى قناة توشكى وتبقى قناة جافة تنتظر الفيضانات المرتفعة.. فهى قناة عند اللزوم ولا يمكن الاعتماد عليها فى مشروعات زراعية.

ولكن بالنسبة لمشروع الوادى الجديد فالأمر مختلف فهو يقوم على حفر ترعة بطول ٧٠ كيلو مترا.. وتحصل هذه الترعة بصورة دائمة على إيراد مستمر من مياه بحيرة السد عن طريق أربعة خطوط أنابيب تبدأ من منسوب منخفض فى البحيرة (١٤٧ مترا) يضمن تدفق مياه البحيرة بلا توقف فى كل الظروف. ويتم رفع هذا الماء إلى الترعة التى أطلق عليها اسم (ترعة زايد) بواسطة محطة رفع ضخمة وهذه المحطة مع الترعة يتكلفان عشرة مليارات جنيه (ثلاثة آلاف مليون دولار) وعن طريق مياه ترعة زايد يمكن البدء تدريجيا فى زراعة مساحة كبيرة من الأرض تصل إلى أكثر من ثلاثة ملايين فدان، وهو ما يرفع تكلفة المشروع بعد تنفيذ مرحلته الأخيرة إلى ٣٠٠ مليار جنيه متضمنة كل عمليات التعمير اللازمة لهذه المساحة الكبيرة التى تصل إلى نحو نصف مساحة مصر.

خدعوك فقالوا عن التدخين

خدعوك فقالوا إن آثار التدخين لا تظهر على الشباب المدخن وإن أمراض القلب بسبب التدخين لا تصيب إلا كبار السن، وخدعوك فقالوا إن السيجارة ذات نسبة القار الخفيف أقل ضررا من السيجارة العادية، وخدعوك فقالو إن المدخن إذا أصابته أزمة قلبية فلا فائدة من امتناعه عن التدخين.

هذه النتائج الثلاث توصل إليها آخر بحث قام به أكبر المراكز الطبية في الولايات المتحدة شمل أكثر من ألف مريض بالقلب. وقد ضمنوا تقريرهم النتائج المهمة التالية:

النتيجة الأولى أنه ليس صحيحا أن تأثير التدخين لا يظهر إلا بعد فترة تدخين ١٥ سنة فأكثر.. وأنه، نتيجة لذلك، لا تصيب الأزمات القلبية الشباب الصغير ففي البحث الميداني ثبت وجود مئات الحالات من الشبان أقل من سن الـ ٣٠ فاجأتهم بسبب التدخين الأزمات القلبية في هذه السن الصغيرة والخطيرة أيضا. وهي خطيرة لأن الأزمة القلبية في السن الصغيرة تكون عادة أخطر كثيرا من تلك التي تأتي في السن الكبيرة وقد وجدوا أن بعض الشباب الذي أصابته أزمة قلبية لم يمض على بعضهم سوى خمس سنوات فقط في التدخين. النتيجة الثانية التي انتهى إليها البحث الذي قام به أكبر المراكز الأمريكية عن أكذوبة السيجارة قليلة أو منخفضة القطران (الاسم العلمي هو النار) فقد باعت شركات التدخين لملايين المدخنين وهم هذه السيجارة على أساس أنها تحوي كمية قليلة من القطران. وقد تصور المدخنون بذلك أنهم حموا قلوبهم.. ولكن الأبحاث أكدت أنه لا علاقة بين كمية القار أو القطران وتعرض المدخن للأزمة القلبية.. والواقع أن القطران ونسبته له علاقة أكثر بأمراض السرطان التي تهدد المدخن.. أما أمراض القلب فلا يحمي المدخن منها السيجارة الخفيفة أو الثقيلة!

أما النتيجة الثالثة فخاصة بتأثير التوقف عن التدخين. وقد كان تصور البعض أن المدخن إذا إصابته أزمة قلبية، فقد وقعت الفأس في الرأس..ولم تعد هناك فائدة من توقعه بعد ذلك. وهذا خطأ كبير.. فقد تبين أن المدخن الذي توقف عن التدخين بعد الإصابة الأولى بأزمة قلبية يكون أقل تعرضا للإصابة بأزمة ثانية. وأنه أيضا ليس صحيحا ما يقال عن بعض الآثار الضارة التي يمكن أن يتعرض لها المدخن إذا توقف بسبب تعود الجسم على التدخين.. فقد ثبت أن التدخين هو العادة أو الإدمان الذي إذا تخلص منها المدخن أصبحت صحته أحسن وأفضل".

ذاكرة التاريخ :

بقلم :

زكريا نيل

ويقدم الأستاذ زكريا نيل نموذجاً متميزاً، فى توظيف فن اليوميات الصحفية؛ لأداء وظائف التحليل والتفسير فى المقال الصحفى، من خلال تحقيق الصلة بين "الوقائع" و "أيام العرب"؛ وفن "اليوميات" الحديث على نحو ما نجد فى مقالاته بالأهرام، والتى أختار لها عنواناً الأ هو: ذاكرة التاريخ" .. وفيما يلى نموذج من مقالاته :

«بيل كلينتون» عن الانحياز الكلى إلى جانب اسرائيل إلى ان اصبحت جزءا من اساسيات «الاستراتيجية الامنية» للولايات المتحدة الامريكية والتى لاتسمح بهزيمتها فى اى معركة عسكرية بينها وبين العرب!!

وإذن...

اصبح واضحا امام القادة العرب عدة حقائق لابد من ادخالها فى نسيج اى مخططات عربية مستقبلية بالنسبة لحركة «الصراع العربى الاسرائيلى» مع الاخذ فى الحسبان دائما ان امريكا لاتسمح باى هزيمة تحيق بكيان الدولة الاسرائيلية!

اى قمة عربية شمولية عاجزة عن معاقبة الولايات المتحدة!

ومعنى ذلك.. ان اى مؤتمر قمة عربية على مستوى مشاركة كل قادة الدول العربية، قد لا يستطيع اتخاذ قرار اجماعى بتوقيع اى عقوبات على الولايات المتحدة الأمريكية جزاء لها على انحيازها الكامل لاسرائيل وتسببها فى استمرارية احتلالها للاراضى العربية المحتلة وتنصلها من الالتزام باى قرار دولى يفرضه ميثاق الأمم المتحدة بتوفير الوسائل الحتمية والحاكمة التى تقضى بمعاقبة الدولة العبرية..!!

اللبنانى، فإن واشنطن لن تتراجع عن حمايتها!

وإذن..

ماذا لو بقى الحال على ما هو عليه إلى ان تعلن حالة الوفاة بصفة قاطعة لاتفاقات السلام؟

هل تستطيع اى انظمة عربية ان تكبت مشاعر غضب الشارع العربى وانفجارها ضد اسرائيل وضد الدولة الراعية لعملية السلام والمنحازة انحيازا كاملاً ضد اى أدانة دولية للنظام الاسرائيلى؟

هل يستطيع اى واحدة من دول العالم ان تلقى باللوم على اى قوى وطنية عربية تتفجر غضبا وبكل وسائل المقاومة المشروعة للاحتلال الاسرائيلى للأراضى العربية، ايا كان حجم المخاطر المضادة او ردود الأفعال العدوانية الاستعمارية؟؟

هل سيستطيع اى نظام عربى ان يقاوم المشاعر الوطنية للجماهير العربية لتنظيم مقاطعة شاملة للسلع او البضائع او الأجهزة او السيارات الأمريكية، او الخدمات الملاحية فى المطارات او فى الموانى العربية المختلفة، وذلك وفقا لمبادئ مشروعة ومعترف بها لدى كل شعوب العالم؟

وإذا كانت الدول العربية قد استطاعت ان توحد موقفها وتفرض قراراتها بمعاقبة الولايات المتحدة بقطع الامدادات النفطية العربية عنها في بداية اندلاع معركة السادس من اكتوبر المجيدة عام ١٩٧٣ ضد اسرائيل لاستمرار عدوانها على الأراضى العربية ـ فما ذلك إلا لأن كل العرب كانوا يملكون حرية صنع قرارهم ضد اى دولة معتدية او مؤيدة لدولة معتدية مثل اسرائيل!

أما بعد كارثة الثاني من اغسطس عام ١٩٩٠ بغزو العراق للكويت، فان القرار العربي ليس متاحا له أن يكون اجماعيا إذا ما كان موجها ضد الولايات المتحدة التى قادت من قبل حرب عاصفة الصحراء فى معركة تحرير الكويت، حتى إذا ظل انحيازها لاسرائيل دافعا إلى استمرار تمردها ضد تنفيذ احكام اتفاق السلام المنعقد بينها وبين الجانب الفلسطيني، ثم نزوعها إلى استمرار الهيمنة على الأراضى العربية الأخرى المحتلة سواء فى الجولان السورية او فى الجنوب

والمسئولية العربية القيادية.. من أين تبدأ على الفور دورها..؟؟

ان الممارسات الايجابية المشروعة والملزمة بسرعة تفعيل مختلف اليات العمل العربي المشترك عليها مسئولية قومية واقليمية وتاريخية بانه كفى ما قد فات من ضياع، وعليها التحرك على عجل لتجميع القدرات العربية المؤثرة نحو خطوات قادرة على التحدى من خلال النهوض الاقتصادى الموحد ليصبح حقيقة واقعة ومرئية على ارضية الاسواق العربية المشتركة والمناطق العربية الحرة التى هى قادرة على ان تدفع فى شرايين التكتلات العربية دماء الازدهار الاقتصادى المصرفي والتنموى والتعامل بقوة تنافسية مع المنظمة العالمية للتجارة الحرة!!

وإذا كان هناك معوقات قانونية او عقبات ادارية، فإن روح التحدى الجماعى ستفرض وجودها بعقلانيتها المتبصرة وبجهودها المؤثرة فى جميع مواقع التحولات الكبرى لعالمنا المعاصر!!

أى الخيارات العربية قادرة على المجابهة .. ؟؟

وبعد أن عجز مجلس الأمن الدولى عن ادانة حكومة اسرائيل فى مشروعاتها التوسعية لتهويد مدينة القدس العربية، واكتفى بدعوتها إلى التخلى عن خطط توسعاتها فى المدينة المقدسة.. واصفا هذا العمل بأنه تطور خطير ومضر بعملية السلام وحثها على عدم اتخاذ خطوات أخرى فى هذا الشأن.. كان هذا البيان اقرب إلى مناشدة الحكومة الاسرائيلية ولم يستطع الاقتراب من كلمة «الادانة» لأن الفيتو الأمريكى واقف له بالمرصاد.

وعلى الرغم من أن هذا النداء لقى استحسانا من جانب من اعتبروا الموافقة الأمريكية عليه، هى بمثابة تحذير، لرئيس وزراء اسرائيل «بنيامين نيتانياهو» فإن الحقيقة أن اقل ما يطلق على هذا البيان هو العبارة الشهيرة الساخرة «تمخض الجبل فولد فارا» !!

والسؤال الآن ..

أى الخيارات العربية المستقبلية لها القدرة على مجابهة التحديات الاسرائيلية بعد أن بلغت ذروتها ؟

علينا أن نأخذ فى حساباتنا أولا أن الحكومة العنصرية المتطرفة فى تل ابيب، تمثل سياستها العمل على تطبيق الجزء الهام قبل الأخير من المشروع الذى يطلقون عليه اسم «المشروع القومى الصهيونى» الذى يهدف إلى التوسع فى الأراضى العربية لاستيعاب ملايين أخرى من المهاجرين اليهود خاصة المهاجرين الروس وغيرهم ممن شملتهم برامج التهجير.. وليس غائبا عن أى متابع لتفاصيل هذا المشروع، انه مخصص له نسبة سنوية من المساعدات الأمريكية لاسرائيل وكذلك من التعويضات الالمانية التى تمتد إلى العقد الثانى من القرن القادم الحادي والعشرين.. كما أن برامج التهجير تمثل الشرايين المتدفقة فى جسد البنية البشرية للدولة العبرية إلى ان تصبح على المدى البعيد قوة طاردة لكل من تبقى من سكان البلاد الاصليين ..

القديمة كالحركة البلشفية فى بداية القرن الحالى، والحركة الماسونية التى كان يغذيها المرابون اليهود، وكان معظم هؤلاء ينزحون من روسيا القيصرية، ومن ثم فإن الولايات المتحدة عندما وقعت فى قبضه نفوذ راس المال اليهودى، فإنها تبنت فى العقود الأخيرة مهمة تدفق المهاجرين اليهود على فلسطين من جميع أنحاء العالم، ومازلنا نتذكر أن أهم النقاط التى كادت تعرقل «اعلان الوفاق الدولى» بين الجناح اليمينى الذى كانت تمثله امريكا والجناح اليسارى الذى كان يمثله الاتحاد السوفيتى السابق، هو اصرار الولايات المتحدة على ربط الوفاق بين البلدين بفتح ابواب الهجرة امام اليهود السوفييت إلى فلسطين !

ومن ثم فإن معظم سكان المستوطنات فى الأراضى الفلسطينية بغزة والضفة الغربية، هم من اليهود الروس.. وظلت امريكا والمنظمات اليهودية وراء تدفق هؤلاء اليهود على الأراضى الفلسطينية إلى أن أصبحوا يمثلون المشكلة الخطيرة والمعقدة فى طريق تنفيذ اى اتفاق سلام اسرائيلى فلسطينى، كما انهم اصبحوا بمثابة الغام موقوتة التفجير فى أى كيان للدولة الفلسطينية المرتقبة، وهى الورقة التى يلعب بها الآن رئيس وزراء اسرائيل الحالى «بنيامين نتنناهو» تطلعا إلى أن يصبح هو

تماما.. كما حدث بالنسبة للهجرات القديمة التى زحفت على الاراضى الأمريكية منذ اكتشافها قبيل اربعة قرون والتى ادت إلى استئصال جذور سكان البلاد الأصليين من «الهنود الحمر» وبحيث لم يبق منهم الا «قلة قليلة» تحافظ على بقائها امريكا وكل دول العالم كلوحة بشرية تمثل التراث السكانى القديم !!

الوفاق بين الغرب والشرق ..
كانت بوابته الهجرة اليهودية الروسية !

ومعذرة إذا كنا توسعنا بعض الشىء فى قضية الهجرة اليهودية واشرنا إلى أنه لم يكن ممكنا أن تنهض دولة «عبرية» من المهاجرين من مختلف الجنسيات فى فلسطين الا إذا كان قد احتضن هذا المشروع القومى الصهيونى رموز الحركات المذهبية رقما هاما بين رموز الحركة الصهيونية العالمية!!

أمريكا الأب غير الشرعى لدولة اسرائيل!!

هذه هى الحقيقة التى تجرى كالدماء فى عروق الادارة الأمريكية.. ومن ثم كان علينا ان نتعامل مع هذه الحقيقة الثابتة «كقدر» لا تستطيع مقاومته اى ادارة امريكية من اى من الحزبين الجمهورى أو الديمقراطى.. وإذن علينا ان نرجع إلى سجل الرؤساء الأمريكيين من وقت الاعلان عن قيام «دولة اسرائيل» فى الاراضى الفلسطينية عام ١٩٤٨، والتى واكب ظهورها عهد الرئيس الأمريكى الراحل «ترومان» ولم يحدث ان تخلى واحد من الرؤساء العشرة الذين جاءوا من بعده حتى الرئيس الحالى

الفصل السادس

فن المقال التحليلى

هذا فن مقالى متميز فى الصحافة المعاصرة، يستوعب الخطاب السياسى، كما يستوعب الخطاب النقدى. والمقال السياسى المعاصر قلما يتجه صوب النزال أو التصوير الحماسى، كما كانت السمة العامة فى الصحافة العربية أثناء مقاومتها للاستعمار، وما استدعته هذه المقاومة من نزال مع هذا الاستعمار، ومن نزال بين كتاب المقال وبعضهم البعض دفاعا عن مبادئ الأحزاب التى ينتمون إليها.

والمقال النقدى المعاصر، قلما يتجه الى ما يسمى بالنقد الانطباعى، الذى عرف فى مراحل سابقة. لقد استجاب المقال النقدى فى العصر الحديث للمقتضيات العلمية التى أكسبته بُعدا يتعادل مع البعد الأدبى، فى تناول الأعمال الابداعية، من خلال مقاييس نقدية، تسعى بجهد دءوب إلى التخلص من "ذاتية" الانطباعية،فى محاولة الانتساب إلى "موضوعية" العلم، والإفادة من مناهجه فى البحث والنظر والتحليل.

فالمقال التحليلى - إذن - هو القاسم المشترك الأعظم، الذى تنتمى إليه فنون الخطاب فى هذا العصر، الذى يتسم أكثر ما يتسم بالتحليل. إذ أصبح الكاتب المقالى أشبه بالعالم، الذى لا يُدلى برأيه، إلا بعد ملاحظة علمية وتجارب معملية، وأشبه بالفيلسوف المعاصر الذى يحلّل العبارات والأحداث تحليلا يوضحها ويضبطها، ولذلك ينبغ فى هذا الفن - المقال التحليلى - من كُتّاب السياسة والاقتصاد والاجتماع والنقد الأدبى - أولئك الذين يصدرون عن رؤيا إبداعية تنتظم الفلسفة إلى جانب العلم. وحين يتصدى الكاتب التحليلى إلى تناول قضية من قضايا السياسة والمجتمع والأدب والنقد، فإنما يتجه بمقاله على الفور إلى " التحليل"، الذى مايلبث أن يكسب هذا المقال"منطقا"إقناعيا يتجاوب فيه المُرسِل والمُستقبِل، حتى لنقول مع فيلسوف الوضعية المنطقية "هربرت فايجل" إن الفلسفة ظلت طوال تاريخها الحصن المنيع لسحر الألفاظ، إذ حاولت عن طريق استخدام وسائل لفظية خالصة أن تفسر أشياء لا يستطيع تفسيرها إلا العلم، أولا يُستطاع تفسيرها على الإطلاق. وفى أثناء هذه العملية تخلق لنفسها البلبلة والاضطراب. وقد علمنا "التحليل" أن كل هذا لا ضرورة له على الإطلاق.

ولذلك رأينا كيف تطور المقال النقدى ليتجاوز الطابع الانطباعى، إلى الخطاب التحليلى .. ونذكر هنا قول د. زكى نجيب محمود: إن مهمة الناقد إنما تنصبّ على تحليل العمل الفنى نفسه، دون الاهتمام بشخصية الفنان، وإذا جاز أن نسمى طريقة "فرويد": "مدرسة التحليل النفسى" فإن مدرسة النقد الموضوعى يمكن أن تسمى "مدرسة التحليل النصّى" وذلك لانصبابها على النّصّ دون سواه.

وتأسيسا على هذا الفهم فإن المقال التحليلى " يغدو منهجا فى تحرير المقال النقدى، والاجتماعى، والسياسى، والاقتصادى، إستجابة لطابع العصر. وهو الطابع الذى أدى ببعض المفكرين إلى تسميته "عصر التحليل". ولذلك يتجه المقال الصحفى التحليلى إلى الاهتمام بالمنهج، والحرص على الدقة، وتوخى النصاعة الذهنية. وسواء اهتم المقال بتحليل اللغة والمعانى والرموز، أم اهتم بتحليل وقائع الشعور ومواقف الحياة الانسانية، فإننا نجده فى حالتيه يعزف عن التعميمات الواسعة، التى نلحظها فى نصوص "المقالة الأدبية" الذاتية خاصة، كما يتوجس المقال التحليلى من الأنظمة الفكرية الجامدة، ويتحرج من الاتسام بالتعبير الذاتى فيما يتناول من تحليل.

فإذا كانت المقالة "الأدبية" منذ نشأتها قد حلقت فى عالم التجريد، فإن المقال "التحليلى" فى الصحافة المعاصرة، يعود إلى عالم الواقع، استجابة لوظائف الاتصال الصحفى. وهى الوظائف التى تستوجب الوقوف عند "العَينىّ" أو الملموس من واقع الحياة محليا، ودوليا؛ من جهة. وتفاعلا مع التطور الفلسفى والفكرى من جهة أخرى. وهو التطور الذى "يشمل الغالبية التى ذهبت إلى القول بالكثرة أو التعدُّد. على العكس مما كان يقول فلاسفة القرن التاسع عشر. "وإذا كان بعض فلاسفة الماركسية مازالوا يقولون بالوحدة ويرفضون التعدّد الذى تشهد به التجربة، فإن هؤلاء الفلاسفة إنما ينتمون فى الحقيقة إلى القرن التاسع عشر الذى شهد نمو المادّية الجدلية، وعمل على خلق نزعتها التاريخية الواحدية. وأما فيما عدا هؤلاء، فالملاحظ اليوم أن معظم الفلاسفة المعاصرين أصبحوا يلجأون إلى مبادئ متعددة، محطمين بذلك شتى الإطارات التقليدية. ولم يقف التعدد عند هذا الحد، بل هو قد امتد أيضا إلى صميم فهم التيارات المختلفة لمعنى الفلسفة ودورها الحضارى. فلم تعد هناك "فلسفة" بل أصبحت هناك "فلسفات" متعددة لا تجمع بينها أية وحدة عقلية أوأى اتجاه مشترك"[1].

---

(1) د. زكريا ابراهيم: دراسات فى الفلسفة المعاصرة، القاهرة، مكتبة مصر، ص١٧

واذا كانت الصلة بين " التحليل" و "الواقع" في الاتصال الصحفي، ليست في حاجة إلى برهان، فإن الصلة جدّ وثيقة بين " النزعة التحليلية" و"النزعة الواقعية" في الفلسفة المعاصرة. إذ أن كليهما قد نشأ ـ "في الأصل ـ كردّ فعل ضد النزعات الهيجلية بصفة خاصة. ولم يكن جورج إدوارد مور ـ في بداية عهده بالتفلسف ـ سوى داعية من دعاة النزعة الواقعية، بدليل أن شهرته الفلسفية قد اقترنت منذ البداية بالبحث الذى كتبه عام ١٩٠٣ عن "المثالية". ولكن المفكر الانجليزى الكبير لم يلبث أن اتجه نحو "التحليل" في معالجته للعديد من مسائل الفلسفة والأخلاق، فكان أن تلاقى ـ فكريا ـ مع اثنين من أعلام الفكر الفلسفي المعاصر: ألا وهما "برتراند رسل" و"ولد فيج فتجنشين" وقد تألفت من ثلاثتهما مدرسة جديدة في الفلسفة هى المدرسة التحليلية التى عرفت أحيانا باسم "مدرسة كمبريدج".. وكان لها تأثير كبير على حركة أخرى من حركات الفكر المعاصر، ألا وهى حركة "الوضعية المنطقية" التى نشأت في فيينا" [1] أما "برتراندرسل" فتأثيره على نهج التحليل في الخطاب المقالى خاصة كان تأثيرا كبيرا، وهو الذى يقول عنه"سنتيانا": إن "رسل هو فرانسيس بيكون القرن العشرين" وليس من قبيل المصادفة أن يجيء الاقتران هنا بين رائدين أحدهما فيلسوف التحليل المنطقى، والآخر هو الرائد المقاليّ "في الأدب الانجليزى. ذلك أن "رسل" قد توسل بالاتصال الصحفى في قيادة الفكر المعاصر، كما اتجه "بيكون" رائد المقالة. ـ الى ترسيخ هذا الفن، في الأدب وفى الصحافة معا. وحسبنا أن نذكر هنا ما جاء في تقرير جائزة نوبل في الآداب التى حصل عليها "برتراند رسل" عام ١٩٥٠ .. إذ نقرأ في التقرير أن المفكرالانجليزى قد استحق هذا الشرف "تقديرا لإنتاجه العظيم ذى الجوانب المتعددة، واعترافا بما اضطلع به دائما من دفاع عن الإنسانية وذود عن الحرية الفكرية.

ذلك أن "رسل" ، لم يتوقف بفكره عند الرياضة، والمنطق والتحليل الفلسفى، بل امتد ايضا، ليعالج الشئون التى تطرحها الصحافة من أخلاق، وتربية، ودين وسياسة واجتماع .. يدفعه الى ذلك مفهوم واضح للاتصال بالجماهير، ولذلك لم يصنع صنيع زميله "مور" في تحديد نشاطه الاتصالى داخل أسوار الجامعة، وإنما اتجه "رسل" إلى الاتصال بالجماهير، فاكتسب شهرة عالمية واسعة، كما ذاع اسمه خارج موطنه الأصلى لمواقفه السياسية الجريئة. وربما يرجع ذلك إلى اهتمام"أسلافه بالسياسة واشتغال جدّه اللورد "جون رسل" بالقضايا السياسية ـ

---

(١) د. زكريا ابراهيم: دراسات في الفلسفة المعاصرة، القاهرة، مكتبة مصر، ص ١٩٢.

وخصوصا أنه كان رئيسا للوزارء في انجلترا خلال الحرب المكسيكية وثورات عام ١٨٤٨ـ قد عمل على توجيه جانب غير قليل من اهتماماته نحو المشكلات العامة ومسائل السياسة. ومازلنا نذكر ما حملته إلينا الأنباء منذ عدة سنوات عن اشتراك "رسل" في بعض المظاهرات السياسية التي حدثت في انجلترا لمناهضة التجارب الذرية، مما جعل الكثيرين يعجبون بشجاعة هذا المفكر العجوز الذي طالما نصب نفسه عدوا للحروب ونصيرا للسلام"[١]

المقال التحليلي إذن مدين بمنهجه إلى هذا الفيلسوف الكبير: برتراند رسل، الذي ولد عام ١٨٧٢، ورحل عن عالمنا مؤخرا، مشاركا في قضاياه .. واستنادا اليه فإننا نميز في المقال التحليلي - بين مظهرين مختلفين للغة: مجموع مفرداتها من جهة، وتركيبها أو بنائها من جهة أخرى، "إذ ليس أغدر بالفيلسوف من المفردات اللغوية: فإن الألفاظ المستخدمة عادة في اللغات الطبيعية غامضة وملتبسة". ومن هنا فإن على المقال التحليلي أن يحدد معانيه، وأن يحرص باستمرار على تفسير المعاني الدقيقة التي تستخدم فيها الألفاظ حين ترد على قلم هذا الكاتب أوذاك. وليس من شك في أن عملية" تحليل المعاني" عملية منطقية قديمة ترتد إلى عهد أرسطو، ولكن "رسل" يعتقد أن الكثير من مظاهر الخلط الفلسفي حول مشكلات معروفة كمشكلة الجوهر أو مشكلة الكُليّات ترجع أولاً وبالذات إلى بعض خصائص لغوية كامنة في مفردات اللغة الطبيعية، وإن كان من المؤكد أن السمات التركيبية أو البنائية لأمثال هذه اللغات الطبيعية هي المسئولة عن العديد من الأخطاء التي طالما تردّى فيها الفلاسفة، وكتّاب المقال.

والمقال التحليلي إذن يقوم على هذا الفهم اللغوي، كما يقوم على ما يسميه"رسل" أيضا بالشكل المنطقي Logical form، تأسيسا على أن التحليل التقليدي للعبارة المنطقية إلى "موضوع" و"محمول" قد عمل على إخفاء البناء المنطقي الحقيقي للعبارة. ولذلك اتجه "رسل" نحو تطبيق المنطق الرمزي على اللغات الطبيعية: فأنت مثلا حين تقول: كلّ الساسة العرب مخلصون لأوطانهم، وبعض المتهورين ليسوا بساسة مخلصين لأوطانهم، إذن بعض المتهورين ليسوا عربا!.. أو حين تقول: كلّ المثقفين معجبون بالروائي الفرنسي "بروست" وبعض الفلاسفة ليسوا من المعجبين ببروست، إذن بعض الفلاسفة ليسوا مثقفين! وأنت في كلتا الحالتين إنما تحكم بأنه إذا كان كل (أ) هي(ب) وبعض (جـ) ليست (ب) إذن فإن بعض (جـ) ليست (أ).

---

(١) د. زكريا ابراهيم: دراسات في الفلسفة المعاصرة، القاهرة، مكتبة مصر، ص ٢١٨.

في هذه الصيغة المنطقية يتضح أننا بإزاء "متغيرات Variables" يمكن أن نضع بدلا منها مانشاء من حدود، وسيكون في وسعنا عندئذ أن نحصل دائما على نفس النتيجة، بشرط أن نراعي "الشكل المنطقي" للعملية الاستنتاجية.. وليست مهمة "المنطق الرمزي " سوى العمل على تحويل أى مقال معبر عنه باللغة الطبيعية إلى شكل منطقي أو "صورة منطقية"، حتى يكون في إلامكان فهمه دون حاجة إلى أى تعبير لغوى.

وفي تقديرنا أن المقال التحليلي ينبغي أن يقوم على نظرية "رسل" في "دالات القضايا Propositional functions . و"دالة القضية" تعبير ينطوى على مركب غير محدد، أو أكثر من مركب واحد إذا ما تعينت قيمته استحال التعبير إلى "قضية". فدالة القضية إذن تحتوى بالضرورة على متغيّر، ومثال ذلك أن تقول:(س إنسان) ويذهب "رسل" هنا إلى أن قضايا المنطق التقليدى، كالقضية القائلة بأن (كل أ هي ب) إنما هي دالات قضايا لا قضايا. ولابد من تحديد كل من (أ) و(ب) بوصفهما فئات محددة، قبل أن يكون في الامكان الحكم بأن أمثال هذه التعبيرات صادقة أو كاذبة. ونحن نعرف أن المنطق يستّعين بألفاظ مثل (كلّ) و(بعض) و(ليس كل) و(أو) ... إلخ، وهذه الألفاظ جميعا تتطلب استخدام "دالات القضايا". ونحن "لا نحصى في المنطق كل الجزئيات أو الأمثلة، بل ننتقل من النماذج أو الأمثلة إلى القانون العام الكامن وراءها، وتأسيسا على ذلك، فإننا نعرف أى "كل لامتناه" دون أن نعرف كل عضو فيه، لأننا نعرف أن أى "كل" يمثل دالة قضية من نوع معين. فنحن نعرف مثلا أن "كل البشر فانون.. لأننا نعرف أن دالة القضية (س انسان وس فان) هي دائما صادقة، وعلى ذلك فإننا حين نكون بإزاء أية دالة قضية، لابد من أن نجد أنفسنا بإزاء أمرين: الأول أن نقرر أنها صادقة في كل الحالات، والثاني: أن نقرر أنها صادقة على الأقل في حالة ولحدة، أو في بعض الحالات.

وتأسيساً على هذا الفهم، فإننا نرى أن "المنطق" هو صميم المقال التحليلي تأسيساً على أن التحرير بفنونه المختلفة يتلخص في معادلة فحواها أن التحرير: "تفكير" + "تعبير". والتحليل في المقال كفيل بأن يظهرنا على أنه إما أن تكون المشكلة "منطقية" وإما ألا تكون مشكلة "فلسفية كما يقول "رسل" [٢] ، حيث التحليل

(٢) Russell : Our Knowledge of the External World, 1914,P.42.

عملية ذهنية نضطلع بها حين نحاول توضيح التصورات والعبارات، سـواء فـي مضمار العلم أم فـي مضمـار الفلسفة أو فـي مضمـار الحس المشترك، من أجل العمل على إزالة ما فيها من مظاهر الغموض والالتباس.

ولذلك نرى أن هذا العمل على إزالة مظاهر الغموض والالتباس يمثل الوظيفة الرئيسية التى يصدر عنها المقال التحليلى فى الصحافة المعاصرة، حيث أصبحت، وسائل الاعلام والاتصال بالجماهير تحاصر الانسان فى كل مكان بكلام بارع، سريع، مجلجل، عن بيع "السلع والأفكار" معاً.. فالإنسان المعاصر مطالب باتخاذ قرارات متعددة، بعضها تافه، وبعضها هام، وذلك بوصفه مواطنا ومستهلكا وعضوا فى كثير من الجماعات الصغيرة، ورأيه فى كل شئون الحياة والسياسة مهم. ذلك أن زيادة السكان، والتوسع فى الحقوق السياسية ومنح المرأة حق الانتخاب قد أدى ذلك كله الى زيادة عدد الناخبين، كما أن التعليم الشعبى قد أعطى الغالبية العظمى من المواطنين فرصة تعّرف قضايا الحكومة، ومشكلاتها، وملاحظة الهوة بين ماهو عملى، وما هو مثالى فى المجتمع، وقد زادت الانتخابات الأولية المباشرة وتعدّدها من مسئوليات المواطن الفرد" [1] .

وهكذا يصبح الناس فى البلاد الديمقراطية مطالبون بأن تكون لهم آراء فى كثير من مسائل الحياة اليومية الهامة، فمثلا: هل الضرائب فادحة؟ أم منخفضة؟ هل تؤدى المدارس عملها بكفاءة؟ وكيف يمكن أن تصنع ذلك بكفاءة أكبر؟ هل يتحتم علينا أن ننفق أموالا أقل؟ أيجب أن نعطى أصواتا للمرشح "س" أو"ص"؟ يقول "هاى رونتشليس": طالما أن الحقائق مرغوب فيها لتكوين الآراء، فلابد لنا من عدة مصادر ملائمة نحصل منها على تلك الحقائق.. وتقوم الصحف والمجلات والكتب والإذاعة والتليفزيون بهذه المهمة، فضلا عن أن الناس إلى حد ما يحصلون على الحقائق من طريق مباشر، وذلك بالسفر إلى الخارج. كما أن أعداد السياح الأجانب المتزايدة تعتبر مصادر هامة من مصادر المعلومات التى تؤثر فى تشكيل الآراء.

على أن النقاد يلاحظون أن الوسائل المختلفة الآراء مازالت تفتقر إلى الكثير الذى ييسر لها أداء عملها على أكمل وجه.

---

(١) وليام ويفرز وآخرون: وسائل الاعلام والمجتمع الحديث ترجمة د. ابراهيم امام القاهرة، ص ٢٥٧.

وفى ذلك تأكيد لوظيفة المقال التحليلى فى الصحافة المعاصرة، بهدف إتاحة الفرصة أمام القارئ ليفحص مصادر المعلومات بعين ناقدة. ولنتبين أبعاد هذه الوظيفة النقدية للمقال التحليلى. علينا أن ننظر إلى النظام الاقتصادى الذى أصبح عمله متوقفا إلى درجة كبيرة، على سلوك المستهلك .. وكما يقول "جون كينيث جالبريت" فى كتابه: "الدولة الصناعية الجديدة": "من الصباح الباكر وحتى الليل المتأخر، يحاط الناس علما بما تؤديه السلع من خدمات، وعن ضرورتها الشديدة لهم، وتدرس كل ملامح المنتجات وأوجهها كافة لمعرفة نقاط الترويج فيها، ثم توصف وصفا تستخدم فيه الموهبة والوقار، ويعبر عنها باهتمام عميق على أنها مصدر للصحة والسعادة والنجاح الاجتماعى، أو علو المكانة فى المجتمع.. وحتى الصفات الفرعية للسلع غير المهمة تلقى من التضخيم الجاد. أما الخدمات الأهم من ذلك، مثل مزايا"الغسيل الأكثر بياضا"، فإنها تعالج بطريقة أشد وقارا مما يتناسب معها".

إن تعقد الحياة فى هذا العصر، والتقدم فى المواصلات وما أدّى إليه من تقلّص العالم، وكذلك تطور وسائل الاعلام الذى وسع آفاق الشخص العادى - كل ذلك قد أفسح مجال الرأى - أوكما يقول"ريفرز": فهل يتشدد الآباء فى التربية أم يتسامحون وهل تتوقف تجارب الأسلحة الذريّة، وهل يسمح لشيوعى بأن يقوم بالتدريس؟ وماهى السياسة التى يجب أن تنتهجها حكومتنا تجاه دولة أخرى؟ وهل تكون التعريفة الجمركية مرتفعة أم منخفضة؟ وماذا ينبغى أن تفعله الحكومة لكى تساعد الفلاح؟

ومادام الانسان المعاصر مطالبا باتخاذ عدد متزايد من القرارات، فقد كثر عدد الذين يتوقون لمساعدته على اتخاذ القرار الصحيح من وجهة نظرهم.. فالمصلحون يحثونه على تأييد قضاياهم، وكُتّاب المقال، والدعاة يطلبون منه مشاركتهم فى الرأى، والمؤسسات الخيرية تريد منه أن يدعمها فى عملها، ورجال الإعلان وخبراء العلاقات العامة يريدون منه مجاملة زبائنهم، والسياسيون يطلبون صوته، وكل واحد منهم يطلب منه قراراً لصالحه.

يتضح هذا المعنى حين ندرس وسائل الاعلام فنرى أنها نفسها تحتوى على ثلاثة أنواع رئيسية من المضمون الاقناعى:

أولهـــا: الدعوة المقصودة، كالمقالات الافتتاحية، والرسوم الكاريكاتورية، والأعمـدة والمقالات التفسيرية التى تؤدى بالقارئ إلى الوصول الى استنتاج.

وثانيها: ذلك المضمون الذى يراد به، أساسا، الترفيه أو الإعلام بحيث يكـون الاقنـاع منتجاً فرعيا محتملا.

وثالثها: الاعلان: وهو الذى نتوقف عنده الآن، لنقول مع "رسـل" إن الـدارس الجـاد لسيكولوجية الإقناع لا يجد له أمراً أفيد مـن استشـارة شـركات الإعـلان الكبرى" وليس من محك أصدق من محك المال، فإذا كـان شـخص علـى استعداد لأن يؤيد عقيدته بدفع المال من أجلها، فقد وجب اعتبـار عقيدتـه مخلصة. وهذا هو نفـس المحكّ الـذى يسـتخدمه المعلـن باستمرار. فـإن أنواع "الصابون" تمتدح بطرق شتى.. وتؤتى بعض هـذه الطـرق الثمـرة المرجوة، ولا تؤتى بعضها ثمرة، أو على الأقل لا تؤتيها بنفس الدرجـة. ومن الواضح أن الاعلان الذى يتسبب فى بيع صابون أحد النـاس، أفعـل فى خلق الاقتناع من الذى لا يتسبب .. إلى أن يقول "رسل": ولست أظن أن أى معلن مدرب يزعم بأن مزايا نوعـى" الصـابون" كـان لهـا أىّ أثـر فى إحداث النتيجة، إن أموالا باهظـة تدفـع لمـن يبتكـر إعلانـات حسـنة، وهو بهذا جدير .. لأن المقدرة على جعل أعداد كبيرة من الناس تصـدق ما توكده هى مقدرة قيِّمة جدّا. ويبدو أنه على ضـوء فـن الإعـلان يمكـن أن يستنتج أنه عند غالبية الناس الساحقة، تصـدق أيـة قضيـة إذا كُـررّت على نحو يثبتها فى الذاكرة .. فمعظم ما نصدّقه إنما نصدقه لأننا سمعناه مؤكّدا، ولسنا نذكر أين أكّد ولماذا؟ ولذا نعجـز عـن النقـد حتـى لـو كـان التوكيد قد قام به منتفع بتصديقنا، وحتى لـو كـان القـول غيـر مؤيّـد بـأىّ دليل، لذلك فإن الإعلانات كلما اكتمـل فنّهـا مـالت تدريجيـا عـن أسـلوب الجدل، وقصرت همها على الاستثارة، ومادامت تحدث تأثيرا فإنها تنجح فى تحقيق الغايةالتى تنشدها.

وإذا نظرنا إلى الإعلان علميا، وجدنا أن له ميزة كبرى ـ هى أن أثره ـ كما تدل أرباح المعلنين ــ من الآثار الجماعية؛ لا الآثار الفردية. لذلك فـإن مـا يكتسـب منه من معلومات إنما يتعلق بسيكولوجية الجماعة. فـالإعلان إذن ذو قيمـة لا تقـدر

فـى دراسـة الجماعـة لا الفـرد. ومـن أسـف أن غايـات الاعـلان عمليـة أكثـر منهـا علميـة،.. ويقـترح "رسـل" إجـراء التجربـة التاليـة للأغـراض العلميـة: افـرض أن نوعين من "الصابون": أ،ب قد صنعا وكان (أ) صنفـا ممتـازا، وكـان (ب) صنفـا رديئـاً، وافرض أن (أ) قد أعلـن عنـه بذكـر تركيبـه الكيميـائى وبشـهادة كبـار الكيمائيين، وأنّ (ب) قد أعلن عنه بمجرد القول بصور أجمل نجوم "هوليود".. فلو كان الإنسان حيوانا عاقلا، لبيع من (أ) أكثر مما يُباع من (ب) .. لكن هـل يظـن أحد حقا أن هذا هو ما سيحدث؟!

أدرك الساسة مزايا الاعلان تمام الإدراك كما نجد لـدى الحكومـة السـوفيتية سابقا ونظريتها الشيوعية .. وآمن "هتلر"بأن الدعاية وحدها كفيلة بأن تحرك الجبال وتحيل الأسود أبيض .. وهذا تقدير خاطئ لقيمة الدعاية كوسيلة من الوسـائل التـى تستخدمها الحكومات والأحزاب كسلاح من أسلحة الحرب والنزال.

ولذلك اكتسـبت كلمـة "الدعايـة" Propagnda معنـىً سيئا؛ نظـرا لأن بعـض الذين استخدموها كانوا ذوى غايـات مغرضـة، فـى حيـن أصبـح "الصـدق" مرتبطـا مصطلح "الإعلام" .. وهذا الصدق الإعلامى هـو الـذى دللـت التجـارب وحدهـا على صحته.

ولكـن كيـف يسـتطيع الإنسـان المعـاصر التمييز بيـن "التّحريـف" الدعـائى والإعلانى، وبين "الصّدق" الإعلامى؟! ولا سيما أنه محاصر بوسائل متعـددة قـد لا تستخدم كما يجب وقد يساء استخدامها، وقد يبالغ فى استخدامها كمـا يحـدث عندمـا تكون العواطف التى يراد استمالتها أقوى مما قدر موجهو الدعاية؟!

ـ يقدم لنا الأستاذ "روتشليس Hy ruchlis مقارنة بين صحيفتيـن؛ نعـرض لهـا فـى هـذا السـياق، تـأكيداً للوظيفـة "التعادليـة" فـى المقـال التحليلـى، حمايـة للإنسـان المعاصر من التضليل الدعائى والتحريف المقصود فى وسائل الاتصال بالجمـاهير. يقول: "فلنفحص الوسائل التى تستخدمها بعض هذه المصادر لتكويـن الـرأى العـام. لقد اخترنا للدراسة مـا نشـرته صحيفتـان تصـدران فـى مدينـة معينـة فـى الأسـبوع السابق لانتخاب رياسة الجمهورية فى الولايات المحدة عـام ١٩٦٠، وسـنرمز إلـى إحدى الصحيفتين بحرف (ك) لأنها كانت تؤيد كيندى، ونرمز إلى الصحيفة الثانيـة بالحرف (ن) لأنها كانت تؤيد "نيكسون". إن التحليل الدقيـق للصحيفتين قد أظهـر الفروق الآتية بينهما فى معاملة المرشحين:

خصصت الصحيفة (ك) مساحة كبيرة من صفحتها الأولى، والصفحتين الثانية والثالثة بكاملهما عن قرض قدمته شركة طيران لشقيق نيكسون، وبالرغم من أن الصحيفة (ك) لم تجد أية صلة بين هذا الموضوع وبين نيكسون نفسه، إلا أنها جعلت هذا الموضوع خبرها الأساسى لعدة أيام، ووضعت له عناوين كبيرة كهذه:

الكشف عن اتفاق لحماية المسئولين عن قرض "هيوز" - نيكسون"

(لاحظ أن هذا النبأ لا يشير إلى المرشح بل إلى شقيقه)

شريك نيكسون الرئيسى هو مستشار "هيوز"

مجلس النواب يبحث فى قرض "نيكسون"(لم يتحقق هذا تماما).

إن لدينا الحقائق عن المحسوبية بالنسبة "لهيوز"

وفى نفس الوقت لم تنشر الصحيفة (ن) كلمة واحدة عن القرض، ولكنها بدلا من ذلك نشرت صورا باسمة للرئيس "أيزنهاور" ونيكسون على الصفحة الأولى لمدة أربعة أيام خلال الأسبوع، وكانت العناوين الرئيسية كالآتى:

أيك (إيزنهاور) هنا

مؤتمر حافل لأيك ونيكسون

أيك ينضم إلى نيكسون فى زحف كبير اليوم

الحفاوة بأيك ونيكسون

ومن الناحية الأخرى تجد أن الصحيفة (ك) فى الأيام التى لم تنشر فيها فى صفحتها الأولى عنوانا رئيسيا يهاجم "نيكسون" بشأن القرض - قد نشرت عناوين مؤيدة "لكنيدى". وفى كل من الصحيفتين كانت المقالات فهى الأغلب فى صالح المرشح الذى تؤيده وضد منافسه وإن تكن بعض التى نشرت فيهما محايدة نسبيا، وحتى الأخبار الصغيرة بُولغ فى أهميتها، فمثلا نشرت الصحيفة (ك) مقالا عنوانه:

كان نثار الورق يقدم دون مقابل - ولكن من الذى دفع الثمن؟

ويظهر أن نثار الورق كان قد وزع دون مقابل على سكان المنازل الواقعة على جانبىْ الطريق الذى كان "نيكسون" وايزنهاور سيمران به، وقد خصص لهذه المسألة التافهة جزء كبير من فراغ الصحيفة.

وأما الجريدة (ن) فقد أجرت استفتاء خاصا من بيت إلى بيت فى كل أنحاء الولاية، وقد ضايقها ما ظهر لها من أن كفة "كندى" هى الراجحة. ولهذا فإن نبأ هذا الاستفتاء قد جرى تحويره للتخفيف من وطأته، فكان العنوان يوماً ما:

استفتاء اليوم فى إقليم "جوب" يدل على أن ثلاث مقاطعات تؤيد "نيكسون"

ألم يكن هذا طبيعيا ومنتظرا فى إقليم "جوب" الجمهورى؟

وفى مناسبة أخرى كانت الصحيفة (ك) بصدد استفتاء آخر جاء مؤيدا تأييدا كبيرا "لكيندى" فحورت الخبر إلى سباق متكافىء بين المرشحين بعنوان:

النتيجة ٣:٢ فى "نيوإنجلاند"

واتضح بعد القراءة الفاحصة للمقال أن الولايات الثلاث المؤيدة "لكيندى" تملك ٢٨ صوتا انتخابيا، أما الولايات الثلاث المؤيدة "لنيكسون" فلا تملك إلا ١٢ صوتا انتخابيا.

وكان العنوان الرئيسى فى يوم آخر: **مقاطعة لاوثن تؤيد كيندى، ولكن نيكسون يكتسح الولاية**، وقد اعتمد الجزء الأخير من هذا العنوان على أن نسبة الأصوات المؤيدة لكيندى قد انخفضت فى ذلك اليوم من ٢ر٦٥٪ الى ١ر٦٥٪ وهو انخفاض يكاد لا يؤبه له. وفى اليوم التالى ارتفعت نسبة "كيندى" الى أكثر من ٢ر٦٥٪ الأصلية، ولكن هذه الصحيفة لم تجد أن هذا الارتفاع جدير بالتفاتها.

وقد استغلت الصور فى كل من الصحيفتين بعدة وسائل، فنشرت الصحيفة (ك) صورا أكثر "لكيندى"، وهى دائما باسمة، وصوّرا قليلة "لنيكسون"؛ ولم يكن تعبير وجهه فيها مما يسر. وفعلت الصحيفة (ن) عكس هذا بالضبط.

أما عن "المقالات الرئيسية الافتتاحية "فيقول" روتشليس":

وفى الصفحة المخصصة للمقال الرئيسى أيّدت كل جريدة مرشحها وهاجمت منافسه، فمثلا هاجمت الصحيفة (ك) "نيكسون" لأنه لم يوافق على مناظرة خاصة بينه وبين منافسه فى التليفزيون، (رغم أنه سبق أن أجريت أربع مناظرات)، وسخرت الجريدة من نيكسون لتأييد "إيزنهاور" له وعرضت الموضوع بشكل يوحى أن "نيكسون" كالولد الصغير يتلقى العون من أبيه.

وفى نفس الوقت تساءلت الصحيفة (ن) عن مدى صلاحية "كيندى" لرياسة الجمهورية بالنظر الى مرضه، وطالبته بأن ينشر تقريرا طبيا بشأن إشاعة مؤداها أنه كان قد أصيب بمرض "آديسون" (مرض من أمراض فقر الدم). ولكى تظهر الجريدة بمظهر عدم التحيّز طالبت بتقرير مشابه عن حالة ساق نيكسون، وكانت قد حدثت لها إصابة خفيفة قبل ذلك ببضعة أسابيع. ونشرت الجريدة أقوالا طويلة لشخص مجهول تماما من أنصار"كيندى" السابقين بين فيها لماذا عدل عن تأييد "كيندى واتجه الى"نيكسون" وهاجمت الجريدة أنصار "كيندى" بمثل هذه العبارات:

إن "لكيندى" مجموعة ممتازة من الأصدقاء المقّربين، ولسنا نعنى بصفة خاصة فرانك سيناترا و(جماعة الفئران) فإن مثل هؤلاء الأصدقاء سيئو السمعة أكثر مما هم خطرون"

ترى ماذا كانت الجريدة تقول لو أن " سيناترا" كان مؤيدا "لنيكسون"؟!

وهناك مقال افتتاحى ذو أهمية خاصة يفهم منه أن مؤيدى "كيندى" يعملون على إيجاد حالة من الكساد حتى ينفض الناس عن "نيكسون" وحكومته. وهو مقال نخرج منه بدروس هامة متصلة بالتفكير.

"سارت الرسوم الهزلية فى كل من الصحيفتين على نفس النهج: فذات يوم نشرت الصحيفة (ك) صورة لرجل سمى (الولايات المتحدة) راقداً على الأرض بعد أن صدمته وداست عليه سيارة يقودها "إيزنهاور" و"نيكسون"، ويحاول "كيندى" الطبيب أن يعين ضحية الحادث على الوقوف فى حين ينظر كل من أيزنهاور "ونيكسون"غاضبين".

ومن الناحية الأخرى نشرت الصحيفة (ن) رسماً هزليا يمثل حمارا كتب عليه(التضخم السريع) يحمل على ظهره ثلاثة أشخاص يدلّ منظرهم على الغباء، وقد كتبت عليهم أسماء "كيندى" وبعض مؤيديه.

واضح من هذا كما يقول الأستاذ "رونشليس" أن كلا من الصحيفتين كانت تحوّر أنباءها وآراءها بشكل واضح تأييدا للمرشّح الذى تناصره، وهجوما علىالمرشّح الذى تعارضه.

أكان قراء الصحفيتين يدركون هذا التحيّز أو الانحراف؟ لاشكّ أن بعض القراء كانوا مدركين. وعندما تدافع صحيفة ما بقوة عن موضوع يعارضه عدد

كبير من القراء فهى تخاطر بـأن تخسر بعضـا منهم. وحين نتسـاءل عن أسباب القراءة الصحفية؛ نجد أن الناس يشترون الصحف لعدة أسباب: تشمل:

الاطـلاع علـى أخبـار الرياضـة والهزليـات والصـور والمقـالات وبرامـج التليفزيون وإعلانات المحال التجارية فضلا عن الأنباء. وأحيانا تكون الأنبـاء مـن أقل محتويات الصحيفة اجتذابا للقراء. ولهذا فإن عدد القراء الذى ينتظـر أن تفقده الجريدة لمعارضته لموقفها من مسألة معينة ليس بالكبير.

وليس لدى معظـم النـاس الوقت أو الميـل للقـراءة النـاقدة، أو المقارنـة بين الصحف المختلفة؛ كما فعل "رونشليس". ولهذا فـإن النـاس يميلـون إلـى أن يقبلـوا مايقرءون، ولهذا فإنه يحتمل أن تؤثر الصحيفـة فعـلا فـى النـاس فتجعلهـم يعطـون أصواتهم ويتصرفون ويفكرون كما يشاء لهم المحرر أو الناشر.

لماذا يقبل القـراء هـذا النـوع مـن التحريـر؟! إن الإجابـة تتلخـص فـى قـول "رونشليس" : لاشك أنك توافقنى على أنه إذا اعترض القـراء بشـدة علـى مثـل هـذا التحرير فإن الصحيفة تقلع عنه أو على الأقل لا تفعله بشـكل ظـاهر، ولكـن الواقـع أن الكثير من الناس يعتادونـه، حتـى أنـه يصبـح شيئا مألوفـا لديهـم كـالهواء الـذى يستنشقونه، وأما غيرهم فإنهم لا يدركون قط أن هناك أى تحوير.

ويحدث مثل هـذا التحويـر أو التحيـز فـى كـل خطبـة أو مقـال تقريبـا بشـأن موضـوع يختلف عليه الناس، ولايمكن تجنّب هذا التحيز،لأن النـاس بطبيعـة الحـال سيؤيدون ما يعتقدون أنه خطأ. ولا تزال الشقة بعيدة بيننا وبيـن عـالم يستطيع كلّ إنسان فيه أن يفحص جميع الجوانب لمسألة معينـة ويصـل إلـى نتـائج موضـوعيـة، ويصل كل شخص إلى الحكم على النتائج على أساس اهتماماته وقيمه ومعتقداتـه.. فالرجل الذى يدخـن ولا يملـك سيارة سيغضبه فـى الغـالب فـرض ضرائـب علـى "السجائر" وسيؤيد زيادتها على "البـنزين". والسـيدة التـى تقطـن مـنزلا تقـرر هدمـه لشق طريق اشتدت الحاجة إليه، ستعارض هذا الاجراء بشدة، وستجد أسبابا مقنعـة لأن يخترق الطريق حياً آخر بدلاً من الحى الذى تقطنه. فى حين ترى سيدة أخرى تعيش على بعد ميل واحد من السيدة الأولى أنه شئ عظيم جدا أن يُشَـقّ فـى وسـط المدينة طريقُ مستقيم.. ووالد لثلاثة أطفال فى سن الالتحاق بالمدارس سيؤيد بشـدة إنفاق المزيد من المال على المدارس، فـى حين يحتمـل أن يعـارض الأعـزب فـى فرض ضرائب جديدة لهذا الغرض.

والمفروض فى الدول الديمقراطية أن تحاول الجماعات المختلفة من السكان أن تصل لحلول سلمية لما بينها من منازعات عن طريق المناقشة، وآخر الأمر عن طريق التصويت لانتخاب ممثلين ينفذون إرادتهم .. ولهذا فإنه من الضرورى لكلّ مواطن أن يكون يقظا متنبها إلى الأساليب التى تقدم بها المعلومات بحيث تشكل وجهة نظره وتؤثر فيها.

فما هى هذه الأساليب التى تتخذ للتأثير فى الرأى العام؟

إن أهم هذه الأساليب، ذلك الأسلوب الذى يعتمد على الحقائق الناقصة، تطلق "رونتشليس" عليه تسمية مأخوذة من لعبة الورق وهى: (توضيب الورق للغش به) Card-Stacking، فالمقامر يحتال ليكسب بأن يرتب مقدما أوراق اللعب التى فى صالحه بحيث تكون أوراقه فى دور ما جيدة جدا وفى دور آخر رديئة جدا، وعندئذ نقول: إن أوراق اللعب كانت (مرضية).

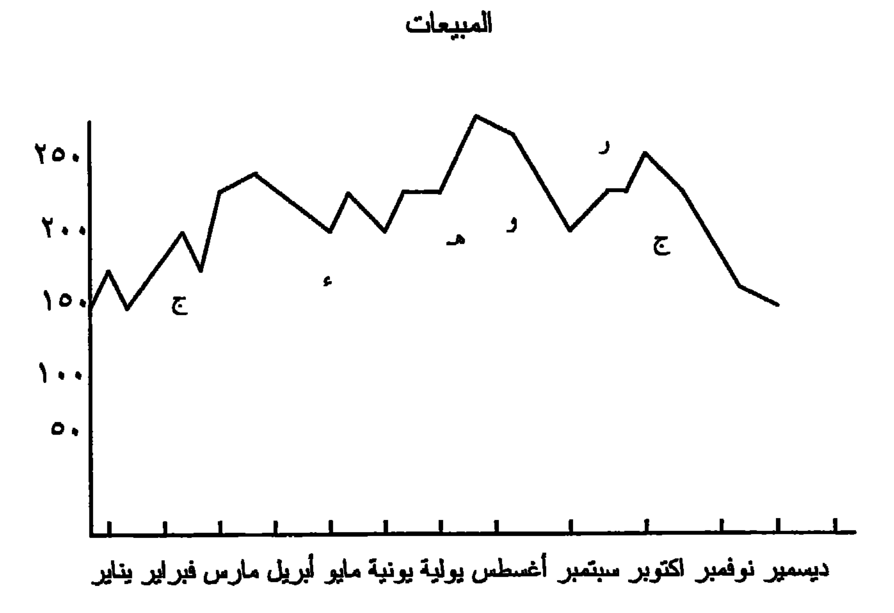
"ويمكنك أن تتصور المسألة بالشكل الآتى:

لنفرض أنك تريد أن تثبت لشخص ما لم ير أوراق اللعب فى حياته أن الشدّة (مجموعة أوراق اللعب) تتكون من الآسات والباشات (الشياب) والبنات والأولاد دون غيرها، يمكنك بسهولة أن (تثبت) له ذلك بأن ترتب عدة شدّات من أوراق اللعب تحوى هذه الأوراق دون غيرها وتريها له، وبالطبع إذا كان هذا الشخص الذى تحاول خداعه يعرف الحقائق الناقصة، ويعرف أن أوراق اللعب (مُوضبّة) فإنه لن يقتنع بكلامك بتاتا، بل لعله يغضب أشد الغضب لمحاولتك خداعه.

والواقع أن طريقة "توضيب الورق" هى أسلوب يرغم به الشخص ضحاياه على التسرّع فى الاستنتاج، لأن هناك حقائق أساسية أخفيت عنهم، وكثيرا ما يكون الإخفاء غير مقصود، ولكنه يكون مقصودا فى حالات أخرى.

ولقد رأينا كيف استخدم هذا الأسلوب بواسطة الصحيفتين (ك) و(ن) أثناء معركة انتخاب رئيس الولايات المتحدة، فكلٌّ منهما نشرت قدرا كبيرا من الأنباء التى فى صالح مرشحها، وقدرا كبيرا من الأنباء التى ليست فى صالح منافسه، كما أن مثل هذه الأنباء نشرت فى أماكن بارزة فى كل صحيفة.

وعندما تستغل هذه الطريقة إلى أبعد حدودها، تستطيع الصحف المختلفة أن تصل بقرائها إلى نتائج متعارضة تماما على أساس معلومات حقيقية ولكنها ناقصة. فمثلا فى الشكل التالى رسم بيانى عن النشاط التجارى فى سنة ما، لكى"يثبت" أن



الأحوال المالية فى تقدم، قدم الحقائق أثناء الفترات ج،هـ، ز فقط، ولكى "يثبت" أن الأحوال فى هبوط قدم الحقائق فى أثناء الفترات د،و،ح دون غيرها.

فالصحيفة (أ) تريد أن تسئ الى سمعة الإدارة الحكومية، ولهذا ففى كل مرة يقل فيها النشاط التجارى فى (د، هـ، ز) تطبع هذه المعلومات وتنشر فى مكان بارز تحت عنوان كبير فى هجوم على الحكومة، ومن الناحية الأخرى نجد أن الصحيفة (ب) المؤيدة للحكومة لاتنشر أخبارا عن النشاط التجارى إلا فى الفترات (ج،هـ،و). وهكذا "تثبت" إحدى الصحيفتين أن النشاط التجارى يتحسن، و"تثبت" الأخرى أنه يزداد سوءا!! والواقع فعلا أن النشاط التجارى قد يكون فى تحسّن، أو قد يكون سائراً إلى الأسوأ، وقد يكون ثابتاً على ما هو عليه، ولكى نحصل على صورة حقيقية لابد من فحص الموقف كلّه خلال فترة من الزمن.

وتستطيع كل من الصحيفتين أن تدّعى أنها لم تنشر إلا الحقائق. ومع ذلك فإن القراء يصلون إلى نتائج متعارضة تماما، فبغير معرفة الحقائق الناقصة يظلّ القراء عاجزين عن إصدار أحكام سليمة، ولهذا فقد نسمع جارين متوادّين يتناقشان بحدّة وعنف فى الحقائق، ويظن كلّ منهما أن الآخر إنسان أحمق.

وتلعب العناوين دورا على جانب كبير من الأهمية فى هذه العملية، فالمفروض أن العنوان يلخّص قصة الخبر، ويبين للقارئ هل الخبر يتصل بموضوع يهمه أم لا..؟ فما الذى يجب على كاتب العناوين أن يختاره ويبرزه من المقال؟ إن آراءه الخاصة وآراء المحرّر والناشر تدخل مباشرة فى الصورة، فهم سيختارون ما يعتقدون أنه صحيح، وأنه على جانب كبير من الأهمية.

فمثلا إليك خبرا مختلفاً .. ما هي العناوين التى يمكن أن توضع له؟

"نوقش فى قاعة مجلس المدينة أمس الاقتراح المقدم من العمدة" بوتر بشأن بناء المدرسة الجديدة.

وقد هاجم "فرانك كارتر" رئيس جمعية سكان شارع "سنيكا" هذا الاقتراح هجوما عنيفا لأن فيه إهداراً لحقوق نحو مائة ساكن ستهدم مساكنهم لإفساح مكان للمدرسة، وأعلن أن هناك أرضا فضاء واسعة فى الطرف الشرقى من المدينة، وأن تكاليف بناء المدرسة على هذه الأرض الفضاء أقلّ بكثير ولن يفقد أحد بيته، وقال إنه لمن العار أن يتقدم العمدة بهذا الاقتراح.

وتبعته "مسز آمى شنايدر رئيس جمعية معلمات المدارس الابتدائية فقالت: إن المستر كارتر يعلم جيدا أن أطفالنا لا يمكنهم أن يمشوا ميلين كلّ يوم للوصول إلى الطرف الشرقى من المدينة، وتساءلت عما إذا كان مستعدا أن يدفع أجور السيارات التى ستلزم لنقل ستمائة طفل كل يوم وختمت أقوالها بأن قالت: إن هذا اقتراح سخيف"

وإليك الآن بعض العناوين التى يمكن أن توضع لهذا الخبر البسيط.

- **الهجوم على اقتراح العمدة باعتبارة اقتراحا مخجلا.**
- **"كارتر" يوصف بالسخف.**
- **مائة ساكن ينقلون من مساكنهم.**

- اقتراح بناء مدرسة جديدة لستمائة طفل.
- "كارتر" يقترح أن يمشى صغار الأطفال ميلين.
- "شنايدر" يهاجم "كارتر".
- هجوم على العمدة.
- مناقشة اقتراح بناء مدرسة.

إن العنوان الأخير (مناقشة اقتراح بناء مدرسة) عنوان موضوعى تماما يستحق مزيدا من الاهتمام: فكم من الناس ـ فيما عدا أولئك الذين يهتمون اهتماما خاصا بالمدارس ـ سيدعوهم هذا العنوان إلى قراءة الخبر؟ إن العنوان خال تماما من عنصر التشويق مما سيدفع الكثير من القراء إلى إغفال الخبر ليقرأوا شيئا أكثر تشويقا. وهكذا نجد أن إحدى الوسائل التى تلجأ إليها الصحف لتدفن الخبر هى أن تعطيه عنوانا مملا جافا بحيث لا يقرؤه إلا القليلون من الناس.

ويذكر"روتشليس" وسائل أخرى" لتوضيب الأوراق" ـ على حد تعبيره ـ: فمثلا يستطيع محرر الجريدة أن يعهد إلى أحسن كتّابه بأن يعالج قصة خبر يريد أن يبرزه، وأن يكلف محررا ناشئا قليل الخبرة بأن يعالج وجهة النظر المعارضة. وهكذا، حتى لنقول مع"روتشليس" إن معظم الناس، بما فيهم الكتاب والمحررون ومعلقو الإذاعة وغيرهم ممن يشكلون الرأى العام، كثيرا ما يجهلون أنهم يمارسون هذه العملية ـ عملية التوضيب. إن لهم آراءهم الخاصة التى يعتقدون فى صوابها، وهم كغيرهم من الناس يميلون للاعتقاد أنهم يعرفون الحقائق، وأن معارضيهم لا يعرفون. والنتيجة أنهم حتى لو حاولوا أن يكونوا منصفين فإنهم يميلون ميلا شديدا إلى الكتابة والتعليق على الحقائق كما يرونها، وأن يتغاضوا عن الأنباء المحبّذة لآرائهم، إذ يعتقدون أنها متحيزة ولا يمكن الاعتماد عليها.

ولا يدرك الناس عادة "عملية التوضيب" هذه حتى عندما يتأثرون بها أشد التأثير، فلكل شخص مجموعة محددة من الخبرات فى البيئة الخاصة التى يشب فيها، وهو يحمل هذه المجموعة من الخبرات معه أينما ذهب، ويعيش كل شخص وكل شئ على أساس هذه الخبرات الماضية. ولهذا فإن كل إنسان يقوم بهذه العملية ـ "عملية التوضيب" ـ فى عقله.

وهكذا يلعب القارئ (أو المستمع) دورا فى عملية "التوضيب"، فهو يختار ما يعتقد أن قراءته هامة، أى الأشياء التى يهتم بها، ويهمل الباقى، ونتيجة لما يحدث

فى عقول الكتاب والقراء والمحاضرين والمستمعين من انتقاء واستبعاد؛ تنمو أفكار معينة وتكون لنفسها جذورا ثابتة، وتميل هذه الأفكار فيما بعد إلى تثبيت نفسها بأن تقرر ما يختار للقراءة من الأخبار وغيرها من المواد المكتوبة، وهكذا تقوى باستمرار تلك الأفكار المألوفة لنا والتى نميل إليها ونرفض الأفكار التى نكرهها أوالأفكار التى ليست مألوفة لنا. وهكذا قد يشب شعب بأسره معتنقا أفكارا مشوهة، تشويها كبيرا عن غيره من الشعوب وعن الأحداث البعيدة.

ويحدث نفس الشئ عندما يتحدث الناس عن أقاربهم ومدارسهم وأصدقائهم والمدينة التى يعيشون فيها والحزب السياسى الذى ينتمون إليه أو أى مظهر آخر من مظاهر حياتهم.

ومن الأساليب الشائعة "لتوضيب الورق" التى يقدمها رونتشليس: اقتباس عبارة وانتزاعها من السياق الذى وردت فيه، تأمل هذه المقتطفات من تعليق على أحد الأفلام :

"تقول مجلة (ترند) إن هذا الفيلم "رائع" و"إن فيه من المواهب مايساوى ملايين الدولارات... أحداثه واقعية بشكل ممتاز... تصويره بلغ القمة... مناظره رائعة"

ويؤخذ من هذا أن مجلة (ترند) قد علقت على هذا الفيلم تعليقا يفيض بالإعجاب والحماسة، ولكن لعل ما ذكرته المجلة هوالآتى:

"إن هذا الفيلم رائع، إذ أنه يوضح لنا كيف تستطيع "هوليود" أن تجمع من المواهب ما يساوى ملايين الدولارات، وأن تخلق أحداثا واقعية بشكل ممتاز وأن تستخدم مصورين بلغوا القمة ليصوروا مناظر رائعة ثم تضيع كل هذا فى قصة تافهة هزيلة، حتى لقد اضطررنا إلى مغادرة السينما فى وسط العرض".

إن العبارات التى انتزعت من سياقها تترك أثرا مضادا على طول الخط للأثر الذى قصد إليه كاتب التعليق، ومع هذا فإن الشخص الذى انتقى هذه العبارات يستطيع أن يدعى أنه لم يفعل شيئا سوى أنه اقتبس ما ورد فى التعليق، فهو لم يأت بأية كلمة أوعبارة من عنده.

إن هذه الطريقة هى أساسا أحد أساليب "التوضيب". لأن منتقى المقتطفات لا يختار من الألفاظ والعبارات إلا ما يلائم غرضه، ويستبعد تلك الألفاظ والعبارات التى لا تساعد على تحقيقه.

وفى المثال السابق نلاحظ أن المفردات والعبارات قد انتزعت من سياقها لتكوين الأثر الزائف المطلوب. ويحدث أحيانا أن تقتبس جمل كاملة أو فقرات، بل فصول كاملة لتترك آثارا تختلف تماما عما قصد منها.. تأمل على سبيل المثال العبارة الآتية التى ذكرت فى مناسبة انتخاب عمدة لإحدى المدن:

"بعد أن استعرض" وليام س. بفورد" مدير كلية "كاتالبا" مؤهلات المرشحين لمنصب العمدة قال: أعتقد أن "هود كنز" رجل أمين، وأنه مملوء غيرة على ما فيه صالح المدينة."

" ونحن نوافق على هذا، ولهذا فإننا ندعوك إلى أن تعطى صوتك الى "هودكنز" عندما تدخل قاعة الانتخابات غدا".

ويخيل إلى الانسان أن ماذكره "بفورد" يؤيد تماما انتخاب "هود كنز"، ورغم هذا فربما كان "بفورد" قد قال:

"أعتقد أن "هودكنز" رجل أمين وأنه مملوء غيرة على مافيه صالح المدينة، وإن مدينتنا لفى حاجة إلى هذه الصفات فيمن يتولى عمديتها. ولكنها تحتاج أيضا إلى رجل بعيد النظر واسع الخيال يملك الشجاعة الكافية للدفاع عن الأفكار الجديدة. وبغير ذلك فسيستمر هروب المصانع من مدينتنا وستزداد أحياؤنا الفقيرة اتساعا ويتطرق الفساد إلى مدارسنا. وإني أعتقد أن "كريتون، يملك هذه الصفات ولهذا فإننى، أوصى إخوانى.. المواطنين بأن ينتخبوه عمدة".

ويخلص "روتشليس" من هذا المثال إلى القول بأن أولئك الذين يتصفون بالموضوعية وعدم التحيز؛ هم أكثر الناس تعرضا لأن يكونوا ضحايا مثل هذا الاقتباس المنتزع من سياقه.، ذلك أنهم يميلون إلى أن يفحصوا وجهىْ المسألة، وأن يعلقوا تعليقا محبذا لبعض نواحى وجهة النظر التى قد يعارضونها فى جملتها، وعندئذ يكون من أبسط الأمور على منافسيهم أن ينتزعوا تلك العبارات المحبذة من

السياق الذى وردت فيه. أما إذا لم يذكر شئ محبّذ بصدد الآراء المعترض عليها فإن الاقتباس يكون عندئذ عسيرا أو مستحيلا بغير تغيير الألفاظ. وبعبارة أخرى فإن الشخص الذى يتوقع أن يقوم الآخرون بالاقتباس منه اقتباسا منتزعا من السياق قد يضطر اضطرارا إلى "توضيب" عباراته. وهذا يفسر ما نلحظه من تحيز واضح فى معظم الخطب التى تلقى أثناء المعارك السياسية.

ومما يساعد فى تجنب آثار هذه الوسيلة أن نتخذ موقف الناقد المدقق إزاء الاقتباسات بصفة عامة، فيجب ألا ينظر إليها باعتبارها ممثلة تماما لما قاله الشخص المنقولة عنه، كما يجب أن يتذكر القارئ دائما أن العبارة المقتبسة ربما كانت قد انتزعت انتزاعا عن السياق، وأن الأصل الذى انتزعت منه قد يكون مختلفا عن العبارة المقتبسة اختلافا كبيرا، بل قد يكون مخالفا لها تماما.

وربما كان من المتعذر على الناس أن يتجنبوا هذه العملية(عملية التوضيب) تجنبا كاملا، ولكن يمكن التقليل من أثرها فى تفكيرنا إلى حد كبير إذا فهمها الناس وأدركوا كيف يحدث أثرها، كيف يستطيع الإنسان العادى أن يقلل من أثر هذه العملية؟ يجب عليه أولا أن يدرك أنها صفة تلازم ـ إلى حدما ـ معظم الناس، ومعظم الصحف والمعلقين ومصادر الأنباء، ولكن بعض مصادر الأنباء تسرف فى استخدام هذه الوسيلة،على حين يبذل بعضها الآخر جهدا ليكون نزيها محايدا. ثم يقول "اروتشليس": وعندما تقرأ صحيفة لاحظ ما إذا كانت الصحيفة تعرض الآراء المتعارضة حتى يستطيع القارئ أن يصدر أحكاما أقرب إلى الصواب، إن بعض الصحف تنشر مقالات وخطبا لأناس يعتنقون آراء متباينة فى الموضوع الواحد، وبعضها الآخر لا ينشر من المقالات إلا ما يؤيد آراء رئيس التحرير، لاحظ أيضا هل تكتب المقالات بشكل موضوعى يقدم الحقائق أم أنها تصاغ بأسلوب صحفى خاص يقصد منه التأثير فى تفكير القراء؟ ومن الواضح أنه من الصعوبة بمكان أن تحدد مقدار الموضوعية فى صحيفة ما.. ولكن بعض الجهد يجب أن يبذل فى هذا السبيل.

ومن المهم أن نقرأ وأن نستمع إلى عدة مصادر مختلفة للأنباء، وبهذه الطريقة يمكننا أن نحصل على الحقائق الأساسية الناقصة المتصلة بالنواحى المختلفة لموضوع ما.

ويجب أن يحتفظ الإنسان بعقله مفتوحا حتى يمكنه أن يتأمل الحقائق من كلا الجانبين. فليس مما يعيننا فى الوصول إلى أحكام أن ننظر إلى وجهتى نظر

متعارضتين بعد أن نكون قد كونا رأينا من قبل، فإن من يفعل ذلك سيوافق على ما يعتقد فيه ويرفض ما سبق له أن قرر خطأه أو فساده. إن عالمنا الحديث معقد أشد التعقيد، وإن أفكار الناس عن العالم والأحداث التى تقع فيه ناقصة جدا، وتطرأ التغيرات بسرعة كبيرة. ولهذا فقد يحدث أن الأفكار التى كانت مكروهة من الناس منذ بضع عشرات من السنين تصبح مقبولة بل ضرورية اليوم. كما أن الآراء التى كان يظن فيما مضى أنها صالحة للتطبيق فى كل العصور قد يثبت عدم صلاحيتها للتطبيق اليوم"

المقال التحليلى والذَّريَّة المنطقية:

يذهب علماء الإعلام إلى أن المضمون الإخبارى لوسائل الإعلام قد يكون له تأثير أكبر فى الرأى العام من الإقناع الصريح، بمعنى أن الأخبار قد تكون ذات قوة أكبر فى تشكيل الاتجاهات العامة من المقالات الصحفية والأعمدة السياسية. والأخبار تسجل الأحداث. وقد تغير الأحداث التى تقدمها الصحيفة عقولا أكثر مما تغيره الدعاية. ويقدم "هو دلى كانتريل" فى كتابه "قياس الرأى العام" قاعدة تقول: "إن الرأى يتحدد عموما بالأحداث أكثر مما يتحدد بالكلمات، مالم تفسر هذه الكلمات ذاتها على أنها حدث. وبالإضافة إلى ذلك، تنزع الأحداث إلى ترسيخ تغيرات الرأى العام الناتجة عن الكلمات. وقد يكون التغير فى الرأى قصير العمر، ما لم تسانده بعض الأحداث. ولكن "برنارد بيرلسون" يذهب الى أن هذه القواعد العامة تستدعى تعليقين: أولهما أنه يكون من الصعب التمييز بين الأحداث والكلمات .. فهل الخطاب الهام الذى يقدمه رئيس الجمهورية حدث أم مجرد كلمات؟ وثانيهما أن كثيرا من الأحداث لا تحدث تأثيرها نتيجة حدوثها فحسب، وإنما بمعاونة من الكلمات أيضا، أى أن أهمية الحدث فى إقناع الجمهور قد تُشحذ كثيرا من خلال التفسيرات التى يقدمها معلقو التليفزيون، وكُتّاب الافتتاحيات والأعمدة السياسية. وإذا استعرنا تعبير "الذَّريَّة المنطقية" من"برتراند رسل" فإننا سوف نصل إلى تحديد العلاقة بين "الحَدَث" و"الكلمات" فى المقال التحليلى، الذى يقوم على تقسيم الشىء إلى أجزاء، بهدف الوصول إلى معرفة عنه أفضل. ومن هنا فإن المقال التحليلى يستهدف الوصول إلى أقل عدد ممكن من الفروض، من أجل تفسير الحقيقة فى

خطوطها العريضة، الوصول إلى أقل عدد ممكن من الأفكار الأولية البسيطة من أجل الاستعانة بها فى فهم شتى الأفكار المركبة المعقدة.. فالمقال التحليلى - تأسيسا على نظرية الأوصاف عند رسل - ينظر إلى "الأحداث" على أنها "وقائع ذرّية Atomic facts" . والواقعة الذرّية إنما تتكون من جزىء منعوت بصفة ما من الصفات (كأن نقول مثلا: هذا أبيض)، أو من جزئين(أو أكثر) تجمع بينهما علاقة ما من العلاقات (كأن نقول مثلا: أ أكبر من ب، أو أ تقع بين ب، جـ ولكن ما الذى نعنيه بكلمة "جزىء" فى المقال التحليلى؟!.

إن الوقائع الذرية - عند رسل - مركبة، من حيث أنها مكونة من "جزيئات" وصفات أوعلاقات .. ولكن لهذه الوقائع - على الأقل - بساطة نسبية، من حيث أنها تمثل الحد الذى تتوقف عنده "عملية التحليل، هذا إلى أن بساطة تلك الوقائع تتجلى فى "الصورة" أو " الشكل" الذى تتمثل على نحوه فى اللغة المثالية المستخدمة فى المنطق الرياضى. ودليل ذلك أننا لو جعلنا الأحرف: أ، ب، جـ.. تقوم مقام الجزيئات، ولو جعلنا الأحرف: س، ص، ع.. تقوم مقام الصفات والعلاقات، لكان فى استطاعتنا أن نعبر عن العبارات الثلاث الآتية:

١- هذا أبيض.

٢- أ أكبر من ب.

٣- ب بين جـ ، ود

على النحو التالى:

١- س (أ) ٢' - ص (أ ب)٣' - ع (ب جـ د) . الخ....

ومثل هذه الصيغ تمثل القضايا الذرية المستخدمة فى منطقنا، بمعنى أنها قضايا لا تشتمل على قضايا أخرى تدخل فى تركيبها. وعلى العكس من ذلك، نجد أن هناك قضايا أخرى يمكن تسميتها باسم القضايا الجزيئية، وهذه تتركب من القضايا الذّرية عن طريق ألفاظ الرّبط المنطقى: "ليس"، وحرف العطف "و"، "أو"، "إذا".

وليس من شك فى أن منهج "رسل" فى البنايات المنطقية Logical constructiosn، ونظريته فى الأوصاف Descriptions إنما هما "فى الواقع مجرد محاولتين لتطبيق التحليل المنطقى على بعض المشكلات الفلسفية الهامة"[1].

---

(١) د. زكريا ابراهيم / السابق، ص ٢٤٠

ويمتد تأثير هاتين المحاولتين إلى المقال التحليلي، حين يرتبط بحدث جديد تجذب حيويته أذهان الناس وانتباههم، أي "بالحدث الحي"إن جاز هذا التعبير، بالقياس إلى الناس أو بالقياس إلى الكاتب نفسه، حين لا يجد بدا من لفت انتباه الناس إليه .. ولهذا فإن "التحليل الصحفي" يتعين عليه أن يلبيّ رغبة ما، لدى القارئ سواء أدرك هذه الرغبة بنفسه أو كانت هناك مصلحة ـ قد لا يتبينها القارئ ـ لتبصيره بها.

وبالقياس إلى الدكتور طه حسين مثلا فقد وجدنا أن التحليل الصحفي والتحليل الثقافي الذى تحدثنا عنه في "العمود الثقافي[1] يصدران عن رؤية وظيفية واحدة، تجعل من المقال همزة الوصل بين العمل الغامض أو الصعب، وبين القارئ.. متوسلا في ذلك بكفايات عديدة جعلت منه مبسطا بارعا، إلى جانب اطلاعه المتجدد على عديد من الموضوعات التي تؤكّد التحليل الصحفي كالتاريخ والعلوم السياسية وعلم الاجتماع وعلم النفس.. كما أنه متجدد الاطلاع على الصحف المعبّرة بالفرنسية في مصر وأوربا، إلى جانب الصحف العربية.. وهذا النوع من الاطلاع يصدر عن عقلية ناقدة تتيح له استخدام أخبارها وتحليل اتجاهاتها من خلال تقويم صحفي يقوم على إدراك العلاقات واستخراج التعميمات منها. والدلائل على مقدرته هذه في مقالاته الصحفية، أكثر من أن تحصى. ولكن إذا كانت القدرة على التنبؤ هي مقياس التحليل الجيد، فمن الجدير بالملاحظة أن المقال التحليلي قد تنبأ بأحداث سياسية عدة، وأحداث اجتماعية عديدة، قُدّر لها أن تتحقق. وإذا كان المقال التحليلي يصدر عن الوظيفة التفسيرية فإن هذه الوظيفة من أهم وظائف الفن الصحفي لأنها تدور حول التفسير، وإلقاء الضوء على الأنباء، وبيان آثار الأحداث في حياة الناس. الأمر يقتضي توظيف الفن الصحفي، وهضم المسائل العويصة، وسبر أغوارها بحيث يستطيع كاتب المقال التحليلي أن يتحدث عن أعظم الحقائق في أبسط الألفاظ.

من هنا يمكن القول إن "**التحليل الصحفي**" عنصر مُكمّل "للنبأ" بمعنى أنه "يثريه" ويكسب مدلوله دلالات أوسع، ويقربه للقارىء ولاهتماماته. بل قد يثير لديه اهتمامات جديدة توسع أفقه بما يجذب انتباهه، وما يمتد إليه فضوله. على أن التحليل الصحفي يضيف **كذلك عنصر"الرأي" إلى" عنصر الخبر"** ويكسب فهمه للحدث عمقا، كما يتيح فرصة تصور معانٍ للحدث من أكثر من زاوية، وانطلاقا من أكثر من رؤية.

---

(١) د. عبد العزيز شرف: فن المقال الصحفي في أدب طه حسين، هيئة الكتاب، القاهرة.

و"التحليل الصحفى" يضيف إلى هذين العنصرين عنصـرا ثالثـا مستفادا مـن رؤية كاتبه النقدية. ونعنى بهذا العنصر عنصر "التقويم" الذى لا يقتصـر فقـط علـى مجرد نقل النبأ وعرضه، أو إبداء الرأى فيه، ولكنه "يقوّم" الـرأى و"يقـوّم" النبـأ مـن خلال رؤيته الصحفية والفكرية لموضوع المقال.

أولا: "توقيت" المقال التحليلى:

ويبين مما تقدم أن عـامل التوقيـت أو الجدّة الزمنيـة، يقضـى علـى التحليـل الصحفى أن يقوم على نبأ جديد، يفضل أن يكون هذا النبأ منشـورا فـى نفس العـدد الذى يقدم فيه التحليل[1].

على أن هذه القاعدة تتضمن بعض الاستثناءات، منها، أن التحليل فى بعـض الأحيان يتعين عليه أن يسبق حدوث الحالـة الخبريـة، وأن يـتركز أو ينطـوى علـى عناصر توقّع، متعرضا بالدراسة للاحتمالات المنتظرة.

ومن ذلك ما كتبه طه حسين بعنوان: "غيوم"[2] يقول فى هذا المقال:

"يظهر أن فى جو السياسة المصرية الخارجية غيومـا، لعلهـا خفيفـة رقيقـة ليس وراءها شيء، ولعلها ثقيلة صفيقة وراءها أشياء، ولعل الأيام المقبلة تكشـف عما تحجب هذه الغيوم من خير أو شر، ولكن الشيء الذى لا شك فيه، هو أن من الواجب العناية بهذه الغيوم وتتبعها فى دقة وفطنـة، ومـن الواجـب أيضـا أن يجدَ المصريون فى أن يقفوا منها موقف الصراحة التى لا تحتمل شكا ولا تأويلا، ومـا الذى يمنعهم من ذلك وآمـالهم ومثلهـم العليـا فـى حيـاتهم الداخليـة وفـى علاقـاتهم الخارجية واضحة كـل الوضـوح، جليـة كـل الجـلاء، ووسـائلهم إلـى تحقيـق هـذه الآمال والوصول إلى هذه المثل العليا لا غموض فيها ولا إبهام الخ...

---

(١) جلال الدين الحمامصى: الصحيفة المثالية، القاهرة ، ص ٢٥٩.

(٢) كوكب الشرق فى ٢٨ مارس ١٩٣٣

ومن ذلك يبين أن التحليل يقوم على عناصر توقُّع. وهو لذلـك يحـاكم الأمـر من جميع وجوهه، واقفا تجاه الموقف السياسى الذى يتناوله فى صُلْب المقال موقف الباحث المتشكّك. الأمر الـذى يكشـف عن عنـاصر توقُـع، تزرع الشكّ فـى عقـل القارئ، كما يبين من خاتمة هذا المقال: "كلّ هـذه مسـائل يخـوض فيهـا النـاس مـن المصريين والأجانب فتثير فى نفوسهم شكوكا وريبا وتخلق جوا رديئا قوامـه سـوء الظنّ وفساد الرأى وضعف التعاون الذى يجب أن يكون بيـن الذيـن يعيشـون علـى ضفاف النيل من المصريين والأجانب، كلّ يرتاب بصاحبه كل يخاف من صاحبه".

علـى أن المقـال التحليلـى حين يسبق وقـوع النبأ، يتوسل بهـذا الأسـلوب الاستقرائى الذى يضمن سلامة التحليل، ويسلك طريق العقل والمنطـق والمحاكمـة، وهى سبل العالم المحقق التـى يتمـيز بهـا فـى دراسـاته العمليـة، وهـى السـبل التـى يتوسل بها لكى يشعر القـارئ بأهميـة التحليـل مـن جهـة ولكـى يواجـه المقتضيـات الحزبية والسياسية من جهة أخرى لما تفرضه من تحيز مسبق، وبحيث يبدو المقال التحليلى فى نهاية الأمر متخذا شكل الدراسة للاحتمالات المنتظرة والمتوقعة.

ولعل من أسباب التجاء الكاتب المقالى إلى هذا الأسلوب فى التحليـل، اتجَـاه بعض الحكومات الى الصمت، وعدم إصدار برامج سياسية واضحـة، الأمـر الـذى يجعل من هذا الأسلوب أسلوبا محتّم الاستعمال فـى التحليـل، لمـا يتيحـه مـن توقّـع ومناقشة. وتكشف التساؤلات التى يطرحها المقال التحليلى عن ضرورة اللجوء إلى هذا الاسلوب الاسـتقرائى التشـككى فـى التحليـل، ذلـك أن النبأ الـذى يقـوم بتحليلـه يقتضى من الكاتب أن يستقرئ وأن يضيف إلى النبأ البيانات الخلفية التى لا يعرفها القارئ، والتى لا تكتمل الصورة الخبرية إلا بتسجيلها. ولذلـك يتوقـف الكـاتب عند كلّ معنى تغلفه علامـة تسـاؤل، ليقدم للقـارئ الإجابـة التـى تنسـاب ضمـن المقـال التحليلى، فيحس القارئ بعد انتهائه من قراءة المقال أنه فهم كل شـئ. نجـد تطبيـق ذلك فى المقال التحليلى الذى يكتبه الاستاذ إبراهيم نافع فى (الأهرام) يقول فـى أحـد مقالات "بهدوء" تحت عنوان: "عرفات ورابين..والسير فوق الأشواك" :

"بداية أقول إننى ممن يرون أن اجتماع إسحق رابين رئيس الوزراء الإسرائيلى والرئيس الفلسطيني ياسر عرفات الأخير فى القاهرة لم يفشل لكنه أيضا لم ينجح وإنما ترك مساحة للأمل فى النجاح إذا أحسن الطرفان الاستعداد للقاء الجديد، وجاء كل منهما إليه بإصرار أكبر على حسم موضوعات الخلاف مدركا أن أى تأجيل جديد لخطوات التنفيذ.. للاتفاق الإسرائيلى الفلسطينى "غزة"، أريحا أولا" سوف يصيب المنطقة العربية كلها بالإحباط ويزيد من مشاكلها.

"هذه مقدمة لابد منها قبل الحديث عن آفاق الاتفاق الفلسطينى الإسرائيلى وما يحمله الغد له من احتمالات وتوقعات.

وفى تقديرى فإن مداخل تنفيذ بنود هذا الاتفاق وإقامة السلطة الوطنية الفلسطينية فى غزة وأريحا يجب أن تنبع أساسا من روح الاتفاق يدعمها حسن نية الطرفين ورغبتهما المشتركة فى التعايش السلمى بين شعبيهما، وبغير روح الاتفاق وشرط حسن النية لأن يتحقق الكثير ولن يؤتى هذا الاتفاق ثماره المرجوة.

"والطرف الذى يملك أكثر من الآخر أن يقدم الدليل على إيمانه بروح الاتفاق وحسن نيته هو الطرف الإسرائيلى لأنه يمثل دولة لها قوتها العسكرية عالية الكفاءة، ولها أيضا حساباتها الدقيقة التى تتحسس مواقع خطاها قبل الإقدام.

"فاذا كانت إسرائيل قد حددت من قبل مواعيد تسليم السلطة فى غزة وأريحا الى الفلسطينيين فلقد حددتها على أساس حساباتها كدولة ينبغى أن تحترم التزاماتها، ولا غرابة فى أن يطالبها الفلسطينيون باحترام هذه المواعيد لأسباب منطقية مقبولة أولها أن إسرائيل هى التى حددتها، ومادامت قد فعلت فهى تسلم بالضرورة بإمكانية تنفيذ بنود الاتفاق فى مواعيده المقررة[1].

هذا المقال التحليلى، كما يبين من عنوانه، يسبق حديث الحالة الخبرية. والتحليل فيه ينطوى على عناصر توقع.. كما أظهر العنوان اتجاهه الى استقراء الاحتمالات المنتظرة.

---

(١) ابراهيم نافع: بهدوء، جريدة الاهرام ٢٣ ديسمبر ١٩٩٣ ص ١، ص٣

ثانيا:ـ التعليق على الخبر بعد وقوعه:

ذلك أن هناك أنباء قد تحيط بها جوانب غموض تستدعى الترتيب قبل تقديم التحليل أو تستدعى استكمال بعض المعلومات لضمان صحة التحليل، وفى هذه الحالة يتأخر التحليل عن الدالة الخبرية. وفى حالات أخرى يجىء التحليل ملازما لها، كما نجد عند الأستاذ إبراهيم نافع، إذ يعقب مباشرة على الخبر بعد وقوعه؛ استجابة للقاعدة الصحفية الأساسية، قاعدة "الجدّة الزمنية"، ومناقشا الحدث فور وقوعه وهو مازال حدثا حيا، ذلك أن التحليل حين يتأخر دون مبرر يتحول من "تحليل صحفى" إلى دراسة أكاديمية، ويمكن أن يقال" بشكل عام إن تحليلا صحفيا قيمته ٥٠٪ وينشر فى لحظة وقوع الحدث، أفضل صحفيا من تحليل قمته١٠٠٪ وينشر بعد وقوع الحدث بيوم أو أكثر[١].

هذه القاعدة نسبية بطبيعة الحال، ولكنها تشكل اتجاها عاما فى المقال التحليلى الذى يعتمد على قدرات الكاتب التحليلية وهى قدرات تضمن له التحليل الوقتى على النحو الأفضل؛ وفى معظم المقالات التحليلية عند طه حسين على الصعيد الأدبى والثقافى؛ وعند إبراهيم نافع على الصعيد السياسى والاقتصادى والفكرى، نجد موضوع المقال يقوم من الأحداث، يمثل التلازم المنطقى الذى يثرى التحليل، ويدعم أسبابه ونتائجه.

يقول طه حسين فى مقال بعنوان" تحريض"[٢]

"وقد نشرت(الجهاد) أمس، وأول أمس أخبارا عن مذكرة سياسية قيل إنها قدمت من دار المندوب السامى إلى رئيس الوزراء وقيل إنها أحدثت شيئا من الاضطراب غير قليل فى بعض البيئات السياسية، فضاقت الوزارة بما نشرت"الجهاد" وكذبته فى إبلاغ رسمى أذاعته أمس، وكان بلاغها الرسمى حازما مسرفا فى الحزم، وقد تعود الناس فى هذه الأيام أن يحترموا بلاغات الحكومة

---

(١) جلال الدين الحمامصى: مرجع سبق ٢٥٩.

(٢) كوكب الشرق فى مايو ١٩٣٣. عبد العزيز شرف: من المقال الصحفى فى أدب طه حسين، السابق.

الرسمية، على نحو ما احترمت "الأهرام" بلاغها الرسمي الذى أصدرته منذ أيام تكذّب فيه ما أذيع من حديث رئيس الوزراء إلى زملائه فى مجلسهم عن المندوب السامى، واللجنة الانجليزية المصرية، فقد احترمت الأهرام، هذا البلاغ ولكنها أكدت ماقالت، وأكدته فى حزم وليس أقل من حزم الحكومة فى بلاغها، وتحدت الوزارة، واتهمت الوزراء بانهم أفضوا إليها بهذا الحديث الذى تكذبه الحكومة وتنكره، وانتظرت الأهرام نتيجة هذا التحدى، وانتظرته الصحف الأخرى أيضا وألح الناس على الوزارة أن تبين جلية الأمر فى هذه القصة[1].

ثالثا: التحليل الصحفى وحركة الأحداث:

ونخلص مما تقدم الى أن المقال التحليلى إنما يقوم على تفسير النبأ أو الحدث فى ضوء حركة الأحداث عموما.. والنبأ الجديد، المجهول الدلالة، تتكشف عناصره المجهولة بربطه ببعض الدلالات عن طريق تحديد موقعه داخل إطار مجموعة من الأنباء والأحداث المعلومة. ولكن إذا كان النبأ تشكيلا لحدث من الأحداث فإن المقال التحليلى لا يقوم على الخيال. والفرق بينهما أن الخبر/ النبأ يستمد عناصره من الواقع مباشرة. أما المقال التحليلى فينظم تجاربه وعناصره المستمدة من الخبر، أى من الواقع بعد أن ينقله النبأ فى شكله الخبرى.

وعلى ذلك فإن المقال التحليلى ليس غاية فى ذاته، وليس فناً منفصلا مستقلا، وإنما يرتبط بحركة الأحداث ارتباطا لا انفصام له، أى أنه كتحليل صحفى، يفسر الأخبار ويغذيها ويقوّمها، بهدف مساعدة القارئ على تفهم حركة الأحداث من حوله بتقويم المعايير المطلوبة من خلال التحليل والتفسير، ولذلك فإن المقال التحليلى ينظر للأخبار على أنها سلوك اجتماعى، الأمر الذى يحدد الدور الوظيفى للمقال فى إطار حركة الأحداث محليا وعالميا.

على أن المقال التحليلى ينزع إلى أن تكون لديه صورة مجازية فائقة، أوعدد من الصور، يرى من خلالها حركة الأحداث. وهذه الصورة بالتالى تشكل تحليله الصحفى وتتبئ عنه، وتجعله أحيانا محدوداً. فالمقال التحليلى ـ على هذا الفهم - يمكن أن يتخذ صورة جرّاح سحرى يجرى العملية الجراحية دون أن يقطع الأنسجة الحية. وقد يكون فى صورة من يظهر للواقع نسمة جديدة، تتيح لحركة

---

(١) كوكب الشرق فى مايو ١٩٣٣. عبد العزيز شرف: من المقال الصحفى فى أدب طه حسين، السابق.

الأحداث واقعا مستقبليا أفضل يستند على التحليل الموضوعــي الركين، بقلـم كـاتب عارف عاقل.

أما المضمون الرئيسى الآخر فى التحليل الصحفى فهو تطوره فى اتجاه ديمقراطى يركز على توضيح الحدث الجديد، كالتحليل الإخبارى أو "التعليق"، وهى نوعيات تتجاوز عنصر "التقويم"، وإن كانت لا تستطيع تجاوز عنصر "التذوق الخبرى" ولكنها على أية حال تسعى إلى ألاّ تتضمن رأيا يطرحه كاتب التحليل، ذلك أن تحليل "حالة خبرية عامة فى ضوء أحداث محددة، يحمل فى العادة أكثر من وجهة نظر يمكن أن يتجه اليها الاجتهاد"[1].

ومهما يكن من شئ فإن المقال التحليلى ـ خلافا "للنبأ" لابد أن يحتوى على "رأى" و"حُكْم" أى لابد من توفر عناصر " التقويم" و "التقدير" و"التذوق" التى تجعل التحليل لا يقتصر على موضوعية النبأ وحدها. ولكن لكاتب التحليل فيه دورا دائما فى تذوق الأخبار وتحديد وانتقاء عناصر مقاله التحليلى فى نهاية الأمر، ولا يغض هذا العنصر"الذاتى" الناجم عن وجود رأى للمحلل من الحدث"بل يجوز القول إن قيمة التحليل تزداد كلما كانت لهذا العنصر الذاتى، أصالة يصدر عنها الكاتب.

واذا كان "التقويم" من أهم وظائف المقال النقدى فإنه يمثل جوهر المقال التحليلى اعتمادا على ثقافة كاتبه العريضة والمتعمقة فى المجالات المتخصصة، مما يسعف التحليل على فهم حركة الأحداث وسيرها. كما تعتمد هذه الطريقة على تحليل ملابسات الحديث أوالخبر، بحيث يذهب المقال إلى الفهم ووزن ما يحلله، إلى أن التحليل الصحفى يقوم على نقد عقلى لحركة الأحداث القابلة لأن تصاغ صحفيا. كما يقوم على نقد عقلى للدوافع التى تكمن وراء الخبر أو الحدث ليتمكن الكاتب فى نهاية مقاله التحليلى من "تقويم" الحدث" وتقديم حكمه النهائى. وهو حكم فريد يمكن الكشف عن طبيعته العامة. على أننا نجد أن غاية هذه الخطوات الأربع الأولى هى تحديد المجال الذى سيتحقق فيه" التقويم" أو الحكم القاطع الفريد، وتضييقه قدر المستطاع. ويتحدد مجال" التقويم" بالدوائر الثلاث التى يتداخل بعضها فى بعض، فى "المقال الرئيسى"بصفة عامة. ونعنى بهذه الدوائر الثلاث: **سياسة الجريدة، وصياغة المقال، واهتمام القراء.**

---

(١) جلال الدين الحمامصى: السابق ص ٢٢٠

ومن الوجهة المنطقية فإن المقال التحليلى يبدأ بالنبأ الجديد الذى يتصدى الكاتب لدراسته. ويتسع التحليل من هذه النقطة ليواجه هذا النبأ بأنباء أخرى داخل سياق حركة الأحداث عموما فى أكثر من اتجاه. ويمكن تحديد هذه الاتجاهات فى المقال التحليلى من خلال أهداف ثلاثة:

١- مقابلة النبأ الجديد بمعلومات وأنباء تنتمى إلى نفس القضية:

أى مقابلة وقوع النبأ الجديد بأنباء تخصّ نفس القضية فى الماضى وتنتمى إليها، ونجد نموذج هذا البناء المقالى فى سلسة مقالات إبراهيم نافع عن: **"مستقبل المنطقة بعد السلام"** حيث يطرح القضية الرئيسية فى عنوانه الدال: **"هل حقا تهيمن إسرائيل اقتصاديا على المنطقة العربية؟".**

يقول فى استهلال المقال:

"بغض النظر عما تواجهه مباحثات السلام بين إسرائيل والفلسطينيين وسوريا والأردن ولبنان من صعوبات فإن السلام قادم إلى المنطقة اليوم أو غدا، وعلينا أن نبدأ من الآن الاستعداد لمواجهة مرحلة السلام وتداعياتها، فكلّ حرب مهما طالت لابد وأن تكون لها نهاية "لقد دعانى للكتابة فى هذه القضية مانراه ونقرأه ونسمعه من مبالغات وتصورات خاطئة عن مستقبل المنطقة العربية بعد السلام.

ومن أبرز هذه المبالغات ما يقوله البعض من أن إسرائيل سوف تبتلع المنطقة العربية بأسرها وتسيطر عليها اقتصاديا، فهل هذا صحيح؟.

"وبداية أقول إن هذا التخوّف المغالى فيه ليس واردا ولا يمكن أن يكون منطقيا وفقا لأسباب واعتبارات عديدة.

ودعونا نناقش هذا الاحتمال بغير حساسية ولا تحفظ.

"إن الحكم على قدرة أية دولة على ممارسة السيطرة الاقتصادية على الدول المجاورة لها يتطلب توافر عوامل عديدة، هى أولا القدرة الفائقة على الانتاج بما يزيد أضعافا مضاعفة على احتياجات شعبها ويفيض فيغرق أسواق الدول المجاورة، وينافس فيها منافسة غير قابلة للمقاومة إنتاج هذه الدول نفسها أولا ثم إنتاج دول العالم الأخرى، فهل يتوافر هذا الشرط المبدئى فى الاقتصاد الإسرائيلى؟".

٢ـ مقابلـة الأنبـاء المتعلقة بقضية معينة بأنباء ومعلومات تخفـى قضايا أخـرى ملازمة أو غير ملازمة لها زمنيا:

أى مقابلـة النمـط الخبرى الذى ينطـوى عليـه النبـأ الجديـد، بأنمـاط خبريـة مشـابهة لـه، أو متعارضـة معـه، أو تثـير مقابلتهـا مفارقـات معينـة تسـاعد فـى استخلاص دلالات معينة.

ويقوم هذا الاتجاه التحليلى عند الكاتب على ثقافته العريضة ومصادرها التى تتيح للتحليل أن يقابل الجديد فى المجرى العام للأحداث بحالات خبرية عامـة تثـير مقابلتها المقارنات التى تيسر استخلاص الدلالات. ومن نمـاذج ذلـك؛ المقـال الـذى أشـرنا إليـه عـن مستقبل المنطقـة بعد السـلام[1] . والـذى يمكن أن نتصـور بنـاءه التحليلى على النحو التالى:

---

(١) ابراهيم نافع:"بهدوء" مستقبل المنطقة بعد السلام الأهرام ـ الجمعة ١٧ ديسمبر ١٩٩٣.

دالة جديدة :

مستقبل المنطقة

يستخلص إبراهيم نافع من أنباء مباحثات السلام والاستعداد لمواجهة مرحلة السلام وتداعياتها؛ النتائج المترتبة على مواجهتها؛ فى حالة من الحالات الخبرية المقابلة السابقة والملازمة زمنياً

والسلام هو دائماً طريق التقدم، والتنمية، والحروب هى طريق الدمار والخراب. فماذا نستطيع أن نرى فى أفق المنطقة حين يحلّ عليها السلام وكيف نواجه تحديات السلام، كما واجهنا من قبل تحديات الحروب؟

إبراهيم نافع

حالات خبرية سابقة أو ملازمة زمنياً

مصادر المياه

العلاقات التجارية والاقتصادية

الاستثمارات العربية وعائدات البترول

إمكانات الأمة العربية اقتصادياً وبشرياً

الخلل الاستراتيجى

ضرورة التكتل الاقتصادى العربى

خلاصة

ومن هذا النموذج يبين لنا أن الكاتب قد انطلق فى مقاله التحليلى من الجديد الذى يشغل الرأى العام العربى والمصرى بصفة خاصة وهو "مستقبل المنطقة بعد السلام". ويستهلّ مقاله بمقدمة تمهيدية تمّهد لاستخلاص دلالات جديدة له؛ بمقابلته؛ واستخلاص النتائج المترتبة على مواجهته؛ بأنه حالة من الحالات العامة السابقة عليه أو الملازمة لـه زمنياً. وهذه الحالات كما تبين من النموذج المتقدم هى: العلاقات التجارية والاقتصادية والأموال والاستثارات العربيـة، وإمكانـات مصـادر المياه وعائدات البترول ــ إمكانات الامة العربيـة اقتصادياً وبشـريا، والخلل الاستراتيجى .. ثم يستخلص من هذه المقابلة خلاصة دالّة يلخصها فى قوله :

"ولوأن أية مجموعة مـن الدول العربية آمنت حقاً بضرورة تكوين تكتل إقتصادى عربى جديد فيما بينهما لشكّلت على الفور مشتركة قوية قادرة على مواجهة أهم المتغيرات الجديدة فى العالم المعاصر الآن وهو اتجاه دولة إلى التكتل والتعاون الاقتصاديين.

"إن هناك خللا فاضحاً فى حجم التجارة العربية فعل سبيل المثال فإن الدولة العربية تستورد ٢١ مليون طن قمح سنويا من فائض القمح العالمى الذى يتراوح بين ١٠٠و١١٠ ملايين طن ومعنى ذلك أن ٤٪ من سكان العالم يحصلون على خُمسْ الفائض العالمى وفى هذا تهديد إقتصادى خطير، بل وتهديد أمنى أيضاً لهذه الدول العربية.

"وهذا خلل استراتيجى خطير، إذ أنه حتى الأموال لاتغنى شيئاً عن الشعوب إذا ما حجبت الدولة المنتجةُ للقمح فائضها عنها أو استخدمته للضغط عليها".

"وهذا الخلل فيما ننتج وفيما نستورد ليس قائماً فى أوروبا ولا فى أمريكا".

"ونحن فى أشد الاحتياج إلى هذا التكتل الاقتصادى العربى لأننا مازلنا نستورد للأسف أساسيات الحياة من العالم الخارجى، وفى أشد الاحتياج إلى العمل بكل الطرق لإحياء فكرة السوق العربية المشتركة مهما كانت الخلافات السياسية أوالمرارات بين بعض الدولة العربية وبعضها الآخر.

"فهذا هو تحدّى المستقبل الذى ينبغى أن نواجهه بالإرادة المخلصة وبالتخطيط السليم وبالعمل السياسى الرشيد من قادة الأمة العربية وبالنظرة المستقبلية التى لا تتوقف عند البكاء على الأطلال أو الانحصار فى مشاكل الحاضر وخلافاته المؤقتة.

"فالقضية قضية مصير أمة ومصير شعوب المنطقة العربية وهى الأحق بالدراسة والعمل .. بدلا من المخاوف والمبالغات غير العلمية والاكتفاء بالعويل والتحذير من خطر الهيمنة الاقتصادية الاسرائيلية على شعوب المنطقة بعد السلام".

"وإذا كان خير الناس أنفعهم للناس فخير الأوطان أنفعها للأوطان الأخرى" ـ كما يقول طه حسين ـ فإن فى النموذج المتقدم عند الأستاذ إبراهيم نافع ما يوضح مدى ما يقدمه التحليل الموضوعى من نظر مستقبلى يفيد الآحاد والجماعات والشعوب. كما يوضح أثر الأسلوب الاستقرائى فى البنْية المقالية من حيث ترتيب جميع الأنباء المقابلة واستخلاص الدلالات فى نسق خاص، لتكون كل دلالة منها مسبوقة بكل الدلالات التى تستند إليها، وسابقة لجميع الدلالات التى تستند إليها، ويسلمنا هذا الفهم إلى الاتجاه الثالث :

٣- انتقاء زوايا محدّدة من "الجديد" الناشىء عن مقابلة النبأ الجديد بالحالة الخبرية العامة السابقة عليه :

ويفيد هذا النمط فى المقال التحليلى من قواعد "هداية الذهن" عند ديكارت وفى مقدمتها ما يسميه "قاعدة التحليل". ففى كل مسألة معقدة يجب البحث عن الأفكار البسيطة التى تكون "مطلق الموضوع" والتى تؤدى إلى تحليل هذا المطلق، ولكى نصل إلى هذه النتيجة يجب علينا تحليل المسألة المعقدة إلى مسائل أبسط. وتأسيسا على ذلك يقوم المقال التحليلى على انتقاء زاويا محدّدة من "الجديد" الناشىء عن مقابلة النبأ الجديد بالحالة الخبرية العامة السابقة عليه؛ وتحليل هذه الحالة الأخيرة إلى مسائل أبسط منها أيضاً، وبهذا يتسنىّ للمقال استخلاص الدلالات التى تبدو بسيطة ولايمكن أن تحلل إلى أبسط منها، وهى التى تكون أساس كل تلك الدلالات. ويمكن أن نجد فى نموذج التحليل الاستقرائى المتقدم، نمطاً مميزاً لهذا المقال التحليلى عند د. طه حسين، والأستاذ **محمد حسنين هيكل.**

ولايختلف النمط السابق عن النمط الجديد إلا فى "انتقاء زوايا محددة من (الجديد)، فى حين أن النمط السابق يقابل النبأ الجديد بالحالة الخبرية الملازمة له زمنيا، أوالسابقة عليه. ومن النمط الاستقرائى فى التحليل الصحفى نجد مقالا لطه حسين بعنوان "النبعة الكبرى"، يحلل فيه "زوايا جديدة" ينتقيها من "نبأ انفصال سوريا عن مصر" عن طريق مقابلة الزوايا المنتقاة من النبأ؛ بالحالة الخبرية العامة السابقة عليه والمتصلة الوجود.

ثم يتوسل الكاتب المقالى بقاعدة أخرى من قواعد المنهج التحليلى ونعنى قاعدة التأليف التى تلى تحديد الأفكار، والبديهيات والمقدمات الضرورية للاستدلال، وهى الأشياء التى يعتمد عليها المقال التحليلى. فيذهب الأستاذ **محمد حسنين هيكل** فى مقالة: "**بصراحة**" فى على نحو ما يفعل علماء الهندسة، حين يضع أولاً الأفكار أو الدلالات البسيطة التى يستخلصها من التحليل، ثم يذهب من البسيط إلى المعقد، من خلال نسق منطقى يبين فى كل خطوة كيف تعتمد الدلالة الأكثر تعقيداً على الدلالة التى هى أبسط منها والتى تعلوها مباشرة. وفى النماذج المقالية، نجد أن الدلالة التى يستخلصها الكاتب من مقابلة الزوايا الخبرية المنتقاه بالحالات الخبرية العامة المتصلة الوجود، دلالة مستقبلية.

وصفوة القول إن المقال التحليلى يشتق موضوعاته من الحياة الواقعة، ويخضعها لمنطق التحليل، ثم يعبر عنها بلغة مشتقة من هذه الحياة يفهمها أكبر عدد ممكن من القراء على اختلاف أذواقهم وأفهامهم وبيئاتهم وثقافاتهم، وهذه اللغة هى اللغة القومية فى مستواها العلمى وليست صورتها العامية، لأنها تمتاز بالبساطة والوضوح والإيناس واللطف والرشاقة، وتنأى ما أمكن عن صفات التعالى على القراء والتقعّر أو ... الغرابة فى الأسلوب أو المبالغة فى الإلغاز والغموض.. وهى أمور لا تقبلها طبيعة الصحف بحال ما، على نحو ما تمثله البلاغة الجديدة فى الاتصال بالجماهير.

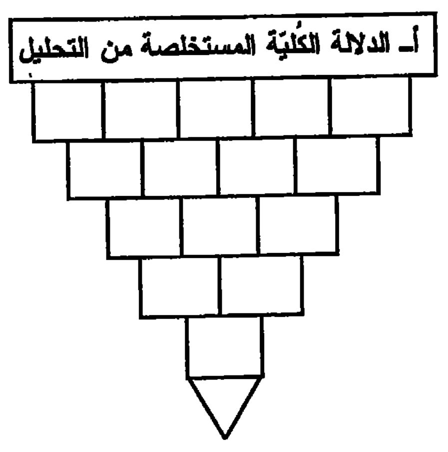
ومن أجل ذلك يتميز فن المقال التحليلى بالوضوح والدقة الاستقرائية والتشويق فى الصياغة والتحرير، الأمر الذى يحتّم على كاتبه أن يقاوم إغراء الزوايا المحيطة بالنبأ أو الحدث، ليجيء مقاله مركّز الفكرة، محّدد الموضوع،

واضح الهدف، بسيط التعبير، فينتقى من هذه الزوايا ما يخدم أهداف المقال، وما يرتبط ارتباطاً وثيقاً بقضيته. ونحن نعرف أن "الكاتب الذى يحدد أهداف مقاله، ويتذكرها طوال تحريره، لن يستسلم لإغراء الهوامش، أو النقاط التى قد تذهب بالموضوع بعيداً عن قضيته الأساسية، والتى تكون فى الغالب على حساب المراحل الأخرى فى تحليل الموضوع وتحرير المقال، وهى مراحل قد تتساوى فى الأهمية. فوضوح الهدف وتحديده يعصمان المقال من الاقتضاب المخل أوالغموض الذى يضّر الإتصال بجمهور القارئين. ذلك أن المقال الأمثل هو الذى يعطى الحقائق فى أسلوب بسيط ومباشر. يؤثر الوضوح ويفضّله فى الاتصال بالجماهير، ثم ويقدمها فى نسق استقرائى يحتفظ باهتمام القراء، ويفجّر رغبتهم فى المعرفة، ويضعهم فى حالة "ترقّب" مستمر لما يجىء" "من بعد"، كما يفعل الكاتب القصصى" "ويمكن أن نتصور هذا النسق التحليلى فى نمطين من الأنماط التى يتألف منها المقال الصحفى:

١- النمط الأول :

أ ـ شواهد مستقاة من الأنباء
والأحداث والواقائع تتعلق بالنبأ الجديد.
بالنبأ الجديد.

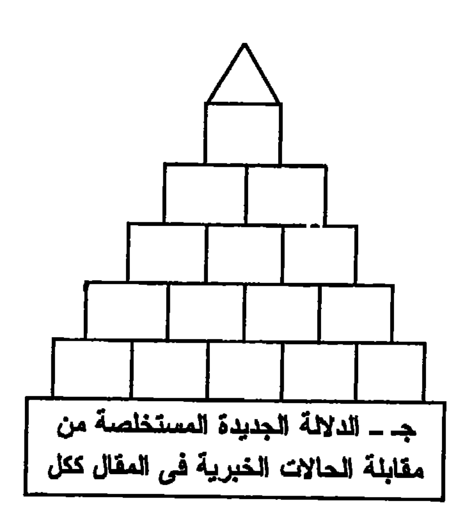
ب ـ استخلاص دلالات جديدة للنبأ
الجديد عن طريق مواجهته
بحالات خبرية مقابلة.



النمط الثانى :

أ ـ نبأ جديد محدد، أوحدث معين أو شاهد موضح.

ب ـ استقراء للنبأ الجديد أو الافتراض الناشىء عنه من خلال حالات خبرية سابقة أو ملازمة أو متصلة الوجود ومقابلتها بالنبأ الجديد **المحدد** فى قمة الهرم (أ).



نماذج

المقال الموقع الإستهلالي:

إبراهيم نافع: بهدوء:

بهدوء

بقلم: إبراهيم نافع

التعاون الاقتصادي العربي
محاولة جديدة لطرح سؤال قديم

لامفر امامنا من ان نحاول دائما إعادة طرح بعض التساؤلات العربية القديمة التى يبدو للبعض أنها قد قتلت بحثا، ولم يعد فى الإمكان إضافة المزيد إلى اوراقها او انه لاجدوى ولاأمل من محاولة إعادة فتح ملفاتها وإثارة قضاياها الراكدة او الجامدة على اوضاعها منذ سنين .

فالحق اننا نحتاج دائما إلى إعادة طرح هذه التساؤلات القديمة كلما لاح فى الافق امل جديد فى التوصل لإجابات صحيحة لها، او كلما زالت بعض الصعوبات والعقبات التى اسهمت فى تجميدها وبقائها معلقة بلا إجابات شافية، او كلما حرت على ارض الواقع العربى والعالمى متغيرات جديدة تسمح باحياء الامل فيما نفض البعض منه يده يائسا ، او كلما جدت متغيرات عربية ودولية تجعل من إعادة طرح هذه التساؤلات ضرورة عربية ملحة ولاتحتمل المزيد من التاجيل .

واحد تساؤلاتنا العربية المزمنة هذه هو : متى يتحقق التعاون الاقتصادى العربى - العربى على النحو الذى يرتفع معه هذا التعاون - حجما وعمقا وشمولا - إلى مستوى الحاجة العربية الملحة إليه، وإلى مستوى الآمال المعقودة عليه ، ثم بعد كل ذلك إلى مستوى الضرورة التى تفرضها علينا الآن متغيرات هذا العالم الجديد، الذى نطل على مشارف قرنه الحادى والعشرين ، بنذره ، الخطيرة وتحدياته الصعبة؟ فلقد كان التعاون الاقتصادى العربى فى الماضى نشيدا قوميا يتجاوب مع الآمال العربية للوطن الكبير ، وتحاول مؤسسات الجامعة العربية كالمجلس الاقتصادى العربى ومجلس الوحدة الاقتصادية، والصندوق العربى للإنماء ، وصندوق النقد العربى ، وغيرها، ان تعبر عنه وتترجمه إلى اطر عملية للتعاون فى ارض الواقع .

لكن واقع الوطن العربى يؤكد لنا ان هذه المؤسسات والمواثيق قد ظلت فى معظم الاحوال ترجمة تنظيمية للآمال العربية اكثر منها ترجمة عملية لواقع التعاون العربى الفعلى .

ولان العالم كله يتجه الآن إلى التكتلات الاقتصادية والتجمعات الإقليمية ، فلقد اشتدت الحاجة لان نعيد فتح هذا الملف القديم، ونحاول ان نتلمس بعض المتغيرات الجديدة فى الواقع العربى، التى قد تسمح الآن لهذا الحلم العربى القديم بان يتحقق بالشكل المامول منه، وسط طوفان هذه التكتلات والتجمعات الاقتصادية من حولنا. والسؤال الذى يفرض نفسه بالضرورة فى هذا المجال هو هل جد جديد فى الواقع السياسى العربى الآن يغرى بإعادة فتح هذا الملف القديم ويرفع نسب الامل فى جدوى إعادة طرحه ؟.

وجوابى عن هذا السؤال هو : نعم .

فالمؤكد ان ظروف العالم العربى الآن على المستويين السياسى والاقتصادى ، تعتبر ملائمة تماما لبدء السير بشكل متدرج فى هذا الاتجاه، وعلى نحو يمكن ان يؤدى إلى تغيير شكل الخريطة العربية خلال السنوات القادمة ، وتأمين موقع مناسب للوطن العربى فى عالم القرن الحادى والعشرين . فعلى المستوى السياسى يمكن فى هذا الشأن ان نرصد هذه المؤشرات والعوامل

■ إن آثار حرب الخليج، التى احدثت صدعا هائلا فى الجسد العربى، قد تقلصت إلى أقصى حد خلال الفترة الماضية بحيث أصبح من الممكن الحديث مرة أخرى عن إعادة بناء العلاقات العربية - العربية على أسس جديدة . فلم يعد الانقسام الكبير الذى خلفته حرب الخليج قائما، إلا على مستويات محدودة، يمكن تفهمها أو تحمل تأثيراتها . وعادت الأجواء العربية إلى ماكانت عليه من قبل بتفاعلاتها المختلفة، التى تتراوح بين التعاون والتوتر فى الإطار المألوف ولاغرابة فى ذلك لأن حجم التحديات المفروضة على الدول العربية من خارجها قد تضخم بصورة لايمكن مقارنتها بعوامل الخلاف الداخلية بين الدول العربية . وقد أدى ذلك إلى بروز اتجاه قوى لاتخاذ مواقف واقعية مشتركة تجاه قضايا مختلفة كما حدث خلال قمة القاهرة العربية، التى عقدت فى منتصف هذا العام

■ إن المشروعات الكبري المتعددة التى سيطرت على التفاعلات فى المنطقة . فى ظل غياب المشروع العربى . قد واجهت عوامل أدت إلى اتجاهها نحو الانحدار ، أو إحاطتها بإطار محدد فقد ظهرت خلال الفترة الماضية مشروعات كان من شأنها أن تعيد ترتيب الأوضاع العربية، بحيث تندمج فى أطر إقليمية أوسع استنادا على أسس اقتصادية ، مثلما كان متصورا بالنسبة لمشروع الشرق أوسطية . كما تصاعدت أهمية مشروعات يتصور أن من شأنها أن توجد روابط عربية - دولية أقوى من الروابط العربية - العربية . على أسس اقتصادية أيضا كمشروع المتوسطية لكن التطورات الأخيرة أدت إلى أن تتقلص أهمية مسألة الشرق أوسطية، وتتجه نحو الانحسار نسبيا ، كما ألقيت كل الأفكار المتصلة بإيجاد هياكل إقليمية لترتيبات الأمن المصير نفسه، بعد أن اتضحت حدود تأثير أية مشروعات كبرى غير عربية فى هذه المنطقة

■ إن التفكير السياسى العربى قد أصبح مهيأ خلال الفترة الماضية لدعم إمكان قيام تعاون اقتصادى عربى - عربى متوازن، وواقعى، مستند على أسس تجعله غير قابل للانتكاس إلى حد كبير فهناك اقتناعات متزايدة بأهمية البعد الاقتصادى فى الحفاظ على تماسك واستقرار الدول ، واستعداد أكبر للفصل بين الخلافات السياسية والتعاون الاقتصادى ، وتصورات بشأن إمكان التعاون المشترك فى التعامل مع الأطراف الخارجية ، وبروز واضح لقيم المصلحة الوطنية وسط تقبل عام لهذه المسألة فى ظل محددات معينة ، مع استعداد لإيجاد صيغ توفيقية تحقق المصالح المتبادلة للدول العربية بالإضافة إلى رؤى متقاربة نسبيا لطبيعة التحديات الاقتصادية التى تواجهها الدول العربية على جميع المستويات ، مع واقعية شديدة فى طرح التصورات الخاصة بأطر وآليات تطوير العلاقات الاقتصادية بين الدول العربية، وبشكل ما ثمة شعور عام بحاجة الدول العربية بعضها إلى بعض مما أدى إلى طرح أفكار ومبادرات لم تكن قائمة من قبل، وهكذا فقد أصبحت القاعدة السياسية - الفكرية للتعاون الاقتصادى أكثر ملاءمة حاليا

فالدول العربية تتحرك فى الفترة الأخيرة للبحث عن أطر اقتصادية مختلفة، إقليمية أو دولية ، للحاق أو الالتحاق بالمسيرة الاقتصادية الدولية، أو البحث عن ميزات اقتصادية مختلفة تساعدها على ذلك . فهناك دول تعمل على تدعيم علاقات التعاون مع أوروبا ، أو إقامة علاقات مشاركة مع القوى الاقتصادية الدولية ، أو الانضمام إلى تجمعات دولية كبرى مثل الكومنولث البريطانى ، أو تعميق بعض أنماط العلاقات فى إطار الشرق أوسطية وتتبلور شيئا فشيئا - فى هذا السياق - توجهات تركز على أن التعاون الاقتصادى العربى - العربى . أيا كان مستواه ، يمكن أن يمثل ميزة مشتركة لجميع الأطراف ، كإطار متوازن لتطوير اقتصاداتها ، أو لدعم حركتها فى اتجاه التعاون مع الأطراف الأخرى

أما على المستوى الاقتصادى فإن التعاون العربى - العربى يتسم بأهمية قصوى فى الوقت الراهن ، ربما أكثر من أى وقت مضى ، فقد أصبحت القوة الاقتصادية لأى دولة هى العنصر الرئيسى فى قوتها الاستراتيجية الشاملة ، والعامل الحاسم فى تحديد مكانتها الدولية والإقليمية . كذلك فإن عناصر البيئة الاقتصادية الدولية تجعل التكتل الاقتصادى الإقليمى ضرورة، بعد أن أصبحت التكتلات الاقتصادية الكبرى فى أوروبا وأمريكا الشمالية وشرق آسيا تلعب دورا هائلا فى حركة الاقتصاد العالمى، وتتبادل التعاملات التفضيلية بصورة تساعد اقتصادياتها على التقدم. دون أن تكون مضطرة لتقديم تلك المعاملة التفضيلية لباقى دول العالم، بالرغم من أن اتفاق الجات لتحرير التجارة الدولية الذى أنشأ منظمة التجارة العالمية لضمان التزام أعضائها به ، ينص على تمتع دول المنظمة بوضع الدولة الأولى بالرعاية بالنسبة للدول الأخرى الأعضاء فى المنظمة، بما يعنى حصولها أوتوماتيكيا على كل الميزات التفضيلية التى تمنحها أى دولة إلى دولة أخرى ، إلا أن الميزات التى تتبادلها الدول الأعضاء فى تكتل اقتصادى لاتمنح بالضرورة للدول خارج التكتل، حتى ولو كان الجميع أعضاء فى منظمة التجارة العالمية ، حيث تعتبر هذه الميزات شأنا داخليا بين دول التكتل .

وإذا كانت هذه المعطيات تؤكد أهمية التعاون الاقتصادى الإقليمى بالذات عندما يتطور فى اتجاه تشكيل تكتل اقتصادى ، فإن الإطار الأفضل والأكثر إفادة لأعضائه فى المنطقة هو إطار التعاون الاقتصادى العربى - العربى الذى يستند إلى أسس عديدة ترجحه على أى مشروع آخر للتعاون الإقليمى فى المنطقة.

ويمكن تركيز هذه الأسس فى وجود ميزات نسبية طبيعية ضخمة، بصورة تؤدى لانخفاض تكاليف النقل والتأمين على حركة السلع والأشخاص فيما بينها، وتؤدى لرفع القدرة التنافسية لصادرات كل دولة عربية فى أسواق الدول العربية الأخرى، مقارنة بالقدرات التنافسية للصادرات المناظرة من دول من خارج المنطقة فى الأسواق العربية . ومن المؤكد أن مثل هذه الميزة يمكن أن تحقق فوائد مادية كبيرة عندما يتم استكمال ربط البنية الأساسية العربية من طرق برية وخطوط ملاحية تربط الموانئ العربية.

كذلك فإن الدول العربية فى مجموعها تشكل مجموعة ناهضة وبمستويات مختلفة، وهو مايجعل من مصلحتها جميعا الاتفاق على إطار للتعاون الاقتصادى الإقليمى تتوزع

عوائده بشكل عادل بين الدول المشاركة فيه، دون ان يتحول إلى مجال نفوذ او هيمنة اقتصادية لدولة معينة على دول اخرى . وبالرغم ممايتردد دائما عن ان هناك تشابها فى هياكل الإنتاج والصادرات العربية فى الوقت الراهن بشكل يقلل من إمكانات التعاون فى مجال التجارة السلعية ، فإن الواقع الراهن يقول لنا إن هناك الكثير من التغيرات التى حدثت فى هياكل الإنتاج والصادرات العربية فى السنوات الأخيرة، بصورة تجعل من الممكن زيادة التجارة العربية - العربية بشكل كبير، حتى فى ظل هياكل الإنتاج والصادرات الحالية لكل دولة عربية، إذا تم تحرير التجارة بين هذه الدول . وفى كل الاحوال فإن التجارة البينية العربية الراهنة التى تبلغ حوالى ٨٪ من إجمالى التجارة الخارجية العربية، وتتضمن نسبة مهمة من السلع المصنعة خارج الدول العربية ، هى تجارة محدودة للغاية وتقل عن الإمكانات الكبيرة لتطوير التعاون التجارى العربى - العربى الذى يتمتع بميزة انخفاض نفقات النقل والتامين . كذلك فإن تنشيط التعاون الاقتصادى العربى - العربى لإقامة منطقة تجارة حرة بدون استثناءات سلعية، وصولا إلى سوق عربية واحدة، سوف يتيح للدول العربية تحقيق استفادة اعلى وشروط افضل منها فى اى تعامل مع التكتلات الاقتصادية الاخرى، مثل التكتل الاوروبى الذى يتجه للدخول فى مشاركة اقتصادية مع غالبية الدول العربية .

ومن ناحية اخرى فإن هناك درجة عالية من التوافق بين الدول العربية فى مجال الاستثمار، حيث توجد دول عربية مصدرة للاستثمارات المباشرة وغير المباشرة مثل دول الخليج وليبيا ، وتوجد ايضا دول عربية عديدة مستقبلة للاستثمارات الخارجية، وعملت على تطوير مناخ الاستثمار فيها، مع مرعاة ان مفهوم المصدر الدائم والمستورد الدائم للاستثمارات لم يعد واقعيا، لان مسار المشاركة الاقتصادية يختلف عن ذلك كثيرا، ويتضمن تبادل الاستثمارات بنسب مختلفة وباشكال عديدة.

ومن المؤكد ان انفتاح الدول العربية على الشركات الدولية الكبرى يمكن ان يتحول إلى علاقة خاصة، تجعل الاقتصادات العربية مقصدا لهذه الاستثمارات إذا اقامت الدول العربية علاقات تفضيلية فيما بينها بشأن تحرير التجارة او إقامة سوق عربية مشتركة ، لان انفتاح الاسواق العربية الكبيرة بعضها على بعض يغرى الشركات الدولية الكبرى بالاستثمار فيها للتمتع بميزات انفتاحها، وهو وضع يمكن للدول العربية أن تستثمره فى الحصول على افضل الشروط من هذه الشركات فيما يتعلق بنقل التكنولوجيا إلى الدول العربية .

وعلى صعيد آخر فإن التعاون الاقتصادى العربى .. العربى يعتبر عاملا ضروريا لايجاد شبكة قوية من المصالح بين الشعوب العربية تؤدى إلى تهدئة الخواطر فى مناطق التوتر، وإلى تجاوز المرارات بين بعض الدول، وإلى تغليب المصالح على عوامل الصراع المحدودة التى تسهم بعض الأطراف الخارجية فى اشعالها وإبقاء جذوتها مستعرة

وإذا كانت هذه بعض الاسس الرئيسية التى تجعل تنشيط التعاون الاقتصادى العربى - العربى ، ضروريا فإنه من الضرورى ايضا الإشارة إلى ان الحديث الدائر عن هامشية العلاقات الاقتصادية العربية - العربية فى الوقت الراهن هو ايضا من قبيل الافكار المغلوطة التى تروج دائما بدون سند حقيقى، وتستند فقط على محدودية التجارة السلعية بين الدول العربية، وهى محدودة بالفعل ، لكن حركة العمالة والاستثمارات والسياحة بين الدول العربية انشط كثيرا من التجارة السلعية، مما يعنى ان تنشيط التعاون الاقتصادى العربى - العربى ووضع اطر تنظيمية له وإقامته على اسس ملزمة للدول الداخلة فيه ، سوف يحمى التعاون الاقتصادى الكبير القائم فعلا، ويفتح الباب لتطوير العلاقات الاقتصادية بين الدول العربية على اسس تفضيلية تمهد للانفتاح، ثم الاندماج بين الأسواق العربية التى تستوعب واردات تبلغ قيمتها حوالى ١٥٠ مليار دولار سنويا فى الوقت الراهن، وهى واردات مرشحة للتزايد السريع مع تسارع اندماج الاقتصادات العربية التى تنفذ برامج للإصلاح الاقتصادى الليبرالى.

وكل هذه الظروف والعوامل تؤكد لنا مرة اخرى ان فرصة تحقيق التعاون الاقتصادى العربى الآن اكبر منها فى اى عقد من العقود الماضية، وان من واجبنا تجاه وطننا العربى الكبير وشعوبنا الا ندع هذه الفرصة تمضى إلى الضياع كغيرها من الفرص الضائعة ، بل ان نتشبث بها ونحسن استثمارها، ونتفادى اخطاء التجارب السابقة، لنصل بواقع التعاون الاقتصادى العربى إلى مانحلم له به من آفاق وآمال ، وإلى مايرتفع به وبالمنطقة كلها إلى مستوى الصمود لتحديات القرن الجديد والتفاعل معه.



نماذج المقال التحليلي

معضلات عصرية :

هل «التقدم» فكرة ميتة!

محمد سيد أحمد

سؤال جدير بنا تأمله ونحن نجتاز بداية عام جديد.. و «نتقدم» صوب قرن جديد.. والفية جديدة.. هل فكرة «التقدم» مازالت تعتبر من المسلمات؟!

كنت قد نشرت في هذا المكان، يوم ١٨ يوليو الماضي، مقالا تحت عنوان: «هل نتقدم.. هل نتخلف؟» حاولت فيه استشراف المستقبل من هذا المنظور.. ثم فوجئت بصحيفة «لوموند» الفرنسية وقد خصصت ـ ابتداء من ٢٠ اغسطس (اي بعد مقالي بشهر، وطوال شهر) ـ سلسلة تحت عنوان: «هل التقدم اصبح فكرة ميتة؟».. ومحور هذه الدراسات، التساؤل: هل جاز لنا التمسك بفكرة «التقدم» أصلا؟ أم ان الفكرة نتاج ايديولوجيات «تقدمية» معينة.. سواء تصدت بها الماركسية، او ليبرالية عصري النهضة والتنوير؟ وانها فكرة باتت بحاجة إلى إعادة نظر؟

الامر المؤكد، على اى الاحوال، ان فكرة «التقدم» قد ارتبطت بفكرة «التقدم المادي» اى بتحسين مستوى معيشة البشر من الوجهة المادية.. وهكذا ظلت الفكرة مرتبطة بالتقدم في العلم والتكنولوجيا، وبقدرة الإنسان على السيطرة على البيئة المحيطة، واستغلالها لصالحه. ولكن هل تقدم الإنسان اخلاقيا وروحيا؟ هل بوسع الإنسان المعاصر أن يدعي انه اكثر إنسانية، واقل وحشية وإجراما، من اسلافه عبر العصور؟ منذ أجداد اجداده في عصر «بركليس» ـ مثلا ـ الذي افرز باثينا في القرن الخامس قبل الميلاد حكماء افذاذا مثل سقراط، وافلاطون، وارسطو؟

لم يسبق أن عاشت البشرية قرنا شهد من المذابح بالجملة، ومن قسوة في معاملة الإنسان للإنسان، ما شهده القرن العشرون، والابشع ان المأساة مستمرة، وتتفاقم.. ولذلك كان لابد لنا من تعريف لمصطلح «التقدم».. هل المقصود به فقط الجانب المادي، ام جوانب اخري ايضا؟

هل بوسع الجانب المادي ان يؤثر في الجانب الروحي؟ هل من المتصور بلوغ الجنس البشري «حدا معينا» من الرفاهية يمكن عنده استنهاض نوعية جديدة من الإنسان . إنسان خال من الكثير من غرائزه الشريرة؟ هل هناك «عتبة حرجة» بين الإنسان الذي يعاني من فقر وعوز وإحباط وسخط وإنسان في حالة إشباع لاحتياجاته الاساسية، مما يمكنه من تجاوز «النقطة الحرجة»، وتجاوز الإحساس بانه عرضة لعدوان الغير عليه، فتسقط عن البشرية الكثير من عيوبها التقليدية، وتسترد فكرة «التقدم» اعتبارها؟

لقد تناولت الماركسية فكرة ان الشيوعية كفيلة بان تحقق حياة سعيدة لكل البشر من خلال الانعتاق الاجتماعي والعمل.. إن العمل في نظر الماركسية، كفيل بإيجاد إنسان من نوع جديد، خاصة إذا ما اصبحت الطبقة التي ترمز للعمل ـ الطبقة العاملة ـ هي الطبقة الحاكمة، بينما يكون قد قضي على الطبقات المستغلة التي تعيش «متطفلة على عمل غيرها».

ولكن التجارب اثبتت ان الانظمة الشيوعية ـ على الاقل كما طبقت في القرن العشرين، لم تنجح في تحقيق هذا الحلم، بل افرزت سلوكيات بشرية بلغت حد المأساة عقب سقوط هذه الانظمة، وقد اسفرت عن وجه للإنسان لا يمت إلى الحلم بصلة.. والامر ليس أفضل حالا مع الانظمة الليبرالية التي تنطلق من ان اليات الديمقراطية واقتصاد السوق والخصخصة كفيلة بان تخلص المجتمعات العصرية من كثير من شوائبها.. وانها خليقة بتحقيق «تقدم» ووفرة في الإنتاج، بغض النظر عن احلام الشيوعية.. ويستشهد في هذا الصدد بالدول المعروفة بـ «نمور» اسيا التي حققت معدلات نمو باهرة، مما ينبئ بان ما انجزته وارد تكراره في مواقع اخرى.

بعبارة اخرى مازالت الامال معقودة على أن إحلال «الوفرة المادية» محل «الندرة» بفضل تطوير قوى الإنتاج، وإنجازات العلم والتكنولوجيا، كفيل بتغيير الإنسان، وإنجاز اهداف «التقدم» ليس فقط من الوجهة المادية، وإنما أيضا من الوجهة الاخلاقية والروحية.. بيد أن هناك سؤالا لا مفر من طرحه: هل بالإمكان فعلا بلوغ حد من «الوفرة» ينشئ حالة مختلفة نوعيا عن حالة «الندرة»؟ حالة لا تشعر البشر بان التقاسم ما يملكونه مع غيرهم يلحق بهم ضررا؟!

إن «الندرة» هي اساس الاقتصاد السياسي.. هي اساس قانون العرض والطلب.. ذلك ان للسلع والخدمات قيمة بقدر ما هي مطلوبة، اى بقدر ما هي نادرة.. غير انه كلما توافرت نوعيات جديدة من المنتجات والخدمات، نشأت لدى البشر احتياجات جديدة.. فهل من الممكن ان تتحقق الوفرة، بمعنى ان يتجاوز «كم» السلع المتوافرة قدرة الإنسان على استيعابها؟

لقد شاهدنا في عالمنا العربي وفرة مفاجئة تمثلت في الفوائض البترولية، عقب الارتفاع الحاد في اسعار البترول في اعقاب حرب اكتوبر.. وحلول «الغني» محل الفقر في مجتمعات عربية عديدة.. فهل جاز لنا ان نقول إن هذه الثروة المفاجئة قد اسهمت في تغيير اخلاقيات هذه المجتمعات؟ لقد بلغ الامر حد ان البعض اصبح يرى في فوائض البترول ما كان من شأنه تعويق «التقدم»، لا تنشيطه! وبدت الثروة التي نشأت فجأة صورية اكثر منها حقيقية، على الاقل من حيث قدرتها على الإسهام في تنمية المجتمع وتطويره، ذلك انها لم تكن نتاج عمل ومعاناة.

وبوجه عام بوسعنا ان نقول إن فكرة «الوفرة المجردة» يتعذر تحقيقها، حتى لو تحققت في موقع او لفترة ولوقت معين.. إذ سرعان ما يستوعبها قانون اعم هو قانون إعادة التوازن بين العرض والطلب وبروز احتياجات جديدة تستوعب الوفرة وتحول دون إحداث «الاثر السحري» الذي قد يتصور البعض انه ممكن الحدوث.. ذلك ان التقدم المادي لا يستتبعه بالضرورة تغيير جوهري في السلوكيات والأخلاقيات.

إن التقدم التكنولوجي والعلمي ليس من شأنه ان يوجد، وبطريقة آلية، ظروفا اكثر موالاة لسلوك بشري افضل.. لقد قيل ـ على سبيل المثال ـ إن الصورة الاكثر عصرية لـ «التقدم» متمثلة فيما هو جار إنجازه الآن في مجالات الاتصال، والإعلام، والمعلوماتية، وبالذات في مجال الكمبيوتر.. الأمر الذي يتيح لكل إنسان الا يكون اسير موقعه، وتاريخه، وبيئته المباشرة فقط وإنما ان تتسع مداركه لتحتوي الكوكب كله دفعة واحدة دون ما حاجة إلى تنقل او سفر بفضل التكنولوجيات البصرية/ السمعية العصرية.. لقد اسهمت الثورة الإعلامية في تقريب الناس دون اتصال مباشر، ودون علاقات إنسانية عضوية بينها.. وبهذا المعنى لا تجعل من تلاحم البشر، وتفاعلهم الحسي المباشر، العنصر الاساسي في «التقدم».. غير ان الثورة الإعلامية قد اسهمت أيضا في تعميق الفجوة بين «التقدم» في القوى الإنتاجية، و «التقدم» في العلاقات الاجتماعية.. ومن هذه الوجهة، قد تكون الآمال المعقودة على إنجاز «التقدم» في اخلاقيات الناس وهما اكثر منها املا وارد المنال.

لم اشعر العلم المعاصر الإنسان بانه ليس مركز الكون وان هناك عوالم أخرى، خارج كوكبنا، وخارج مجرتنا.. وان الإنسان مجرد حلقة ما، بين المتناهي الكبر، والمتناهي الصغر، وانه ليس عند «منتصف الطريق» بينهما! فقد تكون لكائنات اخرى فوق كوكبنا، مثل البكتيريا مثلا، قدرة تتجاوزنا على الصمود في وجه ما يحدث لكوكبنا من تغيرات وتقلبات.. وإذ اصبح ذلك فتكون مقولة «إن التقدم ممكن» مقولة تقبل الطعن، ذلك ان الإنسان لا يملك الأدوات اللازمة كي يتحكم في العالم المحيط، فكيف الحديث عن قدرته على التحكم في مصيره.. بما يمكنه من تحقيق «التقدم»؟!

ربما يقول كثيرون إن بعض هذه الاستنتاجات نتاج عوارض طارئة واجهت البشرية ـ تحديدا ـ في هذه النهاية للقرن العشرين.. عقب سقوط انظمة اعتقد انها كفيلة بحمل «رسالة التقدم»، وتحقيق تحسن مطرد في نوعية حياة البشر.. ومن جراء حالة «الفوضى» التي اصبحت تعم عالمنا عقب أوجه الفشل التي اصابت لا التجارب الاشتراكية وحسب، وإنما أيضا مسيرة الراسمالية ولعلها هي الأخرى في تلبية تطلعات الإنسان المعاصر.

ثم هناك من بوسعهم القول إننا بتنا ندرك، ليس فقط أن الإنسان ليس مركز الكون وإنما ايضا ان «تعقيد» الكون يفوق كل ما تصورناه من قبل، وعلى نحو لم يكن بوسع احد تخيله.. وأن الكثير من إخفاقات البشر يعود إلى «تسطيح» الواقع، وتبسيطه تبسيطا مخلا.. ومع ذلك، علينا ايضا ان ندرك ان تمسكنا بفكرة «التقدم» شرط لا غني عنه كي يكون للحياة معني.. ذلك انه إذا سلمنا باننا عاجزون عن إنجاز اى نوع من «التقدم»، نكون قد سلمنا بان الحياة ذاتها لا حاجة إليها.. وتبنينا ـ ولو بشكل لا شعوري ـ موقفا يحمل معني الاستسلام للصعاب المتفاقمة التي تواجهنا.. والعبث ـ هكذا ام ابينا ـ على نوع من الانتحار الفكري.

والجدير بالملاحظة ان العديد من الفلاسفة المعاصرين، واذكر كنموذج النجم الصاعد في هذا المجال الفيلسوف الفرنسي «لوك فيري»، إنما اصبحوا يركزون اجتهاداتهم على فكرة «معنى الحياة».. وان الحياة لن يكون لها معنى فعلا إذا ما انطلقنا من فرضية ان «التقدم» فكرة ميتة!

وقد لا يكون ممكنا ابدا ان نتغلب على الصعاب التي تعترض تقدمنا تغلبا تاما، وان للتعرجات، وحتى الانتكاسات في التاريخ، جزء من قانون الحركة.. ولكن ليس معنى ذلك ان حركة التاريخ عديمة الاتجاه تماما . وإن كان للتاريخ «اتجاه» فلا مفر من ان يكون هناك «تقدم» ذلك اننا لا نستطيع ان «نتقدم» إلى الخلف!

الاهرام ٢ يناير ١٩٩٦

أوراق ثقافية

الخطاب القومي الواقعي

السيد يسين

هل تستطيع الخطاب القومي العربي التقليدي - في مواجهة المتغيرات العالمية والتحديات الإقليمية - أن يتخلى عن قوالبه المثالية المفارقة للواقع، وأن يصطنع منهجا جديداً للتعامل بواقعية وعلمية مع مختلف المشكلات التي تحيط بالنظام الإقليمي العربي والتي تكاد أن تهدد وجوده ذاته؟

للإجابة على هذا السؤال وعدنا القراء في مقالنا الماضي بأننا سنحاول بطريقة نقدية البيان العام الذي أصدرته ندوة مركز دراسات الوحدة العربية التي عقدها في قطر عام ١٩٩٥.

والواقع أن هذا البيان يمكن اعتباره نموذجا للخطاب القومي العربي الواقعي من خلال تبني نظرة علمية وعملية في آن واحد ويتبقى التساؤل عن مدى توفيق هذا الخطاب الجديد في صياغة منطلقات تتجاوز ثقة الخطاب القومي القديم وفي رسم استراتيجية البديلة للتنفيذ، في عصر عربي تترسخ فيه كل يوم الممارسات القطرية التي تؤكد مصلحة الدول القطرية بغض النظر عما يطلق عليه - بغموض شديد - المصلحة العربية العليا.

النظرية العامة الجديدة

يبدأ البيان بتقرير مجموعة من المبادئ العامة التي تمثل في رأينا نظرية عامة تحاول التكيف مع المتغيرات العالمية والإقليمية من ناحية، وتمثل صياغة جديدة لمنطلقات الخطاب القومي العربي من ناحية ثانية. ولو أردنا تلخيص السمات الأساسية لهذه النظرية في جملة واحدة لقلنا إنها الواقعية والنقد الذاتي والإيمان بالقدرة العربية.

● وبالرغم من أن الإشارة إلى الواقعية وردت سادسا في المبادئ العامة التي أوردها البيان إلا أننا نرى أنها مفتاح النظرية العامة. ولعل ذلك علامة إيجابية على تصحيح إدراكات هذه العينة الممثلة من مثقفي المشرق والمغرب والخليج، واتصياعهم أخيرا إلى متطلبات الواقع وشروطه وطريقة التعامل معه بدلا من التحليق في سماوات المثل العليا - كما كان يحدث في السابق - باصطناع خطاب مفارق للواقع. يقرر المبدأ السادس في البيان «أكدت المناقشات أن المقترحات التي يتم التقدم بها ينبغي أن تتسم بالواقعية ليس بمعنى الاستسلام للواقع فهناك ثوابت قومية لابد من الاستمساك بها والجهر بها مهما كانت الظروف عاتية. وإنما بمعنى فهم الواقع كي يمكننا التعامل معه وتطويره أو تغييره إلى الوضع المنشود. وسوف يساعد هذا النهج على إيجاد الحلقة المفقودة بين الفكر والعمل».

● أما التأكيد على ضرورة ممارسة النقد الذاتي فقد وردت ثالثا في البيان. حيث «أكدت المناقشات ضرورة التنبيه لمواطن القصور في بنيتنا العربية والتي لابد أن ينصب إليها جل ما تواجهه من أخطار، وذلك في مواجهة ما يستسهله بعضهم من نسبة لهذه الأخطار إلى عوامل خارجية. ومن دون أن يعني ذلك بطبيعة الحال إغفال أهمية هذه العوامل وخطورتها كأحد المسببات المهمة للأوضاع العربية الراهنة». وفي تقديرنا أن هذا المبدأ بتأكيده على مواطن القصور في البنية العربية ومسئوليتها عن سوء أداء الممارسات القومية العربية، وإن كان ينبغي الإشادة بالشجاعة الأدبية لأعضاء الندوة في صياغته، إلا أنه في الواقع انعكاس لنظرية خاطئة يتبناها الفكر القومي العربي منذ أجيال، وهي تلك التي يفرق فيها بين العوامل الخارجية والعوامل الداخلية. فهذه التفرقة تتعامل مع العالم على أساس أن هناك مصدرين متمايزين، ومستقل كل منهما عن الآخر في إحداث الأفعال ورسم الاستراتيجيات. مع أن التحليل النقدي لهذا التصور يجعلنا نقرر أن ما يطلق عليها عوامل خارجية تتضمن بالضرورة عناصر مما يطلق عليها العوامل الداخلية! وعلى العكس ما يطلق عليه عوامل داخلية تتضمن بالضرورة عناصر من العوامل الخارجية! إن لم يكن هذا صحيحا فكيف نفسر الاتجاهات السياسية للنخب العربية الحاكمة وتفاوت تأثرها بعناصر الثقافة الغربية، وتنوع ارتباط مصالحها الطبقية والمالية بعناصر معينة في المركز الرأسمالي، واختلاف نظرتها إلى الهوية عربية كانت أو إسلامية. ومن ناحية أخرى كيف نتجاهل كيفية ممارسة الضغوط الدولية على الدول العربية، والتي عادة ما تكون خليطا من عناصر خارجية وداخلية في الوقت نفسه بمعنى وجود الأخطاء السياسية الفادحة للقيادات عربية مما يسهل ممارسة الضغوط عليها، أو تحالف بعض شرائح النخب السياسية العربية مع القوى الأجنبية لدرجة أنه حين تصاغ سياسة خارجية ما، أو يتخذ قرار، فإنه يكون من الصعب تماما التفرقة بين الخارج والداخل!

وهكذا يمكن القول إن الفصل الميكانيكي بين العوامل الخارجية والعوامل الداخلية ينبغي رفضه في سبيل رؤية واقعية أوضح للتشابكات الداخلي والخارجي في رسم السياسات وتنفيذها.

● ونصل أخيرا إلى قناعة البيان بالقدرة الذاتية العربية انطلاقا من المبدأ الأول الذي يرى «أننا وإن كنا نواجه حقائق صعبة لعصر مستجد فإن هذه الحقائق ليست قدرا لا يمكننا تواقيه، وإنما هي عرض يمكننا تلافيه خصوصا أن هذه الحقائق مهما كانت صعوبتها، تنطوي على مخاطر من ناحية لكنها تتضمن فرصا من ناحية أخرى». وقد أكد المبدأ الرابع هذا الاتجاه بحديثه المباشر عن ضرورة الإيمان بقدراتنا الذاتية في مجال إحداث التغيير المطلوب. يبقى في مجال النظرية العامة الجديدة مبدآن: الأول منهما يخص جمهور المخاطبين بالبيان، وقد تم تحديدهم على أساس ضرورة التوجه ببرنامج العمل إلى الجماهير والرأي العام والنخبات المثقفة والمنظمات العربية غير الحكومية ومؤسسات المجتمع المدني كافة. وهنا يصح السؤال: هل هناك فعلا جماهير عربية قادرة على الحركة بعيداً عن القمع المباشر للأنظمة، وهل هناك رأي عام عربي قادر على التعبير عن نفسه، وهل هناك حقا تجمع مدني عربي في كثير من الدول العربية، وسواء كانت ثورية مزعومة، أو محافظة تقليدية؟ إن هذا المجتمع المدني بالرغم من إشعاعات الاسم الإيجابية لا وجود له أصلا، في ظل توحش عديد من الأنظمة السياسية العربية وطغيانها وغزوها الكامل للمجال العام وحتى للمجال الخاص. ولكن لعل ذلك إن هذا أمل من آمال أعضاء الندوة، حتى لا يطبق اليأس على النفوس! فإذا كانت النظم العربية لا خير فيها، والجماهير مغيبة تماما، فلمن - إذن - يتحدث المثقف، ولمن يوجه المفكر خطابه، ولمن يدعو القومي لشعاراته وقناعاته؟

وتبقى في النظرية العامة أولوية العمل القومي التي تحددت في أربع قضايا: تحقيق المصالحة الشاملة على المستويين الرسمي والشعبي، ومواجهة الصراع العربي - الصهيوني، والعلاقة بين العروبة والإسلام، وضرورة توسيع الإطار ليشمل كل القوى العاملة على الساحة العربية، من قومية ودينية وليبرالية ويسارية، وأخيرا الديمقراطية وحقوق الإنسان وقضية الأقليات.

مقترحات عملية

بالإضافة إلى النظرية العامة يتضمن البيان في قسمه الثاني مقترحات. أولها جميعا ضرورة تطوير الفكر العربي. وفي تقديرنا أن هذه الإشارة تتضمن تجاهلا صارخا لحقيقة توزع الفكر العربي بين تيارات أيديولوجية شتى. وكان الأجدر بالبيان الحديث عن كيفية مواجهة الصراعات الفكرية العنيفة بين التيارات المختلفة للفكر العربي. فالفكر العربي مجرد وعاء يتضمن التيارات القومية والإسلامية والماركسية والليبرالية والاشتراكية، فكيف يجوز الحديث بهذه الخفة عن تطوير الفكر العربي ودعوته لتقديم خطاب بديل عن الخطاب السياسي الرسمي والإعلامي؟ ويفترض ذلك أن هناك خطابا سياسيا رسميا وإعلاميا واحدا ومتشابها في سماته، ويمكن رفضه على إطلاقه! ودليل ذلك أن الخطاب السياسي الرسمي في الخليج يختلف عنه في المشرق، وكذلك عنه في المغرب، بل إن هناك تفاوتا كبيرا داخل كل منطقة بين دولة وأخرى.

وحين نتحدث المقترحات عن ضرورة إنجاز دراسات لقضايا عملية يكون هدفها تحصين المواطن العربي بوعي يساعده على توقي الأخطار، وتقديم بدائل مغايرة للتوجهات والسياسات المرفوضة، فإن سؤالنا الجوهري هنا: هذه البدائل ستصاغ من وجهة نظر من؟ ومن وجهة نظر هؤلاء الذين ينادون بأن الإسلام هو الحل، أو هؤلاء الذين ينادون بحرية كاملة للسوق، أو أولئك الذين مازالوا يقولون الماركسية هي الحل؟

النظرة الشمولية التي لا تهتم بالفروق ولا تفرق بين التمايزات مازالت - للأسف - حاضرة في لغة الخطاب القومي العربي الجديد.

وحين نتحدث المقترحات عن قضايا الحركة القومية العربية، فسنجد فيها مقترحا إيجابيا هو ضرورة نقد تجربة النضال القومي المعاصر. غير أننا من ناحية ثانية سنجد اقتراحا غامضا يتحدث عن ضرورة تحقيق المصالحة بين الفصائل القومية والعربية. والاقتراح المحدد الذي صيغ بهذا الصدد هو تكليف المنتمين تنظيميا إلى أحزاب قومية عربية بتقديم تقارير أو دراسات عن تفسير ظاهرة الانقسام والخلاف بين الأحزاب القومية العربية وداخلها.

ونحن نتساءل ما هي هذه الأحزاب القومية العربية، والتي يتحدث عنها بيان ندوة قطر بصيغة الجمع؟ وهل هناك حزب قومي عربي غير حزب البعث؟ وهل حزب البعث بكل فروعه مازال فعلا حزبا قوميا عربيا أم تحول كما هو ثابت يقينا إلى حزب قطري مغرق في قطريته؟

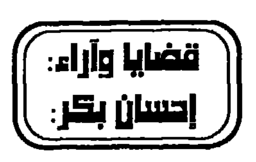
أليس في هذا التجهيل والحديث المجرد عن «أحزاب قومية عربية»، وهذا التجاهل للواقع ما يذكر بأن الخطاب القومي العربي الجديد مازال محافظا على عاداته القديمة، ومنها الشبكة بظواهر لا وجود لها، والحديث عن أحزاب قومية عربية تغيرت هويتها منذ عقود من السنين، ولم يعد لها أي وجود أو أي تأثير على الساحة العربية.

وإذا كان من حسنات البيان التفاته إلى أهمية التجديد والاستمرار في الحركة القومية، وأهمية تجديد شبابها من خلال طرح مشروع مجابهة جريء في تمسكه بالثوابت ويكون في الوقت نفسه ملائما من حيث صياغته لجيل الشباب، فإن السؤال يثور: مشروع يصاغ من وجهة نظر من؟ وهل هناك اتفاق فعلا بين جميع الفصائل العاملة في ساحة الفكر القومي العربي على المتطلبات الأساسية والمبادئ العامة؟

أما باقي المقترحات، فبعضها يظل على صعيد الأماني العصية على التحقيق، مثل الدعوة إلى قيام جبهة سياسية فاعلة تضم الحركات القومية الموثوق بها، ومنها ما يمكن تحقيقه لو تم اصطناع منهج سياسي نقدي فاعل، مثل تحقيق المصالحة الرسمية العربية.

وإذا تأملنا البيان في النهاية لأدركنا أن ما ورد فيها من مقترحات يقصر عن أن يكون استراتيجية واضحة للعالم لتأسيس نظام عربي جديد، بل يمكن القول إنه في كثير من أجزائه عبارة عن إعادة إنتاج لمقولات الخطاب القومي التقليدي بغير تجديد واضح وبدون رؤية نقدية، ولا طرح جديد آخذا في الاعتبار المتغيرات العالمية والإقليمية والمحلية.

الأهرام ٢ يناير ١٩٩٧



الإدانة.. لا تكفى!![1]

بالضبط.. وبلا أى زيادة أو نقصان حدث ما توقعناه يوم الأحد الماضى فالاجتماع الطارئ لمجلس جامعة الدول العربية، انعقد وانفض فى نفس اليوم دون أن يحدث شئ. وقرار إدانة إسرائيل بشأن التوسع فى سياسة الاستيطان صدر بالإجماع. وكفى الله المؤمنين القتال!!

ومجلس الجامعة حذر من خطورة الموقف الراهن وأكد أن إسرائيل تتحمل مسئولية تفجير الأوضاع من جديد فى المنطقة.. ثم طالب بضرورة إجبار إسرائيل على وقف مصادرة الأراضى العربية ولم يحدد كيف كما طالب بوقف إقامة المستوطنات اليهودية لإنقاذ عملية السلام.

المهم، أن المجلس اجتمع وانفض دون أن يتخذ قراراً عمليا واحدا لوقف عملية سرقة الأراضى العربية فى وضح النهار وتحت سمع وأنظار العالم. ومن قبلهم طبعا الدول العربية. لكنه كنوع من التحذير ارتأى أن تظل اجتماعاته مفتوحة لمراقبة الأوضاع.

ومن البداية، نقرر أن الجامعة العربية بريئة من تهمة التقصير أو التواكل. فمن الظلم أن نحمل جهاز الجامعة العربية السلبية القائمة. فهذا هو الواقع العربى الأليم الذى نعيشه. فالبعض منا مازال يأمل فى السلام ولا يزيد أن يعطى أى فرصة لإسرائيل للقول بأن العرب قد تراجعوا عن نهج التفاوض والسلام. وهذا البعض تأكيدا لحسن نواياه لايريد أن يقدم على خطوة واحدة ولو كانت هذه الخطوة هى إيقاف عملية التطبيع.

ولا ندرى هل أراد بعضهم إثبات حسن نياته تجاه الدولة العظمى راعية السلام؟ أم أنهم يتبعون القول المأثور: "أهل مكة أدرى بشعابها" فما دام أهل مكة ـ ونعنى بهم الفلسطينيين أصحاب القضية ـ مستمرين فى التفاوض بالرغم من

---

(١) جريدة الأهرام فى ١٩٩٦/١٢/٨.

صراخهم الذى ملأ المعمورة، وما داموا هم لم يتخذوا خطوة عملية واحدة لوقف مهزلة التفاوض المذل مع الجانب الإسرائيلى، فلماذا يطلبوننا نحن باتخاذ مواقف لا يقدرون هم عليها؟!

خلال الاجتماع الطارئ لمجلس الجامعة العربية تحدث مندوب فلسطين السفير محمد صبيح فكشف بالأرقام مجموعة من الحقائق توضح خطورة ما يجرى داخل الضفة الغربية وقطاع غزة.

تم بناء عشرة آلاف وحدة سكنية لاستكمال بناء المستوطنات اليهودية فى الضفة الغربية بالإضافة الى اقامة ٤ آلاف وحدة سكنية أخيرا ضمن القدس الكبرى.

قامت سلطات الاحتلال الإسرائيلى بمصادرة ٢٠ الفا و ٧٧١ دونما لشق شوارع واقامة طرق التقافية فى الأراضى العربية المحتلة.

تزايدت أعداد المستوطنين اليهود فى الأراضى المحتلة من ١٠٥ آلاف مستوطن عام ٩٢ إلى ٤٥٠ ألف مستوطن يهودى عام ١٩٩٦.

المندوب السورى السفير عيسى درويش حذر من خطورة استثناء إسرائيل من تنفيذ القرارات الدولية، وأكد أن القرارات الدولية أصبحت لا تنفذ فقط إلا على الجانب العربى: فى العراق وليبيا، أما إسرائيل فلها وضع خاص وأشار إلى أن هذا الأمر من شأنه أن يؤدى إلى انهيار عملية السلام وعودة دوامة العنف فى المنطقة. ثم قدم السفير السورى احصائية تثبت أن إسرائيل هى أكبر المستفيدين من عملية السلام التى تمت.

ارتفع حجم الاستثمارات فى إسرائيل من ٥٠٠ مليون دولار قبل أوسلو إلى ٢٥٠٠ مليون دولار بعد إبرام اتفاقات السلام.

ارتفع دخل الفرد فى إسرائيل من ١٣ ألف دولار إلى ١٨ ألف دولار سنويا.

وأعرب عن أمله فى أن تستخدم الولايات المتحدة نفوذها لإقناع إسرائيل بالعودة إلى المفاوضات، والالتزام بتنفيذ القرارات الدولية. ثم أتبع بيانه بطلب صغير وهو الوقف الفورى لعمليات التطبيع مع إسرائيل بسبب تجميد تل أبيت للمفاوضات واستئناف النشاط الاستيطانى بالأراضى العربية المحتلة.

المثير للدهشة، هو أن بعضا من المندوبين العرب قد تحفظ على طلب سوريا بشأن الوقف الفورى للتطبيع العربى مع إسرائيل. وهكذا لم يتمكن الاجتماع الطارئ من اتخاذ موقف جماعى بشأن قضية الاستيطان تحت زعم الخشية من تأثيره السلبى على عملية السلام. فاكتفى المجلس بالشجب والإدانة والتحذير..!!

المهم أنه فى الوقت الذى كانت الجامعة العربية تعقد اجتماعها المشهود لبحث خطورة قضية المستوطنات على مسار عملية السلام. كان بنيامين نيتانياهو رئيس وزراء إسرائيل فى زيادة لمستوطنة اربيل فى الضفة الغربية. ومن هناك ووسط المستوطنين اليهود القتلة أكد مواقفه بالاستمرار فى سياسة الاستيطان وتأكيده حق إسرائيل فى الاحتفاظ بمنطقة وادي الأردن فى الضفة الغربية المحتلة وإلى الأبد. وأكد مجددا رفضه لاقامة دولة فلسطينية مستقلة ودعا إلى صيغة تعايش تتروح بين الخضوع العسكرى لإسرائيل وحق تقرير المصير للفلسطينيين، وأوضح أن اتفاقات أوسلو تركت مسألة الأراضى التى يجب أن تقع تحت السيادة الفلسطينية معلقة، وطالب بالبحث عن صيغ أخرى، وأشار إلى ضرورة استمرار التفاوض حول الوضع النهائى مع الفلسطينيين.

وفى مزيد من تحديه للانتقادات العربية، جعل نيتانياهو من زيارته لمستوطنة اربيل - وهى ثانى أكبر مستوطنة فى الضفة بعد معالى ادوميم شرق القدس - فرصة لاعلانها عاصمة السامرة وقال: سنبقى هنا وإلى الأبد، ولابد من توسيع اربيل وبناء مزيد من المدارس وبرك السباحة.

وقال مخاطبا الصحفيين الذين التفوا حوله: "هل كنتم تظنون حقا أن رئيس حكومة منتخبة أعلنت أنها تنوى الإبقاء على التجمعات اليهودية فى يهودا والسامرة لن يزور هذه المستوطنات. ألا تفهمون أنه كانت هناك انتخابات فى إسرائيل.. وأن العالم العربى لا يفهم أنه كانت هناك انتخابات فى إسرائيل.. ولماذا لا نطور التجمعات "يهودية هنا؟.. وأضاف متسائلا: لماذا ينبغى ألا نطور المستوطنات الموجودة هنا. وهل يمنع أحد تطوير القرى العربية القريبة. هل أقوم بمنع ذلك.هل أقوم بخنقها؟.. وتابع: إن من الأفضل للفلسطينيين وبعض الإسرائيليين أن يعتادوا على الفكرة القائلة بأننا سنعيش معا"

وأنهى نيتانياهو تصريحاته مؤكدا مواصلة خطط توسيع المستوطنات وأضاف أنه ليس هناك أى تغيير بشأن سياستنا تجاه مرتفعات الجولان أو الضفة الغربية وقطاع غزة. لقد قلنا دائما إننا سنواصل سياسة بناء المستوطنات!!

.. وهكذا وصل بنا الحال إلى وجود حكومة متطرفة فى تل أبيب تقتل النساء والأطفال وتنتهك كل قرارات المجتمع الدولى تزرع الأراضى المحتلة بالمستوطنات اليهودية. يقيم عليها مجموعة من القتلة المسلحين. تفرض سياسة الأمر الواقع يعنى لم يعد شئ يتبقى التفاوض عليه، بينما نحن نلتقى لمجرد إصدار بيانات الشجب والإدانة.. ولا أكثر. والولايات المتحدة التى تحدثت مرارا عن الديمقراطية تعتبر دولة إسرائيل هى الدولة الديمقراطية الوحيدة فى المنطقة. أمريكا الآن تقف ضد العالم كله تأييدا لإسرائيل وتنصب نفسها وكيلا عن دولة عسكرية نازية خارجة على القوانين تحكمها قيادة إرهابية متطرفة هدفها التوسع والهيمنة وتقويض عملية السلام.

نخشى، ما لم يغير البعض من سياساته، ألا يجد الفلسطينيون فى نهاية المطاف شيئا يتفاوضون عليه!!"



فهمى هويدى

أندونيسيا فى مهب الريح(١)

المشهد المفاجئ والأكثر إثارة الذى وجدته فى اندونيسيا، أن ذلك البلد الكبير(٢٠٠ مليون نسمة) بدا يسترد هويته الإسلامية، بعد عقود الطمس والمسخ والاغتراب، نعم يظل انضمام اندونيسيا إلى نادى "النمور" الأسيوية الصاعدة خبرا مثيرا بامتياز، لكنى لا أحسبه مفاجئا، فى ظل ريح النهوض العاتية التى هبت على جنوب شرق آسيا خلال العقدين الأخيرين، فأطلقت عقال دولة حتى مكنتها من التطلع إلى منافسة "العمالقة" ومزاحمتهم.

إن شئت فقل إن الحصاد فى اندونيسيا جاء من غير جنس الزرع، على غير المألوف وخلافا للقاعدة ذلك أن كل الجهود التى بذلت بعد استقلال البلاد عن

---

(١) جريدة الأهرام فى ٢٣/١٠/١٩٩٦.

هولندا (عام ١٩٤٥)، ناهيك عن تلك التى بذلت فى ظل الاحتلال أرادت لأندونيسيا أن تتخلع من هويتها وتتجه غربا، لكن البذور التى ألقيت لهذا الغرض إلى الثمانينيات أثمرت شيئا معاكسا فى التسعينيات، أقله أن الأمة الأندونيسية استردت هويتها وأصبحت اكثر تعلقا بها، بالرغم من أن الصراع حول الوجهة الحضارية لا يزال مستمرا، ولم يحسم بعد!

هذا المشهد المفاجئ تزامن مع مفارقة لا تخلو من دلالة مرة، لأن مصر والعالم العربى كانوا سياسيا أقرب إلى أندونيسيا فى زمن اغترابها الحضارى فى الستينيات والسبعينيات، أيام المد وعدم الانحياز، بينما صاروا أبعد عنها وأكثر انقطاعا فى زمن الاسترداد وعودة الروح الذى لاح فى أندونيسيا منذ بداية التسعينيات، وهى المرحلة التى خيمت فيها على العالم العربى أجواء الانحسار وعدم اليقين أى أننا اقتربنا منهم حينما ابتعدوا، وابتعدنا عنهم حينما اقتربوا!

حينما زرت أندونيسيا لأول مرة قبل ربع قرن - فى ديسمبر ٧٠ - كان اسم مصر له رنينه القوى الذى لاحقنى حيثما ذهبت، الأمر الذى وفر لى أنذاك حفاوة مبالغا فيها، لكن هذه المرة - فى ديسمبر ٩٦- لاحظت مثلا أن بهو الفندق الذى نزلت فيه علقت على أحد جدرانه ساعات تشير إلى التوقيت فى العديد من عواصم العالم، وكانت الرياض هى العاصمة العربية الوحيدة التى ظهر اسمها على الجدار، إذا أبديت الملاحظة سيقال لك على الفور إن حوالى ربع مليون أندونيسى يؤدون فريضة الحج كل سنة، وأن مليونا يذهبون إلى السعودية للعمرة فضلا عن أن مليونا آخرين يعملون هناك بصفة دائمة!

فى الزيارة الأولى أمضيت شهرا فى ضيافة الحكومة التى أعدت لى برنامجا زرت فيه أندونيسيا من اقصاها إلى أقصاها، لكن هذه المرة تلقيت مع خطاب الدعوة تنبيها خلاصته أن مضيفى سيرحبون بى ابتداء من يوم الخميس١٢/٥، وسيتحملوننى فقط إلى الساعة الواحدة ظهر الاثنين ١٢/٩، بعدها ستنقطع علاقتهم بى، وإذا ما أردت أن أمد الإقامة، فذلك شأنى، وعلى أن أسدد النفقات من حسابى الخاص، وقد كان!

تلك ملاحظات جانبية فى السياق الذى نحن بصدده، لأننى عدت من الزيارة الأولى محزونا ومحبطا إلى حد كبير، ولكل من هذين الانطباعين أسبابه التى يتعين استعادتها وشرحها، لأنها تمثل خلفية المفاجأة التى وجدتها عام ٩٦.

الغارة التبشيرية على أندونيسيا

إليك قصة الحزن ببعض التفصيل، فقد أتاحت لى الجولة أن أشهد عن قرب الكيفية التى قمعت بها الهوية الإسلامية لأندونيسيا، فى ظل الترويج لشعارات مثل "البانشاسيلا" والـ "تاساكوم" (أشرت إلى مضامينهما فى الأسبوع الماضى)"، الأمر الذى استهدف بالدرجة الأولى تغييب المرجعية الإسلامية عن مجتمع تزيد نسب المسلمين فيه على ٩٠٪ إضافة إلى أن تلك المرحلة شهدت أيضا مصادرة حركة "ماشومى" الإسلامية واعتقال قادتها، كما شهدت اختفاء المئات من الخطباء والعلماء فى ظروف غامضة.

وفى الوقت الذى كانت تقمع فيه الهوية الإسلامية على ذلك النحو، كانت عملية تغريب المجتمع ماضية على قدم وساق، الأمر الذى ظهر بقوة فى النخب المسيطرة على مقادير البلاد، وكانت عناصرها الأساسية معروفة بولائها للغرب، بالتوازى مع ذلك فقد كانت أبواب البلاد مفتوحة على مصارعها لبعثات التبشير الأجنبية، التى كثفت من نشاطها خصوصا بعد فشل انقلاب الشيوعين على الرئيس سوكارنو فى عام ٦٥ ١٩ فقد شنت آنذاك حملة واسعة النطاق لملاحقتهم والقضاء عليهم، وبعد استبعاد الإسلاميين والقضاء على الشيوعيين. وجد المبشرون فى ذلك الفراغ فرصتهم الذهبية للانطلاق فى الفضاء الأندونيسى.

آنذاك كانت هناك جزر لا سيطرة للحكومة المركزية عليها ولا علاقة لها بها إلا فى الناحيتين السياسية والجغرافية، ولكنها كانت تحت سيطرة المبشرين ومنظماتهم التى وفرت إمكانيات هائلة لتحقيق هدفها المنشود فى سنة ألفين.

أذكر أننى حين سافرت إلى جزيرة "ايريان الغربية" فى سنة ٧٠، تم ترتيب أمر زيارتى مع إحدى المنظمات التبشيرية التى كانت تملك عدة طائرات صغيرة، وهى وحدها التى كانت تعرف خريطة المنطقة، بينما لم يكن لدى الحكومة أية وسيلة للوصول إليها.

غير أن ذلك النشاط التبشيرى ووجه بغضب من جانب المسلمين فى بعض الجزر، خصوصا فى جاوة وسومطرة، وتطور الأمر إلى صدامات عنيفة بين الطرفين فى عدة مدن، اشتهرت منها آنذاك مدينتا ميلابوه وماكاسار، اتهم المسلمون خلالها بإرهاب المبشرين(!)، الأمر الذى دعا الحكومة إلى عقد مؤتمر

فى جاكرتا عام ٦٧ لممثلى الأديان، افتتحه الرئيس سوهارتو الذى كان قد تسلم السلطة قبل ذلك بعامين وفى خطابه الذى ألقاه آنذاك لم يشر بكلمة إلى الإسلام، وإنما أعرب عن الأسى للصدام الحاصل بين المسلمين والكاثوليك والبروتستانت، وقال: إن صرح الحياة الدينية فى أندونيسيا يقوم على شىء واحد هو: مبادئ "البانشاسيلا" وأولها الإيمان بالله الواحد، وإن الجميع ينبغى أن ينبذوا خلافاتهم وأن يتعاونوا فى تنفيذ مبادئها الخمسة، التى تفتح طريق الازدهار لأندونيسا.

من أهم الكلمات التى ألقيت فى المؤتمر، ما قاله الدكتور تامبو نان وزي الشئون الاجتماعية، الذى كان أحد أقطاب البروتستانت، وأعلن فيه صراحة أن البروتستانت يقومون بمهمة "التحديث" فى أندونيسيا، وأن ذلك هدفهم الأساسى، وأن أبناء طائفته يرتبطون بالدولة الأندونيسية حقا، لكن ارتباطهم أكثر بالأوامر الإلهية المذكورة فى الإنجيل، التى تأمر المسيحيين بالتبشير وهداية الناس فى جميع أنحاء المعمورة!

ولك أن تتصور الأجواء التى سادت آنذاك ومكنت الرجل ـ وهو وزير مسئول فى الدولة ـ أن يتحدث بتلك الجرأة التى تحدث مشاعر الأغلبية المسلمة.

المسلمون أيضا تحدثوا بذات القدر من الصراحة، وكان أهم متحدثيهم الدكتور محمد رشيدى الذى كان أول وزير للشئون الدينية فى البلاد، وعمل سفيرا فى عدد من الأقطار العربية والإسلامية، فقد حذر من "الغارة التبشيرية" على العالم الإسلامى. وروى كيف أنه شخصيا تعرض لمحاولة إخراجه من الإسلام وإغوائه بالدخول فى الكاثوليكية. وقال: إن ماحدث معه يتكرر يوميا مع ما لا حصر له من البشر. أضاف أن المبشرين حاولوا اختراق المجتمع الأندونيسى فى ظل الاستعمار الهولندى، ولكن الحكومة الاستعمارية تحفظت وتعاملت معهم بحذر شديد تحسبا لردود الأفعال من جانب المسلمين. وبعد الاستقلال وجدوا الحكومة الوطنية " أقل حذرا، فاندفعوا يحاولون تحقيق غاياتهم فى شتى أنحاء البلاد.

"انتقد الدكتور رشيدى زعم المبشرين بأنهم يسعون إلى "التحديث" ويعولون كثيرا على "التسامح" السائد، حيث يستظلون به لممارسة أنشطتهم، واعتبر أن إطلاق مثل هذه الشعارات هو من قبيل الاحتيال والكذب والضحك على عقول الجميع.

فشل المؤتمر فى الوصول إلى أية نتيجة، ومن ثم أعلن فضه، بسبب الخلاف حول اقتراح فى شقين، أولهما منع ممارسة التبشيريين اتباع أى من الديانات المعترف بها فى البلاد، وثانيهما دعوة من يريد التبشير إلى التوجه إلى المجتمعات الوثنية التى تعج بها المناطق الداخلية فى كاليمنتان وايريان.

الدفاع بدراجة هوائية!

منذ ذلك الحين شاع انطباع قوى بأن أندونيسيا صارت نهبا للمبشرين، وصدرت عدة كتب فى العالم العربى منطلقة من هذه الفكرة، حيث مضت تحذر من أن الإسلام بسبيله إلى الاندثار من هناك، وأن الناس يدخلون" أفواجا" فى الكاثوليكية والبروتستانتية. ومازلت أحتفظ بكتابين من آثار تلك المرحلة واحد بعنوان"غارة تبشيرية على اندونيسيا". لمؤلف اسمه أبوهلال الأندونيسى، والثانى بعنوان:"أنقذوا أندونيسيا يامسلمون" للأستاذ عزالدين بليق. وكان الأخير قد زار أندونيسيا، وعاد يقول: إنهم يزرعون الكنائس هناك كما تزرع الأشجار!

فى كتابه أورد الأستاذ بليق - وهو لبنانى أن المجلس الأعلى الأندونيسى للدعوة الإسلامية اختاره مندوبا له فى الشرق الأوسط، معلومات جديرة بالاهتمام منها على سبيل المثال:

- إحصائية منقولة عن مجلس الكنائس البروتستانتية فى أندونيسيا، أوضحت أن حجم أعمالها حتى سنة ٧٢ كما يلى : ٩٣١٩ كنيسة - ٢٣٩٧ قسيسا - ٦٥٠٤ مبشرين متفرغين.
- تصريح لمسئول فى جمعية الإغاثة الكاثولكية نشر فى مجلة "قبلة" فى يوليو ٦٧، قال فيه إن الجمعية أنفقت أكثر من ٣٠ مليون دولار فى صورة أغذية وأدوية للمحتاجين، بالتعاون مع مجلس كنائس أندونيسيا فى الفترة من عامى ٦٢ و٦٧.
- قدمت هيئة المعونات الكاثوليكية فى مارس ٧٣ مبلغ ٤ ملايين دولار أمريكى إلى حكومة أندونيسيا، فى حفل أقيم بمقر وزارة الخارجية وقال مندوب الهيئة إنهم سيقدمون ذلك المبلغ إلى حكومة جاكرتا سنويا لمساعدة قطاع الإنماء القروى!
- المبشرون فى "كاليمانتان الغربية" لديهم ١٧ مطارا و١٠ مدارس كبرى و١٠ مستشفيات أما فى أيريان الغربية فثمة منظمة تبشيرية تملك سبع طائرات

صغيرة تستخدمها فى الانتقال بينما المجلس الأعلى للدعوة الإسلامية لايملك سوى دراجة هوائية!

من المعلومات التى ذكرها كتاب "الغارة التبشيرية" نقلا عن صحيفة "كريستيان ساينس مونيتور" الامريكية(فى٥/٤/٦٧) أن رئيس مجلس الكنائس فى الولايات المتحدة دعا إلى جمع مبلغ ٣٠٠ ألف دولار لإعانة الكنائس فى أندونيسيا، وأن مجلة "تايم" أشارت إلى الخبر ذاته فى تقرير لها نشر فى ٦٧/٥/١٦. وذكرت أن المسيحية تتقدم بصورة ملحوظة فى أندونسيا، بالرغم من أن المبشرين عانوا الكثير من ضغوط الشيوعيين ومن "الإرهابيين" المسلمين(!!) طيلة سنوات حكم الرئيس سوكارنو.

أما التقارير التى ظلت تصدر عن عدد الذين تحولوا من الإسلام إلى الكاثوليكية أو البروتستانتية فحدث عنها ولا حرج. وقد ظلت تلك الأرقام تدور حول عشرات الآلاف، حتى قرأنا لأحد مشاهير الكتاب الصحفيين قبل عام قوله إن ألف مسلم يتنصرون يوميا فى أندونيسيا. وكانت هذه المعلومات كلها تعطى صدقية لما تريد من أن الفاتيكان وضع خطة لتتنصر اندونيسيا فى سنة ٢٠٠٠.

أيا كان الأمر، فإن الانطباع الذى استقر بين المسلمين كانت خلاصته أن أندونيسيا إما ضاعت من المسلمين أو أنها بسبيلها إلى ذلك، والمدهش فى الأمر أن كثيرين استسلموا لذلك الانطباع، حتى شهدت محافل تحدث فيها نفر من الدعاة مترحمين على "البلد الفقيد" الذى كان جزءا من عالمنا الإسلامى يوما ما، لكنه انتزع منه بواسطة المبشرين والمخططات التى تقف وراءهم!

أسوأ ما فى هذا الانطباع أنه صور لكثيرين أن أندونيسيا غدت قضية ميئوسا منها، وأن المخططات التبشيرية لتنصيرها هى قدر لا فكاك منه!

هكذا فإن الواقع الأندونيسى بدا كئيبا فى السبعينيات، كما أن صداه فى بعض الدوائر بالعالم الإسلامى كان بائسا إلى حد كبير.

وأحسب أن حاصل جمع تلك الكآبة التى لمستها فى الداخل، وذلك البؤس الذى تراءى فى الخارج لابد أن يتمثل. عند حده الأدنى - فى الحزن الذى انتابنى بعد العودة من الزيارة الأولى، والذى أشرت إليه قبل قليل.

تحالف التغريب والعسكر

الاحباط له قصة أخرى، خلاصتها أن المشهد السبعيني في اندونيسيا(التبشير أعنى) كان أحدى ثمار - وربما ضمن فاتورة - المساندة الغربية القوية للجنرال سوهارتو ورفاقه من العسكر الذين تولوا السلطة في عام ١٩٦٥. إن شئت الدقة فقل إن التحالف الأساسي في السنوات العشرين التي أعقبت الاستقلال (من ٤٥ إلى ٦٥) كان بين الرئيس سوكارنو والقوميين واليساريين وفي مقدمتهم الشيوعيون" (بالرغم من انقلاب الأخيرين عليه أكثر من مرة) وكان المسلمون هم ضحية ذلك التحالف. أما في المرحلة التالية فقد كان التحالف بين العسكر والمتغربين، الذين تولوا تدعيم أركان النظام الجديد، الذي كان شديد الحاجة إلى المساندة في سنوات حكمه الأولى بوجه أخص، بسبب افتقاره إلى الشعبية والشرعية.

لذلك كان ملحوظا أن حصة المتغربين في السلطة بعد عام ٦٥ كانت عالية بدرجة لافتة للنظر، وصفة المتغربين تطلق في أندونيسيا على الذين تنصروا، ومن ثم ارتبطت مصالحهم ومصائرهم بالكنائس والمنظمات الغربية، فمن بين ١٩ وزيرا في الحكومة كان هناك خلال حقبتي السبعينيات والثمانينيات عشرة وزراء كاثوليك على الأقل، أي أكثر من نصف مقاعد الوزارة بينما نسبتهم في تعداد السكان لا تتجاوز ٧٪ أما المسلمون الذين يمثلون ٩٠٪ من السكان، فقد كان يمثلهم تسعة وزراء فقط.

إضافة إلى التمثيل العالي في حقائب الوزارة، فقد ظلت الوظائف الأساسية حكرا عليهم: رئاسة أركان حرب القوات المسلحة، رئاسة جهاز الأمن رئاسة البنك المركزي .. إلخ وإذا علمت مثلا أن رئيس أركان الجيش الأندونيسي لمدة ١٨ سنة (اسمه بني مورداني) كان كاثوليكيا من أب مسلم وأم ألمانية، فلك أن تتصور تأثير ذلك على إعادة تشكيل الجيش وترفيع قياداته، في ظل تحيزاته التي أثارت نقمة المسلمين داخل الجيش وخارجه. لقد كان المسلمون ضحية للوضع الجديد أيضا، من ناحية لأن النخبة الحاكمة ظل من مصلحتها طمس الهوية الإسلامية لإلحاق أندونيسيا بالنموذج الغربي، ومن ناحية أخرى لأن بعض عناصر النخبة أقنعت الجنرال سوهارتو بأن المسلمين خطر على نظامه وحكمه، بقدر ما أن الشيوعيين ظلوا خطرا على نظام الرئيس سوكارنو بالرغم من تحالفهم معه. من ناحية ثالثة لأن هذه الأجواء كان من شأنها فتح أبواب أندونيسيا

على مصارعها لبعثات التبشير ومنظماته، التى ركزت جهدها فى محاولة تنصير عوام المسلمين وبسطائهم.

هكذا فإنه بينما استمر التغريب والتنصير وقمع حركة المسلمين كرس العسكر مواقعهم وأعادوا تشكيل الحياة السياسية بحيث يستمر إحتكارهم للسلطة. نعم كان هناك ثلاثة أحزاب رئيسية (أحدها باسم حزب العمال "جولكار"وهو الحزب الحاكم، والثانى باسم الحزب الديمقراطى الأندونيسى ، والثالث حزب التنمية)، لكن هذه الأحزاب ظلت تمثل واجهات للتعددية السياسية فقط بينما القرار الحقيقى بيد الجيش.

جرى تقنين هذا الوضع لاحقا فى عام ٨٢، حين صدر قانون وسع من دور الجيش فى الحياة السياسية وخصص لممثليه ٧٥ مقعدا فى المجلس النيابى. وبالمناسبة فإن عدد أعضاء المجلس ١٠٠٠ شخص ٦٠٪ منهم معينون من قبل رئيس الجمهورية أى أن بين الألف نائب يوجد ٦٠٠ شخص معين (حصة الجيش داخلة فى هذه النسبة)، أما الـ ٤٠٠ الباقون فأغلبهم من ممثلى الحزب الحاكم (جولكار).

سيطرة الجيش والمتغربين على الحياة السياسية، توازت معها سيطرة الصينيين على الحياة الاقتصادية، وهذه ظاهرة متكررة حيث فعل الهولنديون فى أندونيسيا ما فعله الإنجليز فى ماليزيا، الطرفان المحتلان أرادا ضرب البنية الاجتماعية القائمة، فاعتمدا على عناصر مستجلبة من الخارج. فى ماليزيا استقدموا الصينيين لإدارة الاقتصاد والهنود للعمالة، وأندونيسيا لاتنقصها اليد العاملة، لذلك فإن الهولنديين استجلبوا الصينيين لإدارة الاقتصاد، حتى صاروا تقليديا مديرى الشركات وأصحاب المصارف والممسكين بزمام الصناعة والإنتاج فى البلاد.

هذه السيطرة كانت قد تبلورت فى السبعينيات. وتطورت فى الوقت الراهن حتى قيل لى إن الصينيين يسيطرون على ٧٥٪ من اقتصاد اندونيسيا، وأن مجموع رءوس الأموال التى لديهم تقدر بـ ٧٠ مليار دولار، ومن الإحصاءات اللافتة للنظر فى هذا الصدد، أن عدد المليارديرات فى أندونيسيا ٢٢٠ شخصا، منهم ٢٠٢ من الصينيين (بنسبة٩٢٪) وأغلب هؤلاء الصينيين من الكاثوليك، وقد فسر كثيرون اعتناقهم للكاثوليكية باعتباره سبيلا للتقارب والتفاهم مع النخبة المسيطرة فى البلاد!

الصورة شهدت انقلابا منذ بداية التسعينيات أدى إلى توتر العلاقات مع الأوروبيين والفاتيكان، وأسفر عن منح جائزة نوبل هذا العام لاثنين من المنشقين على حكومة جاكرتا فى "تيمور الشرقية".

وانتهى الأمر بأن وجدنا حلفاء الأمس يتباكون على الحريات المفقودة وحقوق الإنسان المهدرة فى أندونيسيا، ويشهرون بنظام ظلوا يدعمونه طيلة ربع قرن تقريبا (من ٦٥ إلى ٩٠).

كيف حدث ذلك ولماذا؟ نجيب عن السؤال الأسبوع القادم بإذن الله."

قضايا وآراء:
صلاح الدين حافظ

حوار الرئيس.. الديمقراطية ومحاربة الفساد! (١)

نبدأ حديثنا اليوم، بثلاث وقائع محددة، تتعلق بظواهر الفساد المستشرية فى عالم اليوم، خصوصا فى مجتمعاتنا الفقيرة المحدودة الإمكانيات.. ومدى قدرتنا على المقاومة!

الواقعة الأولى، جرت يوم أن ذهب الرئيس حسنى مبارك، وذهبنا معه لافتتاح المطبعة العملاقة الحديثة للأهرام العتيد، فى مدينة السادس من أكتوبر.. كعادته التقى الرئيس بعدد محدود من الكتاب والصحفيين، وأدار معهم حوارا حرا مفتوحا، تراوح فى امتداداته وتشعباته من دعم صناعة السينما إلى دعم موقف المفاوض العربى فى وجه التعنت الإسرائيلى الغليظ فج المظهر والجوهر..

غير أنى أثرت أمام الرئيس مبارك، قضية الفساد واتساع مظاهرة فى مصر هذه الأيام، وارتباط ذلك كله، بحالة التسيب وسوء الإدارة واستغلال النفوذ، وصولا لتهيئة المناخ للتطرف والإرهاب من ناحية، وارتباطه بضرورة تعميق الديمقراطية وإعمال الرقابة والمحاسبة وتطهير الذمم وكشف الحقائق لتعرية الفساد وفضح المفسدين من ناحية أخرى.

---

(١) جريدة، الأهرام فى ١٩٩٦/١/٢٣.

قلت للرئيس، إننا نثير هذه القضية ونحن ندرك أن على رأس الدولة محمد حسنى مبارك، الذى رفع شعار طهارة الحكم منذ أول يوم جاء فيه إلى الرئاسة فى ١٤ أكتوبر ١٩٨١، وأن على رأس الحكومة الحالية، الدكتور كمال الجنزورى، الذى اشتهر منذ أن سمع الشعب اسمه قبل أكثر من عشرين عاماً، بالنزاهة والنظافة، ولأن ظواهر الفساد تتزايد بدرجة مهددة للمجتمع، فإننا نطالب الرئيس مبارك بقيادة حملة قومية لتطهير البلاد من هذا الفساد!

استمع الرئيس بصبر ثم تحدث ورد بموضوعية موضحا شيئين أولهما تأكيده الثابت على إيمانه الدائم وجهده المستمر لمحاربة الفساد، وعدم التستر عليه مهما كان المسئول، وبتقديم المفسدين للمحاكم، وباحترام دور الصحافة فى كشف الفساد، بشرط الموضوعية والصدق فيما تنشر، وثانيهما تأكيده على أن الفساد ظاهرة عالمية ـ وليست خصوصية مصرية أو عربية فقط ـ وأن أعتى الديمقراطيات الغربية، مثل إيطاليا وبريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية، تعانى من ظواهر الفساد هى الأخرى، وربما أكثر مما نعانى.

الواقعة الثانية، حدثت بعد أن انتهى الرئيس من حواره المفتوح ونزل من المنصة إلى القاعة فى طريقه للانصراف، تجمع حوله عدد من الوزراء والصحفيين فى مدخل القاعة، وكنت بعيدا عن الحلقة المحيطة به، فإذا بمن يبلغنى "أن الرئيس ينادى عليك"... ذهبت مخترقا الحلقة، فقال الرئيس لى:

تعال ها هو الدكتور الجنزورى رئيس الوزراء، قل له ما عندك إن كنت تعرف قضية فساد، حتى يتخذ فيها الإجراء القانونى، نحن لا "نغطى" على أى فساد.. قلت له يا سيادة الرئيس ليس لدى قضية فساد محددة، ولكن واجبى ككاتب أن أتعرض للظاهرة وأضعها أمام المسئولين وأمام الرأى العام، ولحسن الحظ أن مساحة حرية الصحافة الراهنة تتيح لنا أن نفعل ذلك، وأنا لست جهة رقابة أو جهاز أمن وضبط!

ولكن هذه مهمة أجهزة الرقابة العديدة فى البلد، وها أنا أصر مرة أخرى على أن يقود الرئيس شخصيا حملة قومية لمحاربة الفساد، خصوصا أن الخصخصة وبيع القطاع العام، قد جاء فرصة ذهبية للسلب والنهب والسمسرة والاختلاس والكسب غير المشروع، وها نحن نقرأ يوميا عن حالات مستفزة، ابتداء من "أمين شونة" فى إحدى القرى الذى ظل يسرق بهدوء ليكون ثروة

بالملايين الخمسة وصولا إلى المسئول الكبير بإحدى شركات القطاع العام ـ المتحول إلى قطاع الأعمال، الذى تضخمت ثروته فى بنوك الخارج، لتصل إلى الستين مليون دولار، وفى الحالتين تم ضبط هذا وذلك بالصدفة أو الوشاية!

تدخل رئيس الوزراء فى الحوار قائلا لى أمام الرئيس، وباقى المسئولين، أحب أن أطمئنك أننا خلال أيام سنغلق الثغرات القانونية والادارية التى كان ضعاف النفوس يستغلونها للسرقة والاختلاس والإثراء غير المشروع.. ثم تشعب الحديث!

هنا تأتى الواقعة الثالثة، فبعد أربعة أيام بالضبط مما جرى آنفا، تفضل الرئيس مبارك، فبعث لى برسالة شفهية جديدة، يؤكد فيها من جديد، رأيه الذى أوضحه وهو القائم على أنه ضد الفساد وسيحاربه دوما، رغم أن الفساد ظاهرة عالمية، مشيرا فى هذا الصدد إلى ما ينشر فى الصحف المصرية والأجنبية، وبالتحديد ما كتبته الزميلة العزيزة مها عبد الفتاح، فى جريدة الأخبار يوم ١٩٩٦/١٠/١٦ تحت عنوان "الفساد ظاهرة عالمية" وطلب منى أن أقرأه، وأستعد للمناقشة مرة أخرى!

وتعليقى على هذه الوقائع الثلاث يأتى كالآتى تحديدا...

أولا: إن حرص الرئيس مبارك على نظافة اليد ومحاربة الفساد، قضية محسومة بالنسبة لى، فمنذ أن قابلته وعرفته شخصيا عن قرب فى بدايات حكمه. وبالتحديد فى أوائل عام ١٩٨٢، حتى اليوم، وهو أمامى حسنى مبارك القائد الوطنى النظيف، والقومى العربى، والشجاع فى مواجهة الأزمات الرافض للانحرافات...

ولعل حرصه بل وإصراره على التحاور معى أمام الجميع ثم حرصه من بعد على إبلاغى رسالته وتأكيده، حول محاربة الفساد وفضح عصاباته وخلاياه، إنما يؤكد صلابة الرجل ونزاهته، وهو الأمر الذى دفعه من وجهة نظرى الشخصية إلى اختيار "نوعية" الدكتور كمال الجنزورى لرئاسة الحكومة، فى هذه المرحلة التى تشهد تحولا جذريا فى إدارة الاقتصاد المصرى، من سيطرة الدولة إلى الخصخصة، وهى مرحلة لا تستدعى الانضباط والموضوعية والوطنية فقط لكنها تستدعى أيضا النزاهة والنظافة والبعد عن التورط فى "البيزنس" والصفقات المشبوهة والشركات الخلفية والمصالح العائلية، وكلها صفات يتمتع بها

الجنزورى، تؤهله قولا وفعلا، لإيقاف النزيف المستمر والاستنزاف غير المنظم لاقتصاديات الوطن، تحت اسم الخصخصة المنفلتة والبيع العشوائى للمشروعات والكسب والتربح من ورائه!

والمعنى من كل ذلك، هو أننا أمام رئيس يستمع للرأى الآخر ويحترم الحوار الموضوعى، ولا يضيق صدره بالنقد وليس حساسا ـ كغيره من إثارة قضايا الفساد، لكنه لأنه نظيف فهو لا يتردد فى الحوار المفتوح وفى الاستماع الصبور، ثم لا يتردد فى قيادة التوجه لمحاربة الانحراف حين يتثبت من وقائعه..

ولعل ما فعله معى عبر الوقائع الثلاث السابق ذكرها، إنما يمثل دعوة مفتوحة لكل مواطن شريف، ليس فقط ليقول رأيه بحرية، ولكن ليتقدم بما لديه، إن كان يملك دلائل ووثائق حول أى وقائع فساد وانحراف أو استغلال نفوذ وإثراء غير مشروع.. نعم هذا بالضبط ما فهمته، وهذا هو ما أدعو إليه كل مواطن، الآن قبل الغد!

ثانيا: نعم نعرف وندرك أن الفساد ظاهرة عالمية، وكونها ظاهرة عالمية، لا يدفعنا إلى التسليم "بمشروعيتها" أو الاستسلام لفسادها وانحرافها، أوتبريرها حين يتعلق الأمر بشعوبنا الفقيرة المنهكة اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا.. والمسألة لا تتعلق فقط بالمبادئ الأخلاقية، ولكنها ترتبط أيضا بالماديات والسياسات التى تبنى المجتمعات أو تدمرها، والفساد المالى والأخلاقى والسياسى، هو السوس الذى ينخر الظهر فيؤدى إلى التهلكة، للفرد والمجتمع والدولة والحاكم معا!

ولعل النموذج الفذ فى عصرنا الحديث، هو النموذج السوفيتى، حيث كان الفساد المستشرى من القاعدة فى الشارع إلى القمة فى الكرملين، هو أهم أسباب الانهيار المفاجئ للاتحاد السوفيتى ـ القوة العظمى ـ ولا يزال هو سبب التدهور الحاد فى روسيا حتى اليوم ربما تكون إيطاليا فى المجتمع الرأسمالى الغربى، هى التى تشهد ارتفاعا فى معدلات الفساد، لكنها أولا لا تستسلم بل تقاوم وتطهر وتحارب، ثانيا هى ليست وحدها، فموجات الفساد السياسى والمالى والقانونى ـ ناهيك عن الأخلاقى ـ تشق الظهور فى ألمانيا وفرنسا وبريطانيا وأمريكا ، ثم فى الهند وكوريا واليابان وتركيا، وصولا بالعدوى إلى البرازيل والأرجنتين وباقى أمريكا اللاتينية، أما عن أفريقيا والشرق الأوسط فحدث ولا حرج، خصوصا

بعدما تدفق النفط وتراكمت الثروات واشتعلت الصدامت والحروب، وتقاطرت الصفقات الهائلة، من صفقات السلاح إلى صفقات المخدرات وغسيل الأموال القذرة!

في مواجهة ذلك فإن مقاومة الفساد، مطلب سياسى اجتماعى وعالمى أيضا، ولعل مالفت نظرنا، هو ما نشرته صحفنا صباح ١٩٩٦/١٠/١٦، عن دخول البنك الدولى - للغرابة!! - معركة محاربة الفساد فى العالم، عن طريق تقديم مساعدات مباشرة للحكومات التى تعانى تفشى الفساد لكى تتمكن من مواجهته... فقد أكد مدير البنك أن الفساد قد أصبح سرطانا يلتهم جهود التنمية، ويجب من ثم مكافحته فى كل دولة فى العالم، بعد أن أصبح هذا الفساد متعاونا مع استغلال النفوذ والسلطة وتكوين الثروات عن طريق الأختلاس والعمولات والرشاوى، عاملا معوقا للتنمية، بل أصبح سردابا تتسرب من خلاله المعونات التى يقدمها البنك الدولى - والدولة المانحة - للدولة الفقيرة.

ولعل النماذج فى هذا الخصوص واضحة جلية!!

ثالثا: حين يتعلق الأمر بمصر تحديدا، فإن البعض تصور مثلا أن الديمقراطية تعنى حرية الإثراء والكسب والتربح غير الشريف، دون أن يحاسب أحد أحداء، وتصور بالتالى أن الرأسمالية وآليات السوق تعنى حرية السرقة والأختلاس والنهب، وتصور أيضا أن الخصخصة وبيع القطاع العام، هى فرصة الانقضاض على التركة لاقتسامها على مائدة اللئام، فاذا ما تجرأ واحد من غير "شلة الأنس والبيزنس" على معارضة ذلك، حتى بمجرد التلميح دون التصريح، سارعت الأبواق تتهمه بالحقد والحسد ومحاربة النجاح، وبالشيوعية واليسارية والانقلابية.. فاذا ما علمنا أن حجم القطاع العام الذى يباع الآن، يصل الى مئات المليارات، وأن التسرع ببيعه تحت شروط البنك والصندوق الدوليين - يعنى التساهل فى "الثمن" ويفتح باب السمسرة والعمولات الفلكية الأرقام، لعرفنا أن المائدة عامرة بالفعل أمام اللئام!!

واذا ما علمنا أن مصر لاتزال مدينة بنحو ٣٠ مليار دولار، بعد أن كانت ديونها قد وصلت الى أكثر من خمسين مليارا وأنها تتلقى معونة أمريكية سنوية تصل الى ٢,١ مليار دولار، وأنها تستورد بثلاثة أضعاف ما تصدره، وأن الثروة

تتركز فى أيدى قلة ضئيلة مقابل اتساع مساحة الفقر بين ٦٠ مليونا، وأن التكالب على الإثراء - حتى غير المشروع - يرتبط حتما بالنفوذ والسلطة والفهلوة وصلات القربى والسهرات والشللية لأدركنا أن ظواهر الفساد المالى والاقتصادى والأخلاقى، تتزايد وتتساند، فالفساد يسند بعضه بعضا، ويفرخ كل يوم جديدا، ويعلو صوته مع كل سوس ينشره، حتى صار الأمر عاديا يتقبله الناس، ليس فقط دون تساؤل ومساءلة وحساب وعقاب، ولكن حتى دون اندهاش!

ونحسب أن هذه هى القضية الأخطر.. فحين نقبل ظواهر الفساد ونتعايش معه ونصمت أمام استشرائه ونهون من شأنه، ونخاف من مواجهة سرطانه وننافق رموزه، ونحول اللصوص والمختلسين والسماسرة المهربين وأصحاب العمولات والرشاوى، إلى "نماذج ناجحة وقدوة حسنة" فى الإعلام والعمل والاستثمار والحياة الاجتماعية، تصبح القضية قضية انهيار كامل.

حسنا تفعل الحكومة، حين تقدم من يقع الى المحاكمة، لكن المشكلة أن الفساد قد أصبح ظاهرة معقدة، تفاعلت مع التقدم واستفادت من العلم وثورة التكنولوجيا، وتمرست بالتهرب والتخفى والتسرب فلا ينكشف منها إلا القليل ولا يقع فاسد إلا مصادفة أو بوشاية نسائية!!

ورغم ذلك.. يظل سؤالنا قائما: أين إذن أجهزة الرقابة والمحاسبة والأمن، وماذا تعمل فى مواجهة تفشى ظواهر الفساد التى أصبحت كجبل الجليد، لا نرى منه إلا قمته، أما جسمه الهائل فهو غائص تحت الماء الامر الذى يستثير الأغلبية الفقيرة الشريفة والمحبطة!

رابعا: فى مواجهة من يعتقدون أن التحول للرأسمالية، وتطور الديمقراطية، يعنى حرية الفساد الاقتصادى والسياسى، فإننا نؤمن أن الديمقراطية بكل قيمها - وليدة الرأسمالية الغربية - هى أقوى أسلحة الحرب على الفساد، وكشف ظواهره وفضح جنوده ولولا التوازن الدقيق القائم فى المجتمعات الأوروبية والأمريكية، بين الحريات العامة التى يتمتع بها المجتمع المدنى، ونمو المصالح الرأسمالية وتضخم جماعة المصالح الاقتصادية، لشهدت هذه المجتمعات انهيارات مفاجئة، تذكرنا بانهيار الاتحاد السوفيتى !!

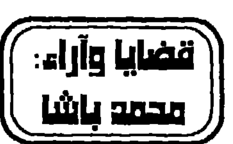
وربما نكون نحن فى هذه الظروف ووسط هذه التحولات، أحوج الناس، لمثل هذه التوازن الدقيق، بين أنماط التحول للرأسمالية وآليات السوق، وبين ضرورات الحفاظ على القيم الأخلاقية والدينية والتوازن الاجتماعى وتشجيع

التحول الديمقراطى، وإطلاق حريات الرأى والتعبير، وخصوصا حرية الصحافة، وهى الكاشفة المراقبة المهاجمة.. ونحسب أن أحد أهم أسلحة محاربة الفساد، هو البدء بإصلاح سياسى دستورى شامل يحقق هذه المواءمة والملاءمة والتوازن المنشود، ويرسخ الحريات العامة على أسس ثابتة مستقرة، لا تميل مع الهوى ولاتتغير أمام الهواء، إنما يضع ناصية الأمور فى يدى أصحابها الحقيقيين، فى أيدى أغلبية الشعب القادرة، ليس فقط على تحديد مصلحتها الحقيقية، ولكن القادرة أيضا على مواجهة الفساد بكل صوره وألوانه وضرب أوكاره واصطياد ثعالبه المخادعة!

فهل يكون كل ذلك، هو أساس حملتنا القومية "ضد الفساد، ونحو التقدم والحرية" ابتداء من الآن، وصولا للقرن الحادى والعشرين.. دعونا نحاول ونبدأ دون خوف أو يأس!

خير الكلام: يقول الإمام على :

المال يستر رذيلة الأغنياء والفقر يغطى فضيلة الفقراء.."



من حسن الطالع وعظيم الاعتزاز أن يأتى مبارك وأهرام أكتوبر [1] الصحفية الجديدة فى أجواء عيد انتصار اكتوبر العظيم وأن يفتتحها الرئيس مبارك ونحن نذكر له بكل فخر بطولته فى قيادة قواتناالجوية، التى حققت بضربتها الرائعة افتتاحية النصر لقواتنا المسلحة بكل فروعها.

ومن حسن الطالع وعظيم الاعتزاز أن يأتى افتتاح الرئيس لهذا الانجاز العملاق مع مطلع العالم السادس عشر لتوليه مسئوليات الحكم الذى تحتفل به مصر اليوم ويضيف بذلك إنجازا حضاريا جديدا فى منظومة العمل الوطنى التى تنقل مصر إلى القرن الحادى والعشرين.

(١) جريدة الأهرام فى ١٤/١٠/١٩٩٦

والحق أنه إذا كان لنا أن نفخر بهذا الإنجاز الصحفي العملاق الثالث في سلسلة مشروعات "الأهرام" فإنه ماكان يمكن أن يتم لولا هذا المناخ الديمقراطي الذى أرساه الرئيس منذ توليه المسئولية وانحيازه الدائم الى حرية الصحافة مما أكسبها مصداقية وسط الرأى العام جعلها قادرة على الانطلاق إلى رحاب التطور والأخذ بأحدث ماوصلت إليه التكنولوجيا العالمية فى عالم الصحافة وهو مايمثل إطلالة على القرن الحادى والعشرين لأحد المشروعات المصرية العملاقة فى دنيا مهنة البحث عن المتاعب.

وبصدق أقول إن مشاعر السعادة والفخر التى بدت واضحة على ملامح الرئيس خلال افتتاحه لمطابع الأهرام وتفقده لأقسامها انعكست علينا جميعا نحن أسرة الأهرام مع عميدها الأخ الكبير ابراهيم نافع حيث كان الرئيس بالغ الحرص على متابعة كل شيء ونقل هذه المشاعر إلى العالم كله من خلال حديثه إلى الكتاب والصحفيين والإعلاميين وتصريحاته للصحفيين بقوله: أن الأهرام هو أولا.. اكبر صرح صحفي، وهو فى الحقيقة جريدة ومؤسسة ضخمة جدا نحترمها جميعا وطوال عمرها ومنذ أنشئت وحتى اليوم لها دور فى سياسات المنطقة والسياسات العالمية، وهى صرح من الصروح التى تفخر بها مصر ومدرسة من مدارس الصحافة العالمية ذات التاريخ الطويل وأن ماشاهدته فى مطابع الأهرام ليس متوافرا الا فى اكثر الدول تقدما وأن مصر بهذه المطابع دخلت القرن الجديد فى مجال الطباعة والنشر والصحافة بكل معطيات هذا العصر وأمل أن تسير المؤسسات الصحفية الكبرى الاخرى على هذا الطريق.

وإذ نعترف أننا "أسرة الأهرام" لانجيد الحديث عن الذات اقتناعا وإيمانا بأن كل أعمالنا وجهودنا نكرسها لخدمة الوطن العزيز وقارئ الأهرام الكريم باعتبارها رسالة وطنية مقدسة نواصلها بكل إخلاص وصدق فى مصر والعالم العربى وعلى إتساع أرض المعمورة ونرفع راية التنوير بامانة لكى تظل مصر دائما ابدا فى عيون العالم تحتل ماتستحق من تقدير واحترام ولكى يظل قارئنا على اتصال دائم ومستمر مع أخبار مجتمعه والعالم كله.

وتأتى شهادة الرئيس مبارك أمس تجديدا لشهادته عندما افتتح من قبل هرم الطباعة فى قليوب فى نوفمبر ١٩٨٧ وافتتاحه مبنى الأهرام بالجلاء عام ٩٣ الذى يمثل هرما ثانيا لكى تصبح جميعها أوسمة على صدور كل العاملين فى أسرة الأهرام نفخر ونعتزبها مثلما نفخر ونعتز بأن نقدم لقارئ الأهرام هذا الهرم

الثالث بمدينة السادس من أكتوبر الذى يضم أكبر وأعظم المطابع الصحفية إتاحة المساحة الأوسع والفرصة الأكبر للمادة التحريرية المتنوعة التى تحقق رسالة الأهرام فى التنوير بنشر الفكر والرأى والخبر والتحقيق وكذلك تقديم المادة الإعلانية الأكثر جاذبية.

هذه مجرد ملامح سريعة لصورة هذا الإنجاز العملاق وماسوف يحققة للوطن وصحافته وأبنائه ويضيف بذلك رصيدا جديدا إلى إنجازات الأهرام التى تتمثل فى إصدار ١٣ دورية يومية وأسبوعية ونصف شهرية وشهرية تفتح الافاق واسعة رحبة فى عالم الصحافة والإعلام وفى مختلف فروع العلم والمعرفة ومنها ما يصدر بالإنجليزية والفرنسية تأكيدا لدور الأهرام فى التنوير وبحرص بالغ على مواكبة أحدث مافى العصر من تكنولوجيا مع الحفاظ على القيم السامية والمبادئ العليا التى تتفق مع اسم مصر العزيزة والتى يحمل الأهرام رايتها على امتداد نحو ١٢٠عاما.

ويصدق أقول إن كل هذه النجاحات تحققت بإدارة مخلصة واعية لعميد أسرة الأهرام الأخ الكبير ابراهيم نافع واشهد وقد شاركت وعشت فى كل تفاصيلها على امتداد أكثر من ١٤ عاما كعضو لمجلس إدارة الأهرام ومجلس تحريره، حتى اليوم أن وراء هذه النجاحات سياسات تعتمد على ثلاثة عوامل رئيسية هى:

١- أن يكون تمويل هذه المشروعات ذاتيا.

٢- أن تحقق اهدافها فى خدمة الحاضر وفترة زمنية طويلة للمستقبل.

٣- الحرص على رعاية العاملين فى كل موقع وتقديم جميع أنواع الرعاية التى تقدم بالأهرام "الأم".

يبقى أن أقول إن الأهرام وهو يقدم هذه الإنجازات إنما يدرك عن وعى أنه يؤدى رسالته العظيمة السامية، ويقدم لقارئه أفضل ماعنده.. تأكيدا ودعما لجسر الثقة التى ربطت بينهما على مدى أكثر من ١٢٠ عاما وهو على يقين كامل أنه يعيد الفضل إلى أصحابه.

همسة

فرض حدث افتتاح الرئيس لمطابع الأهرام الجديدة نفسه على مساحة مقال هذا الأسبوع..

واستأذن القارئ أن نستأنف الاثنين المقبل حديثنا حول ماقال به العالم كله، حول نظرية الأمن الإسرائيلى التى تحطمت بشجاعة أبطال أكتوبر كدليل واقعى على صدق دعوة مصر وزعيمها حسنى مبارك بأن السلام أولا .. لأنه هو الذى يصنع الأمن ويصنع الاستقرار ويصنع التعاون الاقتصادى ▪

تراث زعماء مصر وأهمية توثيقه [1]

د. هدى جمال عبدالناصر

حلت الذكرى السادسة والعشرون لرحيل ديجول في نوفمبر ١٩٩٦ ومن المفارقات التاريخية أن يكون ٢٨ سبتمبر ١٩٩٦ الذكرى السادسة والعشرين لذهاب جمال عبد الناصر إلى رحاب ربه.

وعندما أقارن ما فعله الفرنسيون للمحافظة على تراث زعيمهم الذى وافته المنية بعد خروجه من السلطة على أثر معارضة الشعب الفرنسى لسياسته فى استفتاء ١٩٦٩، وبين ما فعلناه ـ نحن المصريين بتراث عبد الناصر الذى رحل عنا فى لحظة تمثل قمة العطاء، ليس من أجل مصر فقط وانما من أجل مبادئ القومية العربية والوحدة العربية ـ أعنى فى ختام مؤتمر القمة العربية فى سبتمبر ١٩٧٠ الذى دعا إليه من أجل دماء الفلسطينيين فى الاردن ـ فإننى أشعر بالأسى!

لقد قام أعوان ديجول فور رحيله بإنشاء "معهد شارل ديجول" واختاروا له مقرا يمثل معنى رمزيا وهو مكتبه القديم فى شارع "سولفرينو" بباريس، وهو مكتب صغير كان يستخدمه فى الفترة التى كان فيها خارج السلطة، ولقد تعاون من عملوا مع ديجول فى جمع تراثه من وثائق مكتوبة إلى شهادات تاريخية إلى أفلام وصور.. وقاموا بعمل دراسات وندوات عنه شملت كل جوانب شخصيته وكل إنجازاته بمنهج علمى محايد تناول مختلف الآراء والمواقف المتناقضة حول هذه الشخصية التاريخية العظيمة.

وقد تحول "معهد شارل ديجول "إلى مؤسسة بعد عدة أعوام وأصبح لها مراسلون فى جميع أنحاء العالم، وقد تشرفت بأن أكون مراسلة هذه المؤسسة فى مصر، وذلك بعد حضورى المؤتمر الكبير الذى عقدته تلك المؤسسة فى قصر اليونسكو فى باريس بمناسبة مرور مائة عام على مولد ديجول وذلك فى عام ١٩٩٠ حيث تقدمت بدراسة فى هذا المؤتمر بعنوان "رؤية مصر الناصرية لديجول"، وقد تم نشر جميع الدراسات التى قدمت فى المؤتمر وكذلك المناقشات التى دارت فيه فى سبعة مجلدات ذات قيمة عالية، وفى نهاية المؤتمر تم تنظيم رحلة للمشاركين فيه إلى منزل ديجول فى قريته "كولومبى لى دوز اجليز" ثم إلى

(١) جريدة الأهرام فى ١٩٩٦/١٢/١٦.

قبره فى نفس القرية كما حضرنا قداسا أقيم على روحه فى كنيسة "نوتردام" بباريس. وأحب أن أذكر القارئ أن هذا المؤتمر قد عقد فى ظل حكم الاشتراكيين بزعامة "فرانسوا ميتران" الذى كان خصم ديجول الأول، والذى كان ينافسه دائما فى انتخابات الرئاسة الفرنسية منذ التعديل الدستورى الذى جعل هذه الانتخابات مباشرة فى عام ١٩٦٢.. بل وأكثر من ذلك فقد افتتح المؤتمر "ميشيل روكار" رئيس الوزراء الاشتراكى فى ذلك الوقت!

ولم يقتصر عمل "مؤسسة شارل ديجول" على ذلك بل قامت منذ رحيله بإصدار مجلة ثلث سنوية باسم "الامل LESPOIR" مازالت منذ ستة وعشرين عاما وحتى الآن تنشر الشهادات التاريخية التى قامت بتجميعها من كل من عملوا معه أو عاصروه سواء فى الجيش عندما كان ضابطا وحارب فى الحرب العالمية الأولى، أو أثناء تزعمه لحركة"فرنسا الحرة فى الحرب العالمية الثانية أو أثناء توليه السلطة من ١٩٤٤ بعد تحرير فرنسا إلى ١٩٤٧، ثم من ١٩٥٨ عندما استدعى "ليخلص" فرنسا من شبح الحرب الأهلية بسبب قضية الجزائر الى ١٩٦٩ عندما ترك السلطة، وكذلك فى فترات ابتعاده عن الحكم التى كرس جزءا منها للعمل الحزبى وجزءا آخر لكتابة مذكراته.

وفى معرض المقارنة أحاول أن أتأمل ماذا فعلت مصر بتراث جمال عبد الناصر وذكراه، عبد الناصر الذى رحل فى لحظة تاريخية مصيرية بالنسبة للأمة العربية وتولى المسئولية من بعده نائبه، والذى كان يعمل بالقرب منه منذ قيام الثورة فى مواقع مختلفة، فلقد قام أنور السادات بإبعاد كل من عمل مع جمال عبد الناصر، ووضع معظمهم فى السجن فى ١٥مايو ١٩٧١، ثم بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ قاد حملة شرسة ضد عبد الناصر استخدم فيها كل أنواعه الوسائل التى درسناها فى مادة الاعلام فى كلية الاقتصاد والعلوم السياسية تحت عنوان "إغتيال الشخصية CHARACTER SSASSINATION" وقد إتبع تقليدا فرعونيا كشفه المصريون عبر العصور ألا وهو قيام الحاكم بطمس معالم وإنجازات من سبقه كما حدث بالنسبة لمعبد الدير البحرى الذى شيدته حتشبسوت وقام من تولى بعدها بوضع إسمه عليه، ومن سخرية القدر إننى وغيرى من غير المتخصصين فى التاريخ الفرعونى لا نتذكر اسمه بعد آلاف السنين، ولكننا نتذكر إسم حتشبسوت التى قامت بهذا الإنجاز العظيم.

وبما أننا فى عصر مختلف لا تقاس الإنجازات فيـه بإنشـاء المعـابد، وإنمـا بتحديـث الدولـة ورفـع مستوى الشـعب إجتماعيـا وإقتصاديـا وسياسيا، فلقد لجـأ السادات إلى وسيلة عصرية لتنفيذ ما فعله الفراعنة من قبل وذلك بـأن أنشـا لجنـة كتابة التاريخ فى منتصف السبعينات تلك اللجنة التـى أجمـع كثير مـن المؤرخيـن على عدم حيدتها، وانتهت ببعـض الإنتـاج الـذى لـم يتـح لأى مـن بـاحثى التـاريخ الإطلاع عليه حتى الآن بل وقام السادات بكتابة مذكرات عبارة عن سيناريو جديد لحياته، وصدرت الأوامر بجمع كتابه الذى نشره قبل ١٩٧٠ بعنوان "ياولدى هـذا عمك جمال". ولكن كعـادة المصرييـن منـذ الآف السـنين اكتشـفوا الحقيقـة وبـدأوا يروونها لأولادهم، خاصة بعد أن تم تعديـل منـاهج التـاريخ فـى جميـع المراحـل التعليمية فى عهد السادات، وكان محور هذا التعديل هو تشويه عهد عبد النـاصر، طمس إنجازاته التى بنيت للمجهـول، فكـان يكتـب مثـلا أممـت قنـاة السـويس فـى ١٩٥٦، خرج الانجليز من مصـر فـى ١٩٥٤.. وهكـذا ولكـن مدرسـى التـاريخ فـى مدارسنا القومية كانوا يفسرون للأطفال الحقائق ويرجعون الإنجازات إلى صاحبها.

ومن هنا لم أندهش من الإقبال غير المسبوق من جانب الشـباب علـى فيلـم "ناصر ٥٦" فقد نشأ "حزب سرى" فى داخل البيوت وفى المدارس يحكـى للشـباب حقيقة ما حدث، وذلك كما ورد فى بحث د.نبيـل عبـد الفتـاح بعنـوان "١٩٥٦ فـى الشرعية السياسية" الذى قدمه فى دائرة الحوار التى عقدت بمناسبة مرور أربعيـن عاما على عدوان ١٩٥٦ فى "مركز الدراسات والوثائق الاقتصادية والقانونيـة والاجتماعيـة" التـابع "للمركـز القومـى للبحـوث العلميـة" فــى بــاريس ووزارة الخارجية الفرنسية.

والأن وقد أتيحت فرصة توثيق عصــر جمـال عبـد النـاصر بعد أن مـرت سته وعشرون عاما إختفت فيهـا وثـائق ورحـل عنـا عديـد مـن الشـخصيات التـى لعبت دورا مهمـا فـى تلـك الحقبـة التاريخيـة الحافلـة بـالتغييرات الجذريـة واسـعة المدى، والتى مازالت تداعياتها موجودة فى حاضرنا وستمتد الى مستقبلنا، بـل أن الحالة الصحية لمن أمد الله فى عمرهم لا تسمح لبعضهـم بالقيـام بمجهـود الإدلاء بالشهادات التاريخية المطلوبة.

ومن هنا وبالرغم من الأسى الذى أشعر بـه لضيـاع بعـض هـذه المصـادر التاريخية المهمة، ومن منطلق ضرورة الإستفادة من دروس المـاضى ـ فالتـاريخ هو ملـك الامـة والشـعب، وليس ملكـا لحـاكم أو صحفـى ـ أنبـه الـى أن التوثيـق

التاريخى لاغنى عنه لكتابة التاريخ العلمى لأية فترة من فترات تاريخنا القومى بما لها وما عليها لنحاكى فى ذلك الأمم المتحضرة المستعدة للدخول إلى القرن الحادى والعشرين، ونحن مازلنا نجادل فى مفاهيم وليس فى قضايا.

إن ما حدث فى السنوات الماضية من محاولات طمس ذاكرة الأمة وتشويهها يجب ألا يتكرر بأى حال من الأحوال، ولذلك قررت "وحدة دراسات الثورة المصرية" البدء فورا بعدة خطوات فى وقت واحد لتعويض ما فات، وخاصة أنه من حسن حظنا أن تكنولوجيا المعلومات والتوثيق قد تقدمت بشكل هائل وأعطت إمكانيات توثيقية وتحليلية لا يستطيع الكثيرون أن يتصوروها أو أن يتخيلوا مدى سرعة إنجازها أو أبعادها المختلفة.

إن خطة "وحدة دراسات الثورة المصرية" لن تقتصر فقط على توثيق فترة مابعد الثورة، فالفترة السابقة عليها بها فجوات توثيقية ملؤها، ومغالطات تحليلية ينبغى تصحيحها بالوثائق، وقد أدركت ذلك جيدا عندما سجلت رسالتى للدكتوراه التى بدأت فى جامعة باريس فى السوربون تحت إشراف الأستاذ الدكتور دومينيك شيفاليه لدراسة الحركة الوطنية المصرية من ١٩١٨ وحتى ١٩٥٢ وذلك لمدة سنتين ونصف، اضطررت بعدها إلى تسجيلها فى جامعة القاهرة وقصرتها على الحركة الوطنية المصرية فى الفترة من ١٩٣٦الى ١٩٥٢ تحت إشراف أستاذى الدكتور فتح الله الخطيب. إذن فإننى أدعى إدراكى لمدى النقص والتضارب التوثيقى لهذه الفترة ناهيك عن اعتماد الباحثين على الوثائق الاجنبية لاستحالة الحصول على الوثائق المصرية المشتتة فى عدة أماكن، وتلك الوثائق الناقصة التى لم يتم استخدام أى منهج علمى فى جمعها على الإطلاق لقد قررت أن تقوم "وحدة دراسات الثورة المصرية" بالتوثيق لجميع زعماء الحركة الوطنية المصرية فى القرن العشرين بدءا بمصطفى كامل، ومحمد فريد، ثم سعد زغلول، ومصطفى النحاس، وجمال عبد الناصر، وأنور السادات.. ولضمان الحيدة العلمية فى عملية التوثيق هذه فإننى أدعو جمال السادات للإشراف معنا على تسجيل تراث والده. أما بالنسبة لسعد زغلول، ومصطفى النحاس، فسنبحث عن أقرب شخصيات لهما بحيث تربطهم بهما علاقة الدم، وليست العلاقات الحزبية فلقد علمتنى التجربة المريرة التى عشتها خلال ستة وعشرين عاما مضت أن المصالح السياسية الحزبية الضيقة تطغى على أى علاقات مهما كانت حميمة، ويظل الابن هو الذى يهتم بتاريخ والده ويعمل على الحفاظ عليه.

ولقد أدركت السيدة الفاضلة صفية زغلول ذلك المغزى عندما اتخذت قرارا "باغلاق بيت الأمة" - وهو منزل سعد زغلول - أمام حزب الوفد والأحزاب التى انشقت عنه وتنافس كل منها على استغلال اسم سعد زغلول وأسرته فى صراعاتهم السياسية.

أما فيما يتعلق بمصطفى كامل، ومحمد فريد، فسأتولى بنفسى مهمة عملية التوثيق الخاصة بهما فإعجابى بدوريهما الوطنى فى إطار العصر الذى عاشا فيه هو إعجاب بلا حدود.

وفى هذا المجال فإننى أناشد كل من لديه أية وثيقة تاريخية أو صورة أو فيلم سينمائى أو عملة أو ميدالية تذكارية أو طوابع بريدية أو رسم تشكيلى.. إلخ خاص به أو ورثه عن آبائه وأجداده أن يسمح "لوحدة دراسات الثورة المصرية" بالأهرام بان تحصل على صورة منها تضمها إلى العملية التى تقوم بها. وفى الوقت نفسه فإننى أدعو كل من شارك بدور ولو بسيط أن يسجل شهادته التاريخية، إما كتابة، أو على شريط كاسيت، ويرسله إلينا بالأهرام.

وأخيرا فإن "وحدة دراسات الثورة المصرية تهتم أيضا بتسجيل الانطباعات المختلفة عن الزعماء المصريين سواء بعد ١٩٥٢ أو قبل قيام الثورة.

وبالطبع فإن هذا النداء ليس موجها فقط للمصريين وإنما هو يخاطب المواطنين فى العالم العربى ، والعالم الثالث على وجه العموم، بل نحن نرحب أيضا بالشهادات التاريخية من مختلف دول العالم.

لقد آن الأوان أن نتعلم من دروس الماضى، ونعطى مزيدا من الاهتمام لتوثيق وحفظ تاريخ أمتنا وحماية ذاكرتها، لقد آن الاوان لكى نضع ضوابط وقواعد عامة تطبق فى جميع العصور حتى لا نتخلف عن الأمم المتحضرة التى سبقتنا الى ذلك، وحتى نتطلع إلى المستقبل، وإلى تحديات القرن الحادى والعشرين التى تحتاج منا الى الاتحاد من أجل وضع استراتيجية بعيدة المدى لتحقيق أهدافنا القومية، وإلا سبقتنا باقى الأمم وظللنا فى المؤخرة نتناحر حول مفاهيم أثيرت فى أوائل القرن العشرين واستخدمت نفس التعبيرات فى الجدل الذى دار حولها، بل استخدمت الوسائل نفسها لحسم هذا الجدل لمصحلة التخلف والتأخر على حساب أمتنا وشعبنا."

الفصل السابع

فن المقال النقدى

حين ظهر "المتنبى" ملأ الدنيا وشغل الناس، كما يقول ابن رشيق، واختصم الأدباء فى شعره، وقطعوا " الأزمان" المتواصلة فى تحديد أغراضه، وتعصب له فريق، وغض من شأنه فريق، وكان من الذين غضوا من شعره الصاحب بن عباد، وألف فيه رسالة سماها: "الكشف عن مساوىء المتنبى "أقامها على التنقص منه والحط من مقداره"، وقد ذكر الرواة أن الصاحب كان هين المكانة حين وفد المتنبى على ابن العميد، وكان يودّ لو قصده أبوالطيب، فلماَ تجاهله جزع وسخط، وألف فيه هذه الرسالة، وذكر فيها من شعر المتنبى أمثلة للغموض والتعقيد والركاكة وقبح الألفاظ واستكراهها. وكان أبوالفتح عثمان بن جنى من ناحية أخرى يرفع من مقداره، ويشيد من ذكره، وأصبح لكل منهما أشياع"[1].

وفى هذه "الحلبة"، وذلك المعترك ألف القاضى على بن عبد العزيز الجرجانى كتاب"الوساطة". قال الثعالبىّ فى اليتيمة:

"ولما عمل الصاحب رسالته المعروفة فى إظهار "مساوىء المتنبى" عمل القاضى أبو الحسن كتابه: "الوساطة بين المتنبى وخصومه فى شعره"، فأحسن وأبدع، وأطال وأطاب، وأصاب شاكلة الصواب، واستولى على الأمر فى فصل الخطاب، وأعرب عن تبحره فى الأدب وعلم العرب، وتمكنه من جودة الحفظ، وقوة النقد، فسار الكتاب مسير الرياح، وطار فى البلاد بغير جناح، وقال فيه بعض العصريين من أهل نيسابور:

أيا قاضياً قد دنت كتبه

وإن أصبحتْ دارُه شاحطهْ

كتابُ الوساطة فى حُسنِهِ

لعقْدِ معاليك كالواسطِهْ

---

(١) محمد أبو الفضل إبراهيم، وعلى محمد البجاوى (تحقيق): الوساطة بين المتنبى وخصومه، للقاضى على بن عبد العزيز الجرجانى، المقدمة ص ج.

وقال صاحب كشف الظنون:

"أما القاضى أبو الحسن فإنه ادعى التوسط بين خصوم المتنبى ومحبيه، وذكر أن قومًا مالوا إليه، حتى فضّلوه فى الشعر على جميع أهل زمانه، وقومًا لم يعدّوه من الشعراء وازدروه غاية الازدراء حتى قالوا: إنه لا ينطق إلاّ بالهوى! ولم يتكلم إلاّ بالكلمة العوراء .. فتوسط بين الخصمين، وذكر الحق من القولين"(١)

فالوساطة النقدية ــ إذن ــ ثمرة من ثمار الدرْس الأدبى، حين يتميز باستقصاء البحث، وشمول الفكرة، وتوضيح العلل، والموازنة العامة بين المبدعين، ولذلك جاء كتاب القاضى الجرجانى فى عصر وصل بالنقد الأدبى إلى مناطق ازدهار، إذ بلغ النقد فى القرن الرابع إلى أوجه، فصار "خصبا، متسع الآفاق، معتمدًا على الذوق الأدبى السليم، مؤتنسا بمناحى العلم فى الصورة والشكل؛ لافى الجوهر والروح"(٢).

وعُنى النقاد بدراسة الشعر وتقدير رجاله "وتخاصموا فيهم، فهذا ينتصر لأبى تمام، وذاك يتشيع للبحترى، وهؤلاء يرفعون من مقدار المتنبى، وينسبون إليه كلّ فضيلة فى الشّعر، وأولئك ينتقصون منه ويرمونه بالتعقيد والمعاظلة والالتواء، وعمرت بأحاديثهم مجالس الأدب، وسارت مقالاتهم وكتبهم فى كل صُقع وواد"(٣).

وما أشبه الليلة بالبارحة، حين نجد فى العصر الحديث ألوانًا من هذا "النقد المتحامل" على حد تعبير د. عز الدين إسماعيل، ذلك أن "العمل النقدى هو قبل كل شىء أمانة ومسئولية، أمانة مع النفس ومع الآخر، ومسئولية اجتماعية بالغة الخطورة. وكلا المجامل والمتحامل ممن يكتبون كلاما يريدون له أن يكون نقدا- كلاهما غير أمين مع نفسه بالدرجة نفسها، وكلاهما لا يستشعر أدنى مسئولية للكلمة التى يكتبها إزاء القطاع العريض من القراء. إذ المجاملة، شأنها شأن التحامل، إنما تسىء إلى المنقود من جهة، وتضلل القراء عن الحقيقة من جهة أخرى. فهى تسىء إلى المنقود من جهة أنها تكذب عليه حين تجامله، وتكذب عليه حين تتحامل عليه. ذلك أن المجاملة تنطوى على إطراء مالا يستحق الإطراء، كما

(١) نفسه، ص ج

(٢) طه احمد ابراهيم: تاريخ النقد الأدبى ص ١٤٧

(٣) محمد أبو الفضل إبراهيم، وعلى محمد البجاوى: السابق ص ب

أن التحامل من شأنه أن يبخس الناس أشياءهم.. فى الحالة الأولى يأخذ المنقود الزهو فيعطله ذلك عن الإبداع الحقيقى وعن النماء، وفى الحالة الثانية قد يحبطه التحامل فيصرفه عن وجهته.

هذا فيما يتعلق بالمنقود. أما جمهور القراء فهو الضحية، وهو الخاسر فى الحالين.. وعلى كل فإن هذا الطراز أو ذاك من الكتابة، لا يمثل كل أشكال الممارسة النقدية، فإلى جانب هذا الزبد الذى مايلبث أن يتبدد، هناك الممارسات النقدية الجادة والمسئولة التى تنشر فى المجلات الثقافية أو المجلات المتخصصة، وهى المعيار الحقيقى لحركة النقد فى واقعنا العربى.. وإذا كانت الأهواء والمصالح الشخصية تستخفى وراء الكتابة النقدية فى شكليْها المُجامِل والمُتحامِل، فإن الكتابات النقدية الجادّة لا تسعى إلا وراء شىء واحد هو الحقيقة، وهى من أجل ذلك تتحرّى الالتزام بمنهج موضوعى قدر الطاقة فيما تعرض له من أعمال فنية." [(١)]

النقدالأدبى ليس "حربا"، ولا يراد له أن يكون كذلك، إذ "الحرب" هنا لن تسفر إلا عن "نقد متحامل"، كما تقدم، يغدو بدوره قيدا معوّقا لحرية الفن وتقدمه. ونذكر فى هذا السياق مايروية أديب إيطالى فى عصر النهضة: من أن "زويلس" Zoilus ـ وهو مثال الناقد المتحيز ـ تقدم يومًا لأبولّلو بنقد قاسٍ لأحد الكتب الخالدة. وكان "زويلس" قد عاش فى القرن الرابع قبل الميلاد. وقد نقد "هوميروس" نقدا مرّا.. فسأله أبوللو" عمّا فى الكتاب من محاسن، فأجابه بأنه لا يُعنى إلاّ بالكشف عن الأخطاء، فناوله "أبوللو" كمية من عيدان القمح بسنابلها، وأمره أن يستخرج لنفسه، جزاءً له، عيدانها مجردة من السنابل.. من أجل ذلك كلّه ينثر فى هذا الفصل مجدّدًا قضية خلو النقد من التعصب الذى يستر الحقائق، وضرورة اعتصام الناقد بالمبادىء التى تمثل محور النقد.. وهى كما يقول د.غنيمى هلال رحمه الله ـ تقوم على الحجة والشروح المستقاة من التجارب الفنية، ذلك أن النقد الصحيح كالأدب؛ فى وحدة غايتهما الإنسانية والفنية.

ليس النقد حربا، ولا تحاملا، ولكن مهمته الأساسية هى أن "يوحى وأن يشجع وينير السبيل[(٢)]. فإذا كان الشاعر الكبير يجعلنا مشاركين له فى فهمه

---

(١) مجلة المنهل العدد ٤٨٠ ـ المجلد ٥١ ـ شوال / ذو القعدة ١٤١٠هـ.

(٢) أحمد أمين: النقد الأدبى ص ١٧٩

الأعظم لمعنى الأدب، فإن "ناقدا كبيرا قد يجعلنا مشاركين له فى فهمه الأعظم لمعنى الأدب. والناقد الحق هو الذى يزاول عمله بمعرفة عن موضوعه؛ هى فى عمقها وصحتها أعظم بكثير من معرفتنا نحن، فهو الذى قد وهب مواهب خاصة من عمق النظرة والتغلغل والتفهم. والناقد كثيرا ما يعطينا وجهة نظر جديدة تماما، وكثيرا ما يؤدى مساعدة خاصة بأن يترجم إلى تعبير محدد إحساسات لنا كنا نحس بها إحساسا مبهماً غامضا ليس له قيمة عملية. فهو كما يقول أحمد أمين: إنما يستكشف أرضا جديدة حينا، وهو حينا آخر رفيق صديق يدلنا على جوانب غير منظورة من الأشياء التى نمر بها فى طريقنا؛ حتى من تلك التى نعرفها معرفة جيدة. وهكذا يعلمنا أن نقرأ ثانية لأنفسنا بذكاء أعظم وبتقدير أعمق.. هذا النموذج الإيجابى للناقد، هو الذى تنشده الصحف، فهو الذى يرى للنقد الأدبى وظيفتين، هما: **التفسير** من جهة، **والتقويم** من جهة أخرى.

الفن الصحفى ومجالات النقد الفنى:

ومجالات النقد الفنى تتعدد بتعدد الفنون التى تعنى بها الصحيفة، فهى تشمل:

١- النقد الأدبى
٢- النقد المسرحى
٣- النقد السينمائى
٤- النقد التليفزيونى والإذاعى
٥- النقد التشكيلى

وهذه المجالات النقدية ترتبط بالصفحات المتخصصة التى تفردها الصحف للفنون الأدبية والإعلامية والتشكيلية، وهى الصفحات التى تشمل: **المقال العْرضى، والمقال النقدى** معا. ومن أمثلة ذلك فى **المقال العرْضى**: عرض كتاب أو مسرحية أو فيلم سينمائى، أو حفل موسيقى أو معرض من معارض الفنون التشكيلية.. فى حين يشمل **المقال النقدى** العْرض والنقد معا، من حيث فهم النقد على أنه: تفسير، وتقويم.

والفرق بين المقال العْرضى، والمقال النقدى، أشبه بالفرق بين القصة الخبرية، وفن المقال. فى التحرير الصحفى. فالمقال النقدى يكتبه ناقد متخصص فى مجال فنى من المجالات التى تُعنى بها الصحيفة، بعد أن يكون قد قرأ الكتاب أوشاهد المسرحية، وقّومها تقويما نقديا.

والناقد يجب أن يكون كما قال "ماثيو أرنولد" قادرا على أن يرى الشيء كما هو في الحقيقة، وألا يزيغ في ضبابٍ من ميوله الخاصة وأفكاره السابقة. ولذلك يذهب علماء النقد الأدبي إلى أن أروع مثال لذلك هو "جونسون" الذي كان ناقدا بارعا للأدب في حين كان على العكس تماما حين يتناول الأدباء الذين لايتعاطف معهم لسبب ما. وهكذا نجد أحسن عمله في نقده لبوب وأديسون اللذين كانا داعيين للمثل الأدبية التي كان يقدرها، ونجد أسوأ عمله في نقده لملتون وجراي. فقد أفسد حكمه على الثاني مخالفته له في الميول الشخصية والأدبية، وأفسد حكمه على الأول مخالفته في المذهب السياسي. وكولردج الذي يعد من الطبقة الممتازة للنقاد الانجليز في عمق النظرة والبديهة الشاعرية. كانت قدرته على رؤية الأشياء كما هي في الواقع كثيرا ماتتهدم بأفكار سابقة ميتافيزيقية، وبتقديس لبعض أدباء معينين؛ يشبه في سخفه وقيامه على غير أساس تقديس كتاب القرن السابع عشر والثامن عشر.

وفي نموذج الناقد المتحامل في الصحف والمجلات من الشواهد على فساد الحكم الكثير، حتى ليصبح الميل والهوى سمة لهذا النموذج المتحامل، تتعارض مع صحة نظرة نموذج الناقد الايجابي، الذي يتميز بالموضوعية والتجرد، على النحو الذي يجعلنا نستعيد الصورة التي استهللنا بها هذا الفصل، عند الحديث عن نقاد المتنبي، وكيف عابه الكثيرون من نماذج "الناقد المتحامل" الذي لم يختف في العصر الحديث، رغم تقدم العلم، وسعي النقد الأدبي إلى الموضوعية، والإفادة من مناهج العلوم الإنسانية خاصة، ومن تقدم البحوث فيها.. ولاسيما بعد أن تعمقت هذه العلوم في "دراسة الإنسان وتحليل مظاهر نشاطه"، والإيمان بأن"للظاهرة الإنسانية الواحدة جوانب مختلفة، البحث فيها يغني ويكمل بالخلاف. لأن كل باحث ينظر إلى جانب من جوانبها، فيتحدث عنها كأنه على النقيض ممن يتحدث عن الجانب الآخر. والحقيقة أن كليهما يتمم الآخر إذا صرفنا النظر عن بعض كلمات وتعبيرات لا تتصل بطبيعة البحث، وهي التي نضعها في الظاهر على طرفي نقيض. فنقد أفلاطون، مثلا، لايناقض نقد أرسطو، وإن كان يخالفه مخالفة كبيرة، لأن كلا منهما يتحدث عن الأدب في حدود فلسفته الخاصة[1].

---

(١) د. محمد غنيمي هلال: المدخل إلى النقد الأدبي الحديث ص ٢٢.

ولذلك يرتكز النقد الفنى والأدبى، على فلسفة تعدُّد الأسباب للشىء الواحد، فقد يرجع الخلاف إلى تعدد جوانب موضوع المناقشة ومادة ذلك الموضوع، أو الأقيسة المنطقية التى يخضع لها كل جانب من هذه الجوانب. فالأدب ــ بوصفه موضوع النقد ــ تتعدد جوانب مادته: فقد ينظر إليه بوصفه إنتاجًا فنيا وكفى، أو إلى الجمهور الموجّه إليهم ذلك الأدب، وأثرهم فيه، اوسلبيتهم تجاهه، أو إلى الأديب نفسه فى سلبيته أو إيجابيته فى أدبه ومجتمعه، أو إلى الأدب بدوره، بوصفه وسيلة لإصلاح اجتماعى أو سياسى، أى مظهرا من مظاهر نشاط الإنسان المدنى فى العصر الذى هيئ له أن يباشر فيه رسالته"[1].

من أجل ذلك نرى فى"الوساطة النقدية"، وظيفة من أهم وظائف الفن الصحفى، فى القديم وفى الحديث، لتصحيح بعض المفاهيم السلبية، التى يجسدها نموذج النقد المتحامل، ممثلاً فى "العيب والثلم أو التجريح"، ويستعمل فى معنى " تعقب الأدباء والفنيين والعلماء والتركيز على أخطائهم وإذاعتها قصد التشهير، والثلب ونشر العيوب والمآخذ. وقديما ألف أبو عبدالله محمد بن عمران المرزبانى المتوفى سنة ٣٨٤ هـ ـ كتابه الموشح ـ فى مآخذ العلماء على الشعراء ضمنه ماعيب على الشعراء السابقين من لفظ أو معنى أو وزن أو خروج على المألوف من قوانين النحو والعروض والبيان." [2].

ولسوف نحاول هنا تجنب هذا النموذج، نموذج النقد المتحامل الذى يرى النقد "عيوبا ومآخذ" فقط لأنها ليست من أغراض الدراسة النقدية، التى تتوجه صوب التقدير الصحيح لأى أثر فنى، وبيان قيمته فى ذاته ودرجته بالنسبة إلى سواه. حتى لنقول مع صاحب "الوساطة": "إن التفاضل ـ أطال الله بقاءك ـ داعية التنافس، والتنافس سبب التحاسد. وأهل النقص رجلان: رجل أتاه التقصير من قبله، وقعد به عن الكمال اختياره، فهو يساهم الفضلاء بطبعه، ويحنو على الفضل بقدر سهمه، وآخر رأى النقص ممتزجا بخلقته، ومؤثلا فى تركيب فطرته، فاستشعر اليأس من زواله، وقصرت به المهمة عن انتقاله، فلجأ إلى حسد الأفاضل، واستغاث بانتقاص الأماثل، يرى أن أبلغ الأمور فى جبر نقيصته، ووسمهم بمثل سمته، وقد قيل:

---

(١) د. محمد غنيمى هلال: المدخل إلى النقد الأدبى الحديث ص ١٤.

(٢) أحمد الشايب: أصول النقد الأدبى ص ١١٥.

وإذا أراد اللـــه نشـــر فضيلـــةٍ

طويـت أتـــاح لهـــا لســـانَ حســـودِ

"صدق والله وأحسن! كم من فضيلة لولم تستثرها المحاسد لم تبرح فى الصدور كامنة، ومنقبة لولم تزعجها المنافسة لبقيت على حالها ساكنة ! لكنها برزت فتناولتها ألسن الحسَّد تجلوها، وهى تظنّ أنها تمحوها، وتشهرها وهى تحاول أن تسترها، حتى عثر بها من يعرف حقها، واهتدى إليها من هو أولى بها، فظهرت على لسانه فى أحسن معرض، واكتست من فضله أزين ملبس، فعادت بعد الخمول نابهة، وبعد الذبول ناضرة، وتمكنت من بر والدها فنوهت بذكره، وقدرت على قضاء حق صاحبها فرفعت من قدره:

(وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم)

ثم يقول القاضى الجرجانى: "ولم تزل العلوم - أيدك الله - لأهلها أنسابا تتناصر بها، والآداب لأبنائها أرحامًا تتواصل عليها، وأدنى الشّرك فى نسب جوار، وأول حقوق الجار الامتعاضُ له، والمحاماة دونه، وما من حفظ دمه أن يُسفك، بأولى ممن رعى حريمه أن يهتك، ولاحرمة أولى بالعناية، وأحق بالحماية، وأجدر أن يبذل الكريم دونها عرضه، ويمتهن فى إعزازها ماله ونفسه من حرمة العلم الذى هو رونق وجهه، ووقاية قدره، ومنار اسمه، ومطية ذكره.

"وبحسب عظم مزيته وعلو مرتبته يعظم حق التشارك فيه، وكما تجب حياطته، تجب حياطة المتصل به وبسببه. وما عقوق الوالد البرّ، وقطيعة الأخ المشفق، بأشنع ذكرا، و لا أقبح وسما من عقوق من ناسبك إلى أكرم آبائك، وشاركك فى أفخر أنسابك، وقاسمك فى أزين أوصافك، ومت إليك بما هو حظك من الشرف، وذريعتك إلى الفخر.

"وكما ليس من شرط صلة رحمك أن تحيف لها على الحق، أو تميل فى نصرها عن القصد، فكذلك ليس من حكم مراعاة الأدب أن تعدل لأجله عن الإنصاف، أو تخرج فى بابه إلى الإسراف، بل تتصرف على حكم العدل كيف صرفك، وتقف على رسمه كيف وقفك، فتنصف تارة وتعتذر أخرى، وتجعل الإقرار بالحق عليك شاهدا لك إذا أنكرت، وتقيم الاستسلام للحجة - إذا قامت - محتجاعنك إذا خالفت، فإنه لاحال أشد استعطافا للقلوب المنحرفة، وأكثر استمالة

للنفوس المشمئزة، من توقفك عند الشبهة إذا عرضت، واسترسالك للحجة إذا قهرت، والحكم على نفسك إذا تحققت الدعوى عليها، وتنبيه خصمك على مكامن حيلك إذا ذهب عنها، ومتى عُرفْت بذلك صار قولك برهانا مسلما، ورأيك دليلا قاطعا، واتهم خصمك ماعلمه وتيقنه، وشك فيما حفظه وأتقنه، وارتاب بشهوده وإن عدلتهم المحبة، وجبن عن إظهار حججه وإن لم تكن فيها غميزة، وتحامتك الخواطر فلم تقدم عليك إلا بعد الثقة، وهابتك الألسن فلم تعرض لك إلا في الفرط والندرة[١]."

والقاضي الجرجاني يحدد معالم' الوساطة النقدية، ومنهجها الذى نحاول ترسّمه صدد دراسة فن المقال النقدىّ في الصحف والمجلات، ومايثيره نموذج 'النقد المتحامل، الذى رآه القاضي الجرجاني منذ قرون، حين نظر في نقاد المتنبى، فوجد هذا النموذج المتحامل، الذى يروم "إزالته" عن رتبته، فلم يسلم له فضله، ويحاول حطه عن منزلة بوّأه إياها أدبه، فهو يجتهد في إخفاء فضائله، وإظهار معايبه، وتتبع سقطاته، وإذاعة غفلاته". وهذا النموذج المتحامل، يقابله النموذج المجامل، وكلا الفريقين "إما ظالم له أو للأدب فيه، وكما أن الانتصار جانب من العدل لايسده الاعتذار، فكذلك الاعتذار جانب هو أولى به من الانتصار، ومن لم يفرق بينهما وقفت به الملامة بين تفريط المقصر، وإسراف المفرّط، وقد جعل الله لكل شئ قدرا، وأقام بين كل حديث فضلا، وليس يُطالب البشر بما ليس في طبع البشر، ولا يلتمس عند الآدمى إلا ما كان في طبيعة ولد آدم، وإذا كانت الخلقة مبنية على السهو وممزوجة بالنسيان فاستسقاط من عز حالهُ، والتحامل على من وُجّه إليه ظلم.

"وللفضل آثار ظاهرة، وللتقدم شواهد صادقة، فمتى وجُدت تلك الآثار وشوهدت تلك الشواهد فصاحبها فاضل متقدم، فإن عثرله من بعد على زلة، ووجدت له بعقب الإحسان هفوة انتحل له عذرٌ صادق، أو رخصة سائغة، فإن أعوز قيل: زلة عالم، وقل من خلا منها، وأىُّ الرجال المهذَّب ولولا هذه الحكومة لبطل التفضيل، ولزال الجرح ولم يكن لقولنا فاضل معنى يوجد أبدا، ولم نسمْ به إذا أردنا حقيقة أحدا، وأى عالم سمعت به ولم يزلّ ويغلط، أو شاعر انتهى إليك

---

(١) القاضي على بن عبدالعزيز الجرجاني: الوساطة بين المتنبى وخصومه، ص ٣

ذكره لم يهف ولم يسقط! ودونك هذه الدواوين الجاهلية والإسلامية فانظر هل تجد فيها قصيدة تسلم من بيت أو أكثر لا يمكن لعائب القدح فيه، إما فى لفظه ونظمه، أو ترتيبه وتقسيمه أو معناه، أو إعرابه؟ ولولا أن أهل الجاهلية جُدُّوا بالتقدم واعتقد الناس فيهم أنهم القدوة، والأعلام والحجة لوجدت كثيرا من أشعارهم معيبة مسترذلة، ومردودة منفية. لكنّ هذا الظن الجميل والاعتقاد الحسن ستر عليهم، ونفى الظِّنَّة عنهم، فذهبت الخواطر فى الذبّ عنهم كل مذهب، وقامت فى الاحتجاج لهم كل مقام[1] "

ومفهوم الوساطة النقدية أقرب إلى جوهر الفن الصحفى، تأسيسا على أن الأدب ـ كما يقول الحكيم ـ هو الكاشف الحافظ للقيم الثابتة فى الإنسان والأمة، الحامل الناقل لمفاتيح الوعى فى شخصية الأمة والإنسان.. تلك الشخصية التى تتصل فيها حلقات الماضى والحاضر والمستقبل.

وإذا كان المفهوم اللغوى لـ"الوساطة" يرجع بنا إلى "الشمس" حين "تتوسط" السماء، فإن الوساطة النقدية' منهج يجمع بين اعتبارات شتى، ويؤلف بين نظرات مختلفة، حين يختار الأثر من بين مختلف الآثار "بذوقه، كاشفا عن نواحى جماله، ثم يحلّله بغربال علمه، ليخرج لنا ما انطبق منه على الأصول ومالم ينطبق. وذلك لمجرد التحليل والبحث والدرس، لا لإصدار الأحكام بناء على هذا الاعتبار وحده، فإذا فرغ من ذلك بقى أمامه الشطر الأجلّ من عمله النقدى، وهو تقييم الأثر بقيمته فى المحيط الأدبى القومى أو الإنسانى، ووضعه فى مكانه، ومقارنته بالسابقين له، مبينا مدى تأثره إياهم، ومبلغ اتفاقهم معهم فى المذهب، أو اختلافه عنهم فى المسلك"، على حد تعبير أستاذنا توفيق الحكيم رحمه الله، الذى قال: "إن العمود الفقرى للشخصية الفنية هو سلسلة آثار، يستطيع الباحث أن يتتبع فى حلقاتها صفاته وعيوبه ولوازمه وعاداته، ومزاجه واتجاهاته. لهذا كان على النقد الفنى أن يفرق دائما بين فنان فى أعماله الأولى، يتلمس خطاه نحو شخصيته، وفنان عرف له طريق واتجاه. فقضية النقد للمبتدئ تتلخص فى "كيف صنع هذا"؟.. وقضية النقد للناضج هى: لماذا صنع هذا؟ الأول لم نعرف له شخصية بعد، فعلينا أن نعينه على معرفة طريقه إليها، فنناقشه، كيف أنتج هذا الأثر؟ وماهى حياته؟ وما أدواته؟ وأى خطى يتأثر؟ وفى أى طريق يسير؟ وبأسلوب من تشبع؟ ولأفكار من تشيع ؟ أما

---

(١) القاضى على بن عبدالعزيز الجرجانى: الوساطة بين المتنبى وخصومه، ص ٤

الثانى، وقد عرفنا شخصيته ووجهته، فواجبنا أن نبحث : لماذا أخرج هذا الأثر الأخير، ليحقق به أى جانب من جوانب شخصيته التى نعرف عنها الكثير؟ لماذا صنع هذا؟ أترى الغرض منه تأكيد فكرة من أفكاره السابقة؟ أو الرجوع عن بعض هذه الأفكار؟ أو الانحراف إلى اتجاه جديد لاتعرفه له؟ أو الخضوع لإحساس بعينه يلاحقه وللأديب القديم يفسر عمله.. ينبغى للنقد الفنى أن يوجه الجديد الى شخصيته التى لم تظهر، وأن يفسر للقديم شخصيته التى ظهرت..ذلك أن مهمة النقد ـ فيمايرى الحكيم أيضا ـ هى أن يربط هذه الحلقات بعضها ببعض، ليجعل منها هذه السلسلة الذهبية التى يزدان بها صدر البشرية".

والوساطة النقدية فى الفن الصحفى تقوم بهذه العملية فى الربط بين الحلقات، لأنها فى حقيقة أمرها تقوم بعمل إنشائى ضخم. ولسنا بمبالغين لوقلنا ـ مع الحكيم ـ إن الآثار الأدبية بغير نقد بنائى يربط بين أجزائها واتجاهاتها، لايمكن أن تصنع أدبا بالمعنى المعروف فى الآداب الكبرى. وشأن النقد فى الأدب كشأن الفقه فى القضاء.. فليس الحكم العادل وحده هو الذى يصنع علم القانون، كما يعرف فى الأمم الكبرى.. فما أكثر الأحكام العادلة التى تصدرها مجالس التحكيم عند البدو أوعند كثير من القبائل الفطرية!.. فهل نستطيع أن نسمى هذه الأحكام قضاء بالمعنى القانونى؟لا.. لماذا؟ لأنه ينقصها الفقه، الذى يجمعها ويمحصها ويرتبها، ويستخرج منها الاتجاهات والنظريات والمذاهب والمبادئ. فالفقهاء فى الشريعة الإسلامية والقوانين الرومانية والأوربية، قديما وحديثا، هم الذين يغوصون فى أعماق النصوص، وتفسيراتهم للأحكام، قد شيدوا هذا البناء الضخم المتناسق المتماسك لهذه الشرائع والقوانين. كذلك النقاد: أى فقهاء الأدب والفن، بانكبابهم على الآثار الأدبية والفنية، يستخلصون منها التفسيرات والمقارنات والمذاهب والاتجاهات، قد أقاموا بجهودهم المتصلة صروح الآداب والفنون، فالأدب العربى القديم، ماعاش حتى اليوم أدبا خصبا، وما بقى تراثا غنيا: إلا بفضل رواته ونقاده وباحثيه الذين تفقهوا فى درسه ووازنوا بين شعرائه وأدبائه، وأظهروا لنا أسرار أساليبه، وآيات بلاغته، وكشفوا عن مؤثراته ومراميه، ومدارسه واتجاهاته، فى مختلف العصور والأزمان، فالادب الفنى لابدله من نقد إنشائى، كما أن القضاء العظيم لابدله من فقه عميق. ولعل ما يبدو على الأدب العربى الحديث من فقر، بالنسبة إلى الأدب العربى القديم، راجع ـ لا إلى ضعف الإنتاج الفنى الحديث فى ذاته، بل إلى ظهوره وحيدًا غير مستند إلى نقد إنشائى فى مستواه يقوم بمهمة التنظيم والتفسير والربط والتبويب.. فكان من أثر ذلك الإهمال أن بدأ الأدب

العربى الحديث فى صورة جهود فردية غير جدية.. وسيظل كذلك إلى أن يظهر النقاد العظام الذين يتوفرون على درسه، ويخرجونه للناس والأجيال، بناء متسقا، مرتبطا حاضره بماضيه.. على أن ظهور الناقد العظيم ليس بالأمر السهل، فللناقد صفات يجب أن تتوافر فيه، أهمها:أن يكون كفقيه القانون، بحرا عميق الاطلاع فى الأدب الذى يدرسه، والآداب الأخرى القائمة، ماضيها وحاضرها، حتى يتيسر له التقدير للقيم والموازنة بين الأنواع، والتشريع للمذاهب، وأن يكون واسع الأفق، ليفهم كل الأغراض، قوى المعدة، ليهضم كل الألوان".

يقول الحكيم: إن "ذلك الذى لا يستسيغ نوعا من الشعر، أولونا من النثر، أو فرعا من القصص، أو ضربا من التمثيل.. لايجوز له أن يقوم على نقده، وإبداء الرأى فيه. وعليه أن يتنحى ويرد نفسه عن الحكم، شأن القاضى الذى كون فى القضية رأيا قبل البحث، أو اتصلت ظروفها بعلمه قبل النظر.. ففى لغة القانون يقولون: "ليس للقاضى أن يحكم بعلمه.. ذلك أن القاضى يجب أن يحكم بناء على مابين يديه من مستندات.. لابما يتصل بعلمه الشخصى.. كذلك فى لغة الفن يجب أن نقول "ليس للناقد أن يحكم بعلمه"، ذلك أن الناقد يجب أن يحكم على الأثر الأدبى أو الفنى، بناء على قيمته الذاتية، لا بما يمليه عليه مزاجه الخاص.. فالناقد الذى يكره مثلا شعر المديح، إما أن يمتنع عن نقد قصيدة فى المديح وإما أن يتجرد من بغضه للنوع، ويزنها بميزانها فى نوعها.. ولكن ليس له أن يسبّها لمجرد أنها فى المديح، وهو يكره هذا النوع من أنواع الشعر". هذه الصفات من لوازم "الوساطة النقدية فى المقال الصحفى خاصة إنما تستهدف إقامة ميزان النقد الأدبى على نحو منتج، وبقيام هذا الميزان فى أدب من الآداب على حد تعبير الحكيم - يقوم "صرحه شامخا على أعمدة الزمان" أو كما قال زهير:

هُمُ وسَطٌ يرضى الأنام بحكمهم

إذا نزلت إحدى الليالى بمعظَم

ولذلك نذهب إلى أن مفهوم الوساطه النقدية فى الاتصال الصحفى، يتجنب النزوات الشخصية "التى هى - كما يقول رتشاردز" كثيرا ما تعرقل عملية النقد الصحيح وتطيح بكيان العمل الفنى، ذلك أنها تزج به داخل إطار ضيق مغلق تحده الميول الذاتية والاتجاهات الفردية. وهذه النظرة الضيقة تسوقنا إلى خارج طبيعة العمل الفنى الذى ينظر إليه "رتشاردز" على أنه مجموعة من التفاعلات والتركيبات المعقدة التى تحتاج من الناقد أو القارئ إحساسا عميقا ووعيا ودراية وحذقا قبل

الإقدام على عملية التقييم. وهذه الأمور كلها غالبا لاتتوفر عند الكثيرين، ولهذا جاء نقدهم صدى لما تجيش به صدورهم مما أبعدهم عن محيط الموضوعية. ولهذا كانت فائدته محدودة للغاية إذ إنها مقصورة على بعض آراء شخصية لا تغنى ولاتسمن من جوع.

ولذلك يذهب "اليوت" إلى أن تربية الذوق الفنى السليم وهى إحدى الوظائف الهامة للنقد المتكامل، لاتتأتى من وراء مثل هذه النزوات، إذ أن هذه الحساسية إنّما تحيا فى رحاب الموضوعية، وتتغذى على منابعها وأصولها الكلاسيكية، كما تستند إلى نظرتنا الرحبة إلى التقاليد، فهى التى تقويها وتدعمها وتشد من أزرها حينما نخطو بكلياتنا إلى المحيط الخضم للفنون والآداب، فنتلمس الماضى وقدتردد صداه فى حاضرنا وواقع حياتنا الراهنة، ونشق طريقنا وسط النصوص والنماذج المعقدة "لنخرج منها بتراث غنى ملىء بالجولات الفكرية بقدر مايشع من كل جنباته بالانفعالات والعواطف الجياشة".[1]

هذا الثراء الفكرى والوجدانى، الذى أشاد به "اليوت" ركن جوهرى فى الوساطة النقدية الإعلامية، حين تصاغ فى قالب موضوعى يرتكز على التعادل التام بين الحقائق الخارجية والوجدان، أو مايسميه "اليوت" بالمعادل الموضوعى The objective Correlatve الذى يمكن بواسطته تحقيق موضوعية العمل الفنى، أى أنه بمعنى آخر غير نابع من المشاعر والأحاسيس المباشرة. يقول "إليوت"إن السبيل الوحيد للتعبير عن الوجدان فى الفن هو إيجاد معادل موضوعى، أو بعبارة أخرى، إيجاد مجموعة من الأشياء، أو موقف أو سلسلة من الأحداث لتصبح قاعدة لهذا الوجدان بنوع خاص، حتى إذا ما اكتملت الحقائق الخارجية التى لابد أن تنتهى إلى خبرة حسية، تحقق الوجدان المراد إثارته[2]. والوساطة النقدية فى وسائل الإعلام توجه الأنظار نحو الأصالة الفكرية القائمة على التعادلية الموضوعية، تقيم الموازنات، وتعقد المقارنات بين النصوص قديمها وحديثها، لتتلألأ محاسنها، بعد أن يدرك المتلقى السبل القويمة لفهم وتذوق ومعرفة مايقرأ ما أبدعه الشاعر أوالأديب أو الفنان فى القديم أو الحديث.

---

(١) القاضى على بن عبدالعزيز الجرجانى: الوساطة بين المتنبى وخصومه، ص ٢٩

(٢) T.S Eliot, Hamlet, Selected Essays, 145

المقال العرضي :
عرض الكتب والتعليقات والآراء

"ليس من شك فى أن العملية النقدية الكاملة قد تشمل انطباعات وموضوعات جذابة تروق السُّلطة فى الماضى باعتبارها أساسا للحكم ــ وربما أكثر من ذلك. والناقد الذى انتهج طريقة أو أخرى توقف بعد قليل فى مرحلة ما من العملية قام بتأكيد فى غير أوانه على مايفضله".. قائل هذه الكلمات هو: "ستيفنسون سميث". نتخذ منها مدخلا للحديث عن الكتابة النقدية وكيف تتوفر على فى ضربين من الكتابة:

ذلك أن المقال العرضى وللنقدى فى الصحف والمجلات يكتبه مبدعون محترفون، كما يتوفر لهذه الصحف وعلى يد القراء العاديين. وعلى المشرف على التحرير أن يقرر أى الكتابات يخدم قراءه بطريقة أفضل.

والمحترف فنان: والمحترف فنان يكتب عن فنه و، ولديه خلفية من التدريب، والمعرفة، والممارسة تزوده ليكون خبيرا. ومادته على درجة من الأهمية لقرائه الذين هم مشغولون مثله. وهو يكتب لزملائه المحترفين وأنصاف المحترفين مستخدما لغة الحرفة.

والإنسان العادى حرفى ماهر فى الكتابة. والإنسان العادى هو أولا كاتب يهتم بالفنون أو متذوق للفنون. وهو يفتقر إلى خبرة المحترف كفنان،ولكنه يتمتع بمعرفة عملية كافية بفن الكتابة ويعبر بأسلوب وبطريقة يحتمل أن تثير اهتمام القارئ العام. وهو كاتب، أولا، وفنان ثانيا. والمحترف فنان أولا وكاتب ثانيا. والمشرفون على التحرير يقررون اختيار النوع الذى يستخدمونه. والمشرفون على التحرير يجب أن يقوموا بحل المشكلة الأساسية؛ وهى مشكلة أى ضرب من الكتاب الناقدين يعتمدون عليه فى إرشاد قرائهم. فإذا قاموا باستكتاب "خبراء فإن غالبية قرائهم قد لا يفهمونهم. وإذا استخدموا رجالاً عاديين فإن الإخصائيين بين قرائهم قد لا يستفيدون منهم. والمشرفون على التحرير عندما يكونون أكفاء، فإنهم يستخدمون كليهما. وهذا يتوقف على اهتمامات المجتمع أو جماعة القراء. ولكن بقدر ما قد لايتيسر ذلك بالنسبة للجريدة العادية. ذلك أن معظم النقد الصحفى إنما يكتب للقارىء العام.

وعلى الرغم من أن هذا لا يزيد من قدر النقد المتسم بالخبرة والمتاح للقراء، فإنه يجعل الكتابة النقدية فى الصحافة كتابة بسيطة ويمكن فهمها فورا.

والناقد من الناس العاديين لا تعوقه الألفاظ المتخصصة فى الفن وكذلك القراء الذين تنقصهم الخبرة. فى حين أن المحترف كثيرا ما يكتب فيتجاهله معظم القراء.

أنماط الكتابة النقدية فى الصحف:

والكتابة الصحفية النقدية تميل الى أن تقع فى فئتين معترف بهما بصفة عامة هما: الطريقة الانطباعية، والطريقة الحكمية. ولكن النقاد فى الممارسة الفعلية يستخدمون الطريقتين والتقنيتين معا.

والطريقة الحكمية هى إحدى التقنيتين. والنظرية الحكمية مشتقة من فكرة أن المعايير الثابتة يمكن أن تنشأ وتحدث لكل الأعمال الفنية بحيث ينبغى أن يطابقها بقدر الإمكان. ولكى نوضح لمن يعرض رواية تاريخية جديدة، كيف يقارنها برواية "إلى أين" أو الأيام الأخيرة لبومبى؛ والكتب المماثلة" ومن يعرض لمسرحية وفق، هذه النظرية، يقبل تقنية نهائية فى مسرحيات أريستوفان أوراسين، ويقارن المسرحيات الحديثة بأعمال هؤلاء الكتاب القدامى، ومن ثم فإن كاتبا مسرحيا محدثا حين ينطلق من قاعدة الوحدات فمن المحتمل أن يدان.

وهذه هى أيسر طريقة لتقييم عمل فنى ما، إذ إنه يتطلب أساسا معرفة واسعة بما تم إنجازه فى الماضى. كما يحتاج إلى المقدرة على التعرف على مواقف مناظرة وصلات مشابهة لهذا العمل.

أما الطريقة الانطباعية فهى تقنية أخرى. والنظرية الانطباعية فى النقد تقوم على مبدأ أعلنه أناتول فرانس فحواه أن: "النقد مغامرة لروح عظيمة تقوم بها وسط روائع": ومن ثم فإن الناقد الانطباعى لايهتم إلا قليلا فى حالة إبداع فنى جديد يمكن قبوله كعمل كلاسيكى. وهذا الضرب من النقاد يعتمد أعظم الاعتماد على الانطباعات. وهو لا يقول لنا كيف تقترب لوحة زيتية من المعيار الذى وضعه عمل سابق لاستاذ ما، بل يركز على أثره عليه. وعلى الأفكار التى أثارتها لديه رؤية لوحة.

وهذه المواجهة النقدية صعبة لأنها تتطلب من النقد أكثر من النزعة الحكمية. فالنقد ينبغى ألا تكون له معرفة شائعة عادية فحسب. بل أيضا إدراك حاد وخبرة واسعة النطاق بردود فعله يعتمد بدرجة كافية ليكون على شىء من الأهمية بالنسبة لقارئه. على أن الانطباع بالقياس إلى عقلية ضحلة خرقاء لايستحق التسجيل. أما الانطباع بالقياس إلى عقلية متلهفة مشوقة للمعرفة فإنها أحيانا تزيد

من أهمية العمل الفنى الذى يجرى نقده. والنمطان يستخدمان فى الكتابة الصحفية. ففي الكتابة النقدية، على أية حال يبدو أن الناقد يتوسل بالنظرتين معاً، ويضيف إليهما وسائل أخرى للوصول إلى نتائجه التي يخلص إليها. وهذه الطريقة هى التى أدرجها الأستاذ سيتفنسون سميث، في قائمة للتوصل الى نتائج، تتوسل بمجموعة خاصة من العمليات العقلية تشمل الانطباعات والتحليل والتفسير والتوجيه والتقييم والتعميم. والناقد الانطباعى لايهتم كثيراً بالتأكيد على التوجيه. أما الناقد التسلطى auth oritarian فإنه يؤكد على التوجيه تأكيدا شديدا. ومعظم النقاد الصحفيين للدراما والأدب والرقص والفنون الأخرى يكادون أن يكونوا منضمين لهذه المدارس الخاصة بالنقد، وهذه العمليات العقلية. وكبار النقاد في الصحف الكبرى والمجلات الكبيرة على علم بها. ولكن معظم الصحف الصغرى والمجلات الفصلية تفتقر إلى القدرة أو الرغبة فى استكتاب النقاد المدربين، ويلقون عبء هذا العمل على عاتق أعضاء هيئة التحرير النظاميين أو الرجال العاديين.

المقال بين العرض والنقد :

وحصيلة الكاتب، إذ تعتمد على التدريب أو الخبرة في الكتابة التى تستهدف تقييم الأعمال الفنية والابداعية، يمكن أن تكون شكلا من الأشكال الثلاثة الآتية: **عرض العمل الفنى؛ أوالمقال النقدى أو المقال الذى يجمع بين العرض والنقد معا.**

والمقال العرضى Review مقال ينتمى إلى التقرير، عندما يتحول العاملون المنتظمون فى الجريدة إلى كتاب أحرار ويتناولون قطعة فنية، فإن أول خاطر فجائى لديهم هو تقديم تقرير عنه لا المرور عليه مر الكرام. وخاطرهم الفجائى inpulse صحيح. والمواجهتان ينبغى أن تبقى كل منهما على حدة. وينبغى ألا يفترض أن مخبرا صحفيا كفؤا هو أيضا ناقد كفؤ. وأى مخبر صحفى عام يمكن أن يذهب إلى معرض للنحت ويكتب ألف كلمة عنه. ويمكنه أن يقول إن ثلاثة تماثيل صغيرة من عمل "فلان" تعرض فى الجناح الشرقي للمتحف، أو أن جون ميتشل يمثله تمثال ارتفاعه ثلاثة أقدام لبن جونسون، ونسخة بالحجم الطبيعى لتمثال مشهور. وهو يستطيع أن يتحدث عن تقارب المداخل ويتحدث عن عدد من زاروا المعرض، ومنهم من مكانة مرموقة، وكذلك عدد القطع التى عرضت، كما يقدم بيانات أخرى من هذا الطراز.

المقال النقدى :

والنقد تقويم: ذلك أن النقد تعبير عن الرأى من جانب الناقد، وهو أكثر من تقرير. ومن ثم يختلف عن المقال العرضى الذى يعرض للعمل الفنى. فالناقد الذى يزور معرضا للنحت أو الفنون التشكيلية مثلاً، يقدم للمشرف على التحرير ضربا مختلفا تماما من الكتابة عما يفعل المستعرض للعمل الفنى. فهويناقش فيه أثر العمل النحتى على نفسه (اذا كان انطباعيا) أومميزات العمل عند مقارنته بعمل فنانين سابقين(إذا كان تسلطيا) والمفروض أن الناقد يتمتع بخبرة نظرية وعملية تتيح تقويم فن النحت وما بما قام به النحاتون القدامى والمحدثون إلى ما يتمتع به من حساسية خاصة تتيح له التواصل مع عمل الفنان.

المقال العرضى والنقدى :

هو نقد استعراضى. أو مزيج بين العرض والنقد ومعظم النقاد الصحفيين يحاولون القيام بالوظيفتين معا، لتقديم تقرير عن العمل وتقويمه.

الجرائد تغطى مجالاً واسعا :

والمطبوعات من مختلف الأنواع وبخاصة الكبرى منها، تقدم مادة نقدية لأنواع كثيرة جدا من التعبير الفنى. والصحف الكبرى تحاول أن تغطى ميدان الفن بأسره، وهى تقدم ملاحق أو تخصص أبواباً لمتابعة كل فن من الفنون وتنشر مقالات أخرى لكتاب من خارج الصحيفة فى أوقات أخرى، ولكن مجلة أسبوعية إقليمية لا تقدر على أن تفعل هذا، وربما لايكون لديها العدد الكافى من القراء الذين يعنيهم أن يطلعوا على أكثر من عمود قصير عن كتاب ومقالة عرضية عن المسرحيات الوافدة. والصحيفة اليومية فى المدينة الصغيرة تقدم مساحة منتظمة لنقد كتاب ومسرحية وموسيقى وفيلم. أما المجلات المتخصصة فتتجاهل هذا الميدان.

والمادة النقدية تستخدم عندما، تظهر ضرورتها؛ وفائدتها؛ وتخضع فى التقويم الصحفى لمعايير الصحيفة نفسها؛ ولعدد من العوامل التى قد تمليها النظرة الاقتصادية مثل: مساحة الإعلان التى يمكن أن تباع، وزيادة التوزيع المتوقعة. هذه النظرة الاقتصادية تقابلها نظرة فكرية تعود إلى الناشرين أو المشرفين على التحرير من الذين يتمتعون بثقافة عميقة؛ وإطار فكرىّ؛ وفهم لوظيفة الأدب

والفنون، ونقدها فى بناء الانسان، حين يحرصون على تقديم المادة النقدية للأدب والفنون بغض النظر عن الخسارة التجارية أوالكسب المادى. وهذه المادة ليست دائما منتظمة فى المظهر، كما أن جانبا كبيرا منها ليس له مكان فى الجرائد الصغرى.

والموضوعات الرئيسية التى تغطيها الجرائد فى أقسام النقد بها هى: الأدب والدراما والأفلام والموسيقى والفن وبرامج الإذاعة والتليفزيون. وكثير من الصحف لها أقسام أدبية. وليس هناك تجانس فى طريقة تقديم المادة للقسم الأدبى. فهناك ملاحق صحفية للكتب فى الصحف الامريكية والأوروبية؛ من اثنتى عشرة صفحة إلى ست عشرة صفحة وأقسام خاصة بالكتب تتألف من صفحتين الى ثمانى صفحات منتظمة من صفحات الجريدة، وصفحات مخصصة للكتب من صفحة كاملة أوجزء من الصفحة؛ وأعمدة خاصة بالكتب. ومعظم الأقسام الأدبية، على أية حال، تقدم عروضا للكتب ومقالات نقدية وأخبارا عن الكتب والمؤلفين. وفى الملحق الأدبى الكبير يقدم للقراء إلى جانب هذه العناصر الرائجة نصوصا من القصص والشعر وقوائم بأكثر الكتب رواجا، ومراسلات عن الأنشطة الأدبية ومقالات خاصة عن الشئون الأدبية ومتابعة لحركة الأدب فى الخارج، وإيضاحات مسهبة للمادة التى نشرت، وإعلانات عديدة. وبالإضافة الى ذلك تُقدم أحيانا عروض لكتب تباع أحيانا فى صورة مقالات وبعض المجلات تخصص أحيانا مساحة كبيرة لعروض خاصة بالكتب.

والأقسام الأدبية الكبيرة لديها هيئات تحرير مكونة من عدة أشخاص يقومون بأعمال التحرير، ويستعينون فى العمل بمحترفين يقومون بعرض الكتب. ومعظم الصحف على أية حال، تعهد بهذا العمل فى عرض الكتب لعضو منتظم من هيئة التحرير يتلقى المساعدة من زملائه ومن النقاد الخارجيين الذين يحصلون على كتب،. وقسم الكتب يحصل على الكتب بأن يطلب من الناشرين نسخا لعرضها أوباستعارتها من المكتبات. وينبغى حفظ سجلات للكتب ومن يقومون بعرضها ، وينبغى أن ترسل نسخ للمراجعة إلى الناشرين. الأمر الذى يتطلب دراسة لعالم النشر. ويقتضى هذا الأمر أيضاً من مدير تحرير قسم الكتب عملاً أكثر من مجرد إعداد النص الصحفى وتحرير صفحته أو كتابة عموده. إذ عليه أن يضع نصب عينيه تحقيق ضرب من التوازن بين عروض الكتب أومقالات النقد حتى تغطى كل أنواع الأدب ـ السيرة الذاتية والقصص الخيالى والشعر والدراما ـ وهى تكتب بعشرات الطرق. وكاتب المقال ليس مطلوبا منه أن يستخدم نمطاً تحريريا معينا

فى الكتابة مثل كاتب القصة الخبرية،. ذلك أن المقال العرضى والنقدى عادة مقال يوقع عليه الكاتب. ومن ثم فهو أكثر مرونة وأكثر صدقا وألفة من الرواية الإخبارية العادية. ويتحدد طوله بواسطة المحرر الأدبى الذى يؤسس قراره على المساحة المتاحة، وأهمية الكتاب؛ وجودة العرض. أما قسم الدراما فهو شائع فى صحف المدن الكبرى.. ويتحكم عنصر الوقت فى عمل الناقد المسرحى أكثر مما يتحكم فى عمل الناقد الأدبى. الناقد المسرحى فى الجريدة يقوم فى العادة بعرض لمسرحية جديدة فى ليلة الافتتاح، ويسلم نسخته كمادة خبرية. وهو يعمل بسرعة، لا لأن عرض مسرحية جديدة بمثابة خبر فحسب؛ بل أيضا لأن الصحيفة تريد أن تحقق وظيفة القيادة فى تقديم الإرشاد لقرائها فورًا.

والناشرون يهتمون بعرض الكتب عرضا جيدا مقدما قبل النشر، وقد تستجيب الصحيفة أولا تسجيب فتعرض الكتاب بعد صدوره،. ولكن من يقوم بعرض لمسرحية فى جريدة لايتمتع بهذه الميزة. فقراؤه يمكنهم مشاهدة المسرحية فى المساء. أما متابعة المحرر الأدبى فقد تستغرق أياما وعادة أسابيع لقراءة الكتب التى يقوم بعرضها. وقراء النقاد المسرحيين لا يأملون أن يتعرفوا على الفكر الذى تدور حوله المسرحية فحسب، بل أيضا أن يتعرفوا على ردود الفعل عند النقاد بالنسبة للأداء. وهذه الأصداء مهمة عندهم، لأن ذوق الناقد معروف من خلال مقالاته التى تتضمن ثناءًأو استهجانا. ومعظم أقسام الدراما تتألف من شخص واحد. وهذا الشخص يمكن أن يكون شخصا من خارج هيئة التحرير فى الصحيفة أويكون عضوا منتظماً فى هيئة التحرير، يخصص وقت فراغه لهذا النشاط. وفى الصحف الكبرى قد يتكون القسم من عمال عاملين عديدين يشتغلون كل الوقت ويقومون بعرض كتابى للمسرحيات يوميا تقريبا، ويعدون مقالات خاصة مثل اللقاءات مع الممثلين والإخبار عن نشاط مسرحى صغير، كما يقدمون أحاديث عن التقنيات الجديدة؛ وهم فى ذلك كله يحررون مادة لصحيفة يومية. وتقتضى واجبات الناقد المسرحى تحصيل معرفة درامية كافية ومعرفة بالمسرح وكذلك بالمسرحيات. ويضع الناقد نصب عينيه أن ماكتبه هذا المؤلف ليس أهم مما قام به الناس على خشبة المسرح من أداء لما كتبه مما يهم المتفرج. فإذا أثنى على المؤلف للتغلب على الإخراج، أو إذا أعطى الممثل ما يستحقه من سطور جميلة، فإنه قد ينجح مع دائرة العرض على المسرح ولكن أهل المسرح أنفسهم يقدمون عملاً يعرفون أين يضعونه.

وقسم الافلام السينمائية، يرسخ دعائم سوابق جديدة. فتقييم الفيلم السينمائى عمل جديد نسبيا بالنسبة لميدان النقد فى الصحف. والفيلم بقدر مايشبه المسرح، يعرض، إلى حد ما، مشكلات مختلفة بالنسبة للناقدين له.

فهناك أولا وقبل كل شيء، أفلام أكثر عددا من المسرحيات تظهر فى آن واحد فى مدينة واحدة. بل إن بضع مجتمعات لا تزورها أكثر من فرقة أو فرقتين مسرحيتين فى وقت ما، ثم تعاود الزيارة على فترات طويلة. وكثير منها ليس فيها دور للمسرح. بل إن هناك قرى صغيرة جدا سوف يكون فيها دار للسينما. والأفلام تتغير كل بضعة أيام، ونقد السينما ليس منظما تنظيما جيدا مثل نقد معظم الأنشطة الفنية الأخرى. فهو شكل جديد. أما المسرح فعمره يمتد إلى قرون، وأما السينما فعمرها بضع عشرات من السنين. كما أن المسرحية أكثر تكلفة. وكان ينظر إليها على أنها لا تستحق النقد حتى وقت قريب؛ كما يزدريها والنقاد المسرحيون. ولكن لما نشأ طلب الجمهور على تحقيق الوظيفة الإرشادية والتوجيهية فى هذا المجال، بدأت الجرائد الكبرى تولى اهتماما خاصا بأحدث العروض على شاشات السينما، ثم حذت حذوها الصحف الصغرى.

على أن طبيعة العمل فى الأقسام الفنية والأدبية تكاد أن تكون واحدة؛ بل إن المشكلات الشخصية ومشكلات التحرير والاعداد، هى تقريبا نفسها بالنسبة لقسم السينما أو قسم المسرح أو القسم الأدبى .. وقسم الموسيقى يتطلب إخصائيين. ذلك أن النقد الموسيقى يعتمد على التخصص أكثر مما يحدث فى النقد الخاص بالأدب أوالمسرح أوالسينما. والنقاد الصحفيون إذ يعملون كما يفعلون فى الشكل الأدبى يجدون من الأيسر أن يقيموا شكلا أدبيا آخر من نقل أخبار فن يتطلب تدريبا كبيرا أو يعطون إنطباعاتهم عنه، وذلك مثل الموسيقى أو النحت أو أى شكل من أشكال الفن طالما أنهم لم يحتكوا به.

وقد اهتمت الصحف بنقد الموسيقى مع الأدب والمسرح لمدة سنوات عديدة. وهؤلاء النقاد هم بالقياس إلى الموسيقى موسيقيون بالضرورة؛ بل إن أصغر جريدة لا ترسل غالبا مخبرا صحفيا عاما فى مثل هذه المهام لتغطية عزف منفرد لشخصية مشهورة موسيقية أولحفل موسيقى كونسرت يقدمه أوركسترا سيمفونى. والنقد الموسيقى بالضرورة مجاله للخبير الذى يكون فى العادة موسيقيا ممارساً له نزعة للكتابة وتتم تغطية حفل الكونسرت أو العزف المنفرد أو الأوبرا كثيرا بنفس الطريقة التى تعالج بها الكتاب أو المسرحية. والناقد الموسيقى فى

الجريدة أوالمجلة الخبرية ينبغى أن يعمل بسرعة ليواصل القيام بوظيفته كمرشد لقرائه وليحافظ على قيمة التوقيت الصحفية. والناقد الموسيقى أكثر من أى ناقد آخر تقريبا يستدعى من أجل تمرين ذاكرته المدهش كتب المراجع عن فنه، والتى تكون حاجته ماسة إليها أكثر من حاجة أى من زملائه النقاد، بهدف التأكد من حقائق مثل تاريخ الحفل الأول لأوبرا أو بداية فعل أو أول عزف لسيمفونية هامة بالنسبة له.

وقسم الفنون كثيرا مايكون عمله تقريريا reportorial . على أن هذا القسم ينبغى ألا يختلط بقسم له نفس الاسم؛ وهو ملحق بقسم التحرير حيث يقوم رسامو الكاريكاتير والمصححون وغيرهم من الفنانين بإخراج عمل أصلى أو تحسينه على الصور الفوتوغرافية، ورسوم الكاريكاتير، والرسوم التى تتلقاها الجريدة. وهيئة التحرير التى يكون لها اعتبار الآن تتألف من نقاد الفنون التشكيلية والتصويرية والأشخاص المعنيين بأخبار الفن الذين يقدمون إما سلسلة من المقالات النقدية العرضية.

والمعرفة المتخصصة هنا أيضا مطلب أساسىّ لاغنى عنه. ومعظم الجرائد التى تولى اهتماما بهذا القسم تصنع ذلك بطريقة غير نقدية. وجانب كبير منها يذهب إلى محررى أخبار المجتمع والنوادى. والصحف اليومية فقط والمجلات الثقافية الكبرى هى التى تهتم بفن النقد بصورة جادة. والسبب فى اهتمام الصحف بالنقد الاذاعى والتليفزيونى إنما يجىء أيضا استجابة للاهتمام القراء بهذا الشكل الفنى. وقسم الإذاعة والتليفزيون يزداد أهمية فى الجريدة ويتنامى بصفة متزايدة. ومع ذلك فإن لنطاق عمله علاقة بنقل أخبار الفنانين، والبرامج والقنوات. وتخصص مساحة كبيرة بانتظام لنشر بيانات عن البرامج على الرغم من أن بعض الجرائد تتحاشى القيام بهذا العمل اعتقاداً منها أنها تقدم مساحة إعلانية مجانا. والعلاقات التجارية والأسماء التجارية تحرر خارج هذه البيانات بواسطة محررين عديدين للإذاعة. والتقدير الفعلى للقيم النسبية فى البرامج تقتصر إلى حد كبير، على بعض صحف العاصمة والجرائد الأسبوعية التى تعنى بتقديم تعليق عليها.

ومهمة المستمع المحترف للراديو والمشاهد المحترف للفيديو لا تشبه مهمة زملائه النقاد.، فهو ليس فى حاجة إلى أن يترك مكتبه أو بيته لتغطية قصته. وليس لديه مشكلات فى استخدام أو رفض مواقف ـ الاستوديو ـ أوالقيام بعمل حدود

فاصلة لا ينبغى تجاوزها فى نسخته النقدية ـ ولكن ينبغى أن تكون له خلفية أوسع، وإن لم تكن بالضرورة أكثر كمالا وإتقانا وأكبر مما لدى زملائه فى المكتب. وبالنسبة للدراما والموسيقى وغيرهما من الفنون التى تذاع على موجات الأثير ـ وكذلك الخطب والوصف التفصيلى لأحداث الألعاب الرياضية أو الحفلات الأخرى والمنوعات التى يذكرها كل المشاهدين للتليفزيون والمستمعين للراديو. والناقد لبرامج الإذاعة والتليفزيون يجب أن يكون متحررا فى ذوقه. ومع ذلك يكون على علم ودراية بالمشكلات الفنية لدى هؤلاء الوافدين الجدد على ميدان النقد الصحفى.

وهناك أقسام أخرى قد تسمح للقارىء بالمشاركة.

ذلك أنه إلى جانب هذه المنافذ الأولية للرأى قبل الافتتاحية، فإن الأنواع المختلفة للأعمدة والمقال الموقع أوالمقال المنّوع من مقالات المعالم الصحفية Features وغيرها، هناك وسائل للمشرف على التحرير و كما أن هناك صفحات خاصة وأقسام وأعمدة للأخبار والتحقيقات فى معظم الجرائد، والمجلات.

رسائل إلى المحرر: وهذا الباب يقوم بعمل منتدى forum لذلك ينظر إليه على أنه يقوم بعمل ديمقراطى، ويصبح أداة تصحيح للنشر. ويولى اهتماما كبيرا للقارئ على نحو ما نرى فى المقالات والرسائل التى يبعث بها القراء إلى الجرائد الكبرى والمجلات الفصلية، والتى تخصص محررا خاصا يستطيع أن يعالج الرسائل البريدية ويعد المادة للنشر.

وتستخدم أحيانا صفحات خاصة. وقد تتألف صفحة خاصة لكتابة نقدية أو رأى .. وأمثلة لهذه الصفحات صفحات الهوايات، التى تنشر أيضاً أشعار وقصصاً ومقالات يرسلها محترفون من القراء.

وتتمتع هذه الصفحات بمدى فسيح عظيم تتيحه بدورها للقراء. وكلما كانت النسخة طبيعية ولا يدخل عليها أى تغيير؛ كانت مرضية للقراء. وهذا يؤدى إلى أن يجد القراء فى الصفحات الخاصة آراء معارضة لآراء الجريدة كمؤسسة.

والتقارير الاستطلاعية أداة شعبية رائجة، والمخبر الصحفى الذى يقوم بكتابة عمود استطلاعى lnqwring يمثل تطوراً حديثاً. وقد بلغ أقصى شعبية لدى قراء الجرائد النصفيّة (التابلويد)، وإن كانت غير مقصورة عليها. فالمخبر الصحفى والمصور بالكاميرا يزوران الموظفين فى مكاتبهم أو يوقفان المارة على ناصية

شارع ما، ويسألانهم جميعا نفس السؤال، ويسجلان إجاباتهم. ويحصلان على صورهم الفوتوغرافية التى تنشر فى الجريدة.

وهذه ليست حيلة فقط لزيادة التوزيع بل أيضا فن من فنون المعالم الصحفية features كشفت الدراسات أنه من أكثر الملامح شعبية فى الصحيفة. ومن نماذج تلك الأسئلة: هل تريد أن يطلق عليك الرصاص من بندقية؟ وهل تعتقد أن السيدات المتزوجات ينبغى أن يسمح لهن بأن يتولين مناصب فى الأعمال المالية والتجارية أو عالم الصناعة؟.

حرفة الصحفى الأديب :

"نحن(المؤلفين) ننقل خبر الفكر والروح لشخصياتنا بقدر ماننقل خبر الأفعال والأحداث فى الحياة اليومية التى هى بعد كل شىء الحوادث المادية للوجود لا الحقائق الواقعية الهامة فى الحياة. وهناك ميل فى بعض الدوائر الى أن يطلق على هذا العمل رواية خيالية. ولكن بعضه، وأنا أصر على ذلك، أدب.. والأدب الصادق هو الحياة مترجمة إلى حروف" فيرنك مولنار". (١)

الصحفى الأديب مبدع :

وتحت هذا العنوان يقول الأستاذ "ولزلى" :

"إن الأديب أو المؤلف يتميز عن الصحفى بصفة أساسية من حيث أنه يكتب كتابة إبداعية، ذلك أنه يصنع شيئا لم يكن موجودًا من قبل.

والحقائق قد تكون إطارًا لما يكتب .. والمخبر الصحفى العادى يسجل مايحدث فى العالم من حوله: مثل: "حريق أواجتماع عام أو محاكمة أوخطاب: والمخبر الصحفى النجم أو الكاتب الخاص يسمح له أحيانا بأن يقدم أخبارا من وجهة نظره الخاصة مع تعليقه على الأحداث فى الحياة المعاصرة، وكثيرا مايشرح معناها أو يفسرها والناقد الصحفى الذى يكتب عن كتب أو مسرحيات أو موسيقى أوفن من الفنون، إنما يقدم تعليقه على هذه الأعمال التى أنتجت ويفسرها أو يقومها تقويماً فنياً. ومن ثم فإنه يمكن أن يقال إن الصحفيين يسجلون ويعلقون ويفسرون.

---

(١) من كتاب مسرحيات. "فيرنك مولنار". المقدمة بقلم لويس ريتنبرج ص ١٥ سنه ١٩٢٩.

والخيال الخلاق للأديب قد ينطلق من نفس المادة التى ظهرت كخبر فى جريدة من الجرائد ويعيد تشكيلها بأسلوب ما بحيث تصبح رواية أو قصة قصيرة أومسرحية أو حتى قصيدة. وحين، يعمل هذا، لا يلزمه أن يتشبث بالحقائق كما يفعل المخبر الصحفى، وهو يستخدم الحقائق فقط كنقطة انطلاق أو كإطار لما يكتب معتمداً على الفراسة والخيال. وبقدر ما يقدم الصحفى لجريدته من كتابة تتسم بالفراسة والخيال يكون أكثر اقترابا إلى الأدب. وعندما يتعرض لصميم الموضوع تتجاوز رغبته فى التعبير عن شئ من الحقيقة، وتحمله إلى ما وراء حدود التسجيل أو حتى التعليق. وعندما يعبر عن تلك الحقيقة بلغة حاذقة وواضحة جدا، بحيث تغدو الفكرة والتعبير عنها كلا متجانسا ـ فإنه عندئذ يكون قد اقترب من الطريقة الإبداعية التى نسميها التأليف. ومثل هذا الشخص الذى يكتب للصحيفة بفراسة خلاقة يمكن أن يسمى الصحفى الأديب. ووجهة النظر والمقدرة على الكتابة؛ هما اللذان يصنعان هذا الضرب من الصحفيين. وإذا كان الأدب يُكتب من أجل موعد نهائى. فإن هذا المعنى يتضح حين نذكر مع "ولزلى": زلزال سان فرانسسكو عام ١٩٠٦ إذ كان ويل إيروين" مخبرا صحفيا ناشئا فى جريدة "نيويورك صن". وإذا عرفنا أن ايروين عاش فى سان فرانسسكو وكان يعرف المدينة تماما. فإن مدير تحرير صحيفته طلب منه أن يكتب قصة لقراء جريدة "صن" عن المدينة التى تهاوت وأصبحت أنقاضا : فجلس إيروين أمام آلته الكاتبة وبدافع حبه لسان فرانسسكو وحزنه لدمارها كتب: تحت عنوان **"المدينة التى كانت"** قصة تتحدث عن سان فرانسسكو الجميلة المرحة ذات البهاء والحسن، المدينة التى عرفها خير المعرفة. وهذه القصة، إلى حد ما على الأقل، مثال للصحافة الأدبية. ذلك أنه استدعاها وهو جالس فى الكاتدرائية البروتستانتية الأسقفية فى واشنطون يستمع إلى الشعائر التى أقيمت لجنازة رودرو ويلسون. لقد أحس جيمس أدونيل بنيت من هيئة تحرير جريدة شيكاغو تريبون أحساسا عميقا بمغزى المناسبة وشعر بالعاطفة الشاملة التى تأكدت فى هذه اللحظة فكتب لجريدته قصة تلبى أعظم مطالب الصحافة الأدبية.

وكان "إيروين" "وبنيت" على السواء يعملان مخبرين صحفيين نجمين أوكاتبين خاصين لصحيفتيهما عندما تحولا لكتابة قصتيهما. وأحيانا يكون كاتب الافتتاحية هو الذى يعزف اللحن العالمى ببراعة أدبية صادقة.

وكاتب العمود مثل: **على أمين؛ مصطفى أمين؛ حافظ محمود؛ إبراهيم نافع ، سلامة أحمد سلامة؛ أنيس منصور،** فى صحافتنا العربية؛ ونظائرهم فى الصحافة الأوروبية والأمريكية مثل : دون ماركيز" فى عموده "ديال" بجريدة" نيويورك صن، "وكريستوفر مورلى" فى جريدة" نيويورك إيفيننج بوست" "وبن هكت" فى صحيفة شيكاغو ديلى نيوز إنما هم صحفيون أدباء لهم مكانة مرموقة.

وكتابة سجل بسيط للأحداث الروتينية فى الحياة اليومية للجريدة عمل يمكن أن يتم بواسطة أى شخص على حظ من التعليم ؛وشئ من التدريب فى التقنية الصحفية. وتفسير الأنباء فى افتتاحية أو فى عمود يوقع عليه كاتبه يتطلب خلفية ثقافية عريضة فى الفكر السياسى والاقتصاديات والتاريخ. ولكن الكتابة عن هذا النوع لا تدل بالضرورة ضمنا على التمتع بفراسة أدبية. ولكى نجعل القارئ يسمع ويشعر ويرى الصحيفة؛ يجب علىالكاتب أن تكون له إلى حد ما قدرة مماثلة لقدرة الشاعر أو كاتب الرواية والقصة القصيرة.

ويظهرنا تاريخ الصحافة المصرية والعربية والعالمية على أن الكاتب ذى الميول الأدبية إنما يستخدم الجريدة كوسيلة للتعبير عن الذات، وكمدرسة للتدريب على الكتابة. والكتاب الذين استخدموا الصحف يمكن تقسيمهم إلى خمس مجموعات: **كتاب المقالات الساخرة؛ وكتاب الرواية الطويلة وكتاب القصص القصيرة، والشعراء، وكتاب المقالات easayists والنقاد. وكتاب المقالات الفكاهية الساخرة: وكتاب المقالات والنقاد والشعراء أحيانا؛** استطاعوا أن يستخدموا مواهبهم استخداما مباشرا فى كتابة الأعمدة بالصحيفة. أما كتاب الروايات وكتاب القصص القصيرة فقد وظّفوا العمل الصحفى كما لو كان بالنسبة إليهم مرحلة من مراحل التلمذة لرؤية الفطرة البشرية والعلاقات الإنسانية. كما رحبت الصحف بالكتاب الفكاهيين Humorists. ومما يذكر فى هذا الصدد أن بنجامين فرانكلين قد نشر ملاحظاته اللاذعة عن الحياة والناس فى باب "الصمت خير" فى صحيفة "نيوانجلاند كورانت". وفيما بعد قام بعمل اسكتشات هزلية، لصحيفته هو ولصحيفة بنسلفانيا جازيت. ومارك توين فى أيامه الأول فى نيفادا كان "الرجل الساخر" لمنشأة مدينة فرجينيا وقد بدأ، مثل فرانكلين فى قالب نموذجى. فعمل أولاً طابعا تحت التمرين وعمره ثلاثة عشر عاما لصحيفة "ميسورى كوريا" فى المدينة النهرية الصغيرة هانيبال، حيث ظل يكتب على الآلة الكاتبة لمدة خمس سنوات، وهو يعمل فى

صحيفة شقيقة هانيبال، أوريون وهى "جورنال" بالاضافة لصحيفة "كوريار" وساهم فى تحرير صحيفة "جورنال" وذلك عادة بأسلوب طروب مرح لدرجة أن أيام نشر صحيفة هانيبال بالنسبة إليه أسطورة مرحة.

وعندما ذهب إلى "سان فرانسسكو" كتب بأسلوب ساخر لصحيفة "سان فرانسسكو كول" وفيما بعد كتب لصحيفة بفالو (نيويورك) "وإكسبرس". وكان يوجين فيلد الذى يكتب لصحيفة دنفرتريبيون وشيكاغو ديلى نيوز أحد كتاب الأعمدة الأمريكيين الأوائل وكانت حياته القصيرة كلها تقريبا مكرسة للكتابة فى الصحف.

وأطلق "فيلد" على عموده فى صحيفة شيكاغو: "شاربس" .. وكان يتمتع بقدر كبير من الروح الرياضية فيه كما كان يسخر من العالم بصفة عامة، ومن شيكاغو بصفة خاصة. وكانت طريقته الأثيرة فى الهجوم أن يشرع فى كتابة مقالة عن شخص أومؤسسة بجدية بحيث يستغرق القارئ فى المقال تماما قبل أن تنذره السخافات المتراكمة بأن هناك أضحوكة أو قطعة بارعة من الابتكار المتسم بالسخرية تتكشف أمام عينيه. وكتب "فنلى بيتر دن" اسكتشاته "مستر دولى" لصحيفة شيكاغو اليومية وأحرزت صحيفة "لا ردنر" شهرة بسبب تصويره الساخر للاعبى البيسبول، الذى كان يكتبه كمخبر للصفحات الرياضية فى للصحف.

أما كتاب الرواية فقد كسبوا تدريبا قيما فى عمل هيئة التحرير للصحف؛ ومن أوائل الصحفيين الأكفاء فى "نيوانجلاند"، بالمعنى الحديث، "دانييل ديفو الذى وضع ملاحظاته عن الحياة الانجليزية فى الصحف والتى ارتبط بها، وتشارلز ديكنز الذى بدأ يهتم بالناس وأخذ يكتب عنهم باعتباره مخبرا صحفيا صغيرا. وويليام دين هويلز الذى نشأ فى مطبعة ريفية وظل سنوات عديدة عضوا فى هيئة تحرير صحيفة لاهيو ستيت جورنال. وعلى الرغم من أنه وجد أن نقل أخبار الشرطة يمثل عملاً صعباً بالقياس إليه؛ إلى حد أنه هجر مؤقتا فكرة العمل الصحفى، مشيرا بعد سنوات عديدة إلى هذا الحادث، فإن هويلز كتب بعد ذلك :" أعتقد لو أننى لوكنت أكثر حكمة وقتذاك لظللت فى الوظيفة التى عرضت على، وتعلمت فى مدرسة الواقع الدروس العديدة عن الفطرة البشرية التى كان يمكن أن تعلمنى. وكان "رتشارد هاردبج ديفيز" صحفيا حتى وفاته. وكانت المادة التى حشدها لرواياته وقصصه مما اكتسب أثناء عمله كمخبر صحفى ومراسل حربى.

وكتاب القصة القصيرة يعرفون التقنية ويحصلون على المادة. ورديارد كيلنج كتب روايته "القصائد القصصية لحجرة الثكنة" لصحيفة فى الهند. وأول طبعة من هذا الكتاب أعدت وطبعت فى مقر الصحيفة حينما كان كبلنج مخبراً صحفيا صغيرا فى هيئة تحريرها. وتعلم "برت هارت" تقنية الكتابة الواقعية وهو مخبر صحفى كصحيفة "تورثرن كاليفورنيان" وهى صحيفة ريفية ـ وعمود فى صحيفة "هوستو يوست" (تكساس) كان يكتبه أو. هنرى الذى كان يعمل أيضا لصحيفة بتسبرج وكتب كثيرا من قصصه القصيرة لجريدة نيويورك سيتى. وفى عموده بصحيفة هوستون توجد بذور قصتين قصيرتين كتبتا فى الأعوام الأخيرة وهما "حكم فقير" (اختيارات) و"البروفيل المسحور" (طرق القدر). "وستيفن كرين" وهو مخبر وكاتب خاص، ومراسل حربى، كتب لصحف نيويورك. وأفضل قصصه كانت ثمرة تجاربه فى الصحف وقد كان صحفيا منشقا على التقاليد الكنسية يرى الأشياء بطريقته الخاصة ويكتب عنها، عادة ، بطريقة تمتاز بالأصالة العظيمة بحيث لا يقدرها مدير التحرير الذين اتفق أن كان يشتغل لهم.

وحتى الشعراء يفيدون من التجربة الصحفية. ففيليب فرينو"شاعر الثورة" كان صحفيا طوال الجزء الأكبر من حياته ككاتب. وكثير من أشعاره التى تعالج أحداثا ذات أهمية؛ ونشرت فى صحف كانت ملكا له أو عمل لها. ووالت هوايتمان كان مرتبطا بنصف دستة من الصحف خلال حياته وكثيرا ما أفاد شعره من موضوعات واجهها إبان حياته العملية فى الصحف. "ووليام كولن بريانت" ظل لمدة خمسين عاما تقريبا عضوا فى هيئة "تحرير جريدة نيويورك ايفننج" بوست"، ومديرا للتحرير لبعض الوقت. وكعضو فى هيئة التحرير فى جريدة "شيكاغو ديلى نيوز" كان "كارل ساندبرج" كثيرا ما يستخدم المادة التى جمعها وهو مخبر صحفى، ويستدعيها فى شعره. وكان ساندبرج مخبرا صحفيا من الدرجة الأولى. وكان دائما سريعا فى التعاطف مع الرجل العادى. ولكنه كان يرى الأحداث من خلال عقله وكذلك من خلال عواطفه. وكانت الأنشطة التى يقدم لها ساندبرج كصحفى، مرتبطة ارتباطا وثيقا بمدينته، ويمكن تتبعها فى الكثير من أشعاره. وقال لمن التقوا به إن مكتب جريدة "ديلى نيوز" شهد بدايات أفكار عديدة ظهرت فى كتاباته فيما بعد، وقال له أصدقاؤه إنه اعتاد أن يجلس فى مكتبه الصغير بعد أن يتم القيام بعمله اليومى، ويدون ما يجيش بصدره فى بضعة سطور على ورق خفيف، ثم يلقى الورق فى سلة سلكية؛ على مكتبه للرجوع إليها فى المستقبل.

وقد ارتبط كتاب المقالات الطويلة Essayists والنقاد؛ بالصحف ارتباطاً وثيقاً. ومن ذلك أن "جوزيف أديسون" "ورتشارد ستيل" من كتاب المقالات فى صحف القرن الثامن عشر؛ كانت مقالاتهما الطويلة فى مجلة سبكتيتور نماذج رائعة للصحافة الأدبية الانجليزية القديمة. وكان ناثانييل باركر"، وهو كاتب مقال طويل وكاتب عمود أمريكى فى عام ١٨٤٠ وما بعده يحظى بشعبية كبيرة فى أيامه، على الرغم من أنه لا يعرف إلا قليلا الآن. ومن أجمل النماذج الصحافة الأدبية الأمريكية" أفكار ديو هيرن وقد عمل كاتبا خاصا لصحف سنسناتى، وعمل فيما بعد فى نيوأورليانز، وكسب شهرة ككاتب لترجمات ومقالات طويلة نشرت أولا فى الجرائد. ولما كان "هيرن" خجولا جدا بحيث لم يستطع أن يقدم تحقيقات بانتظام فإنه احتفظ بمنصبه فى "سنسناتى انكوايادار" بكتابة مقالات يوم الأحد.، ولكنه ظل يعمل كاتبا لمقال بارز من مقالات المعالم الصحفية feature وكانت ردود فعله العاطفية عظيمة جدا إلى حد أنها مكنته من أن يجمع أى شىء إلا المادة الواقعية ويكتبها كما لو كان يكتب قصة خبرية مباشرة. وبينما هو فى "سنسناتى" كتب: "المذبح" وحى الزنوج" والحياة على جسر "نهر". بل إنه ذهب إلى حد أنه تسلق برج كاتدرائية لها وذلك ليكتب مقالاً منّوعاً Feature وهو ليس الوحيد فى مجال كتابة المعالم الصحيفة التى حقق فيها كتاب المقالات الطويلة نجاحا. إذ حقق "جيمس جيبونز هنيكر امتيازا ككاتب لمقالات نقدية واسكتشات لصحف نيويورك. "وإدجار" ألان بو كتب المقالات النقدية المهمة باعتباره محررا فى إحدى الصحف. وكانت تقييماته النقدية هامة لا للعصر الذى كتب فيه فحسب بل لأنها أيضا كانت ذات قيمة لدارس النقد الحديث.

والمؤلفون والصحفيون الأدباء لهم مشكلات مماثلة؛ كما يقول "ولزلى" ذلك أن المبادئ الجوهرية التى عبر عنها الكاتب الروائى جوزيف كونراد تتمثل فى قوله: إن مهمتى التى أحاول أن أنجزها هى، بقوة الكلمة المكتوبة، أن اجعلك تسمع وأن أجعلك تشعر. وهى أولا وقبل كل شئ، أن أجعلك ترى. والكاتب لكى يجعل قراءه يسمعون مايقول ويشعرون بما يشعر به، ويرون من خلال عينيه، لابد أن يكون على حظ من المقدرة الأدبية الحقيقية، وأن يجذب الانتباه قسرا؛ عن طريق المزج بين مادة موضوعه ووجهة نظره وأسلوبه.

على أن المادة التى يستخدمها الصحفى الأديب يمكن أن تكون أخبارا ويمكن أن تكون جزءاً صغيرا لنبأ، أوقد لا تكون لها علاقة على الإطلاق بأى نبأ أوحدث،

أوقد تكون نوعا من حكاية إنسانية "لبن هكت" فى عموده "امسيات هزيلة" أوقد يكون وحيا ذاتيا لهيوود براون". وهو يقدم تعبيرا عن تلك الأشياء التى تسبب رد فعل عاطفى.

ومن الصحفيين الأدباء فى القرن العشرين من أسهم فى تطوير "التحقيق الصحفى" reportage وهو تقرير يكتب لموعد نهائى، وهو نفس الموعد النهائى الذى يلبيه المندوب صحفى بالنسبة للأنباء، وإن كان على كاتب التحقيق الصحفى أن يفعل أكثر فى تقديم الحقائق. وهو ليس مجرد مشاهد يجيب عن أسئلة مثل: من وماذا، وأين ولماذا، ومتى؟ إنه يجب أن يجيب عن هذه الأسئلة.. وما تستدعيه من تساؤلات. وهو فى تقنيته ليس مختلفا عن كاتب المقال الطويل غير الرسمى، وفى مواجهته للموضوع أى رد فعله للحقائق. ومحاولته أن يجعل القراء يتفاعلون بنفس الطريقة التى تفاعل هو نفسه بها، وأن يذوق ويشم ويلمس الأخبار والوقائع ولكن فى محاولة لخلق نغم عاطفى لايؤدى إلى أى تشويه للحقائق. ومن ثم فان التحقيق الصحفى يمكن تعريفه بأنه تقديم حقيقة معينة أو حقائق، أوحدث.. معين بالذات فى وضع يساعد القارئ على أن يتثبت من تلك الحقائق أوذلك الحدث .. والتحقيق الصحفى reportage صحافة أدبية، عندما يكتبه صحفى من الأدباء يحشد قدرته الكتابية لمقتضيات هذا الفن.

ومن الأحداث الخبرية قد تأتى قصص قصيرة أو قصائد أو حتى روايات:

يتميز الصحفى الأديب بوجهة نظر خاصة؛ ويجعل القراء يشعرون بما يكتب؛ لأنه يفهم سيكلوجية العاطفة الإنسانية بدرجة كافية تماما؛ بحيث يستطيع أن يصنع ما يثير إشفاقه وحبه وخوفه ويثير قراءه بنفس الطريقة، وهو يجعل القراء يرون الحقيقة الخارجية أوالحدث فحسب، بل ما يكمن فيهما، وما يشيران إليه من مغزى أو حقيقة كونية. وهو يجعل قراءه يرون بالمعنى الحقيقى، لأنه يفتح عيونهم على أشياء لم يروها قط من قبل أو لم يدركوا كنهها إلا بصورة مبهمة. وإذا كتب المخبر الصحفى سجلا عن الواقع فإن الصحفى الأديب قد يقال إنه يقدم نموذجا للواقع عن طريق وسيط medium من خياله. ومن أجل هذا يقوم الصحفى الأديب بتشخيص كتابته. أى أنه يقول إنه أكثر اهتماما بالناس؛ وبعلاقة كل واحد منهم بالآخر، وذلك أكثر مما هو عليه من حيث المبادئ أو التعليق المجرد. والصحفى الذى له وجهة نظر فى العلوم السياسية يرى الأنباء من زاوية علاقتها

بالنظريات والممارسات العملية للحكومة. والصحفى الأديب يرى الأنباء من حيث علاقتها بالصفة الانسانية؛ وإمكاناتها لإظهار الناس فى وسط الحياة، حياة قد تبدو كوميدية أوتراجيدية أومؤثرة أوهزلية. وإذا ماتم إنجاز ذلك فإنه يجب أن يحقق تناقضا ظاهرا أى أنه يجب أن يكون له منظور يرى الأشياء من خلاله ــ فى جملتها الكاملة لافى أجزائها؛ وفى الوقت نفسه ينبغى أن ينحاز فى علاقاته الإنسانية. والكاتب ينبغى أن يكون خارج الأمور الشخصية الى يحبها ويكرهها ولكنه لايستطيع أن يعطى القارئ الانطباع بأنه ينظر إلى الأشياء التى يكتب عنها من الخارج. أى أنه إذا رأى الأشياء فى منظورها الصحيح فإنه لن يكتب من ميل شخصى تافه بل إنه سوف يعرف لماذا يكتب هذا الشئ بالذات وما يحاول أن يقوله. وما إن يعرف مايريد أن يحمله للقارئ وما هو موضوعه فإن كل ما يكتب يكون تكراراً لذلك الموضوع. وقد قيل إن الحياة ملهاة بالنسبة لمن يفكرون، ومأساة بالنسبة لمن يشعرون. ولعل ذلك هو كل ما يحاول الكاتب أن ينقله، ولكنه فى كل ما يكتبه يعبر عن ذلك الاقتناع. والمخبر الصحفى الذى ينقل الأخبار لايستطيع أن يكون له موضوع. وهو لايستطيع أن يلون نسخته لكى يجعل القارئ يشعر بأن أشياء معينة خطأ. ولكن الكاتب الخاص وكاتب الافتتاحية وكاتب العمود يمكنهم أن يفعلوا هذا. وكثير من هؤلاء قدم كل منهم تعبيرات قوية لوجهة نظر أو موقف تجاه المشكلات الحالية المعاصرة. والعنصر الإنسانى فى الأخبار هو الذى يهم الصحفى الأديب وهو يكتب جيدا لأنه يشعر شعورا عميقا. والعمق العاطفى هو الذى يجعل القصة حتى ولو كانت غير متسلسلة قصة هامة.

والصحفى الأديب يهتم بأسلوبه فى الكتابة .. وفى ذلك يذهب "ولزلى" إلى أن الصحفى الأديب ليس مرتبطا بالقيود الخاصة بتغطية الأنباء مباشرة والمفروضة على المندوب الصحفى؛ فمشكلته ليست فقط هى أن يقدم للناس الحقائق بل أن يجعلهم يحسون بها. ومن أجل ذلك فإن عليه أن يولى نفس الاهتمام بالتقنية مثل الأديب الذى ربما لم يُرقط داخل صالة التحرير فى جريدة من الجرائد. والمشكلة التى تواجه الصحفى الأديب هى مشكلة خاصة؛ لا بما يقوله فحسب بل أيضا بالكيفية التى يقول بها.

وفى الصحافة الأدبية هناك كتاب واقعيون مثل إرنست هيمنجواى وجون دوس باسوس وجيمس فاريل. وهناك آخرون يتمتعون بالهجو اللاذع لسنكليرلويس فى كتاب مثل "الشارع الرئيسى". وفى الطرف الآخر هناك كتاب رمانسيون يمثلهم

رتشارد هارونج ديثيس. وهؤلاء الرجال لكى يصوروا وجهة نظرهم. فى الحياة وينقلوها لقرائهم ينبغى أن يولوا التقنية التى يتوسلون بها فى الكتابة فكرا عظيما والكاتب الواقعى يرى تفاصيل معينة يغفلها الكاتب الرومانسى، وربما كان هو نفسه. لايرى التفاصيل التى تؤثر فى الكاتب الواقعى، ولكنه إذا رآها يتجاهلها لكى يعطى صورة رومانسيه للحياة. وفى أى شكل من أشكال الكتابة الإبداعية يكون مبدأ الاختيار من الأهمية بمكان، وكاتب الأخبار ينبغى أن يتشبث بمجموعة من الحقائق لجماعة من الناس. وكاتب القصة الخيالية والصحفى الأديب يمكنهما أن يتمتعا بقدر أكبر من الحرية مع الحقائق، والناس الذين لهم ضلع فيها. والمندوب الصحفى المستقيم يسجل الحقائق عن جريمة قتل. أما الكاتب الروائى والصحفى الأديب فإنهما يهتمان بالدافع وأنواع الناس الذين لهم علاقة بها. واللون العاطفى فى الظروف المحيطة بها. ولكنهم، لكى يحققوا أثر الحدة الدرامية ينبغى أن يقوموا بعملية اختيار فى التفاصيل التى تتضمنها القصة.

كذلك فإن الصحفى الأديب يغفل أهمية الطريقة التى بها تقدم هذه التفاصيل وهو قد يتبنى أسلوبا مرسلاً حرًا informal أويتجنب أسلوب المقال الطويل يمكن أن تطبق على المقال الافتتاحى الذى ينطوى على أهمية إنسانية، وهى أهمية كثيرا ماتستخدم فى العمود. ومن جهة أخرى فإن هيمنجواى قد حقق فعاليته الفنية عن طريق استخدام جمل قصيرة. وليس هناك أسلوب واحد للصحافة الأدبية. ولكن على الكاتب أن يكون له أسلوب خاص به.

ومن ثم فإن فى طريقة تقديم أمر ما من الأمور؛ هى التى تحدد المشكلة التى يواجهها الصحفى الأديب .. وهى مشكلات مماثلة للمشكلات التى يواجهها الكاتب الروائى وكاتب القصة القصيرة والشاعر وكاتب المسرحية.

بناء المقال النقدى :

واذا كنا نتفق على أن التحرير فى جميع أنواعه إنما يقوم على "التفكير"، و"التعبير" معا، فإننا سوف ننظر إلى ما يشيع فى تعريف المقالة منذ "جونصون" واعتبارها" نزوة عقلية لا ينبغى أن يكون لها ضابط من نظام"؛ نظرة مغايرة، ربما تتفق مع "جونصون" نفسه، إذا اعتبرنا ما يقوله نابعاً من "النظام النسبى" إن جاز التعبير، قياسا إلى الفنون الأدبية الأخرى للتمييز بينها. وإذا نظرنا إلى تعريف

"جونصون" أيضا، على أنه يريد للنظام فى المقالة أن يتجاوز نفسه، حتى ليبدو فـى سياق غير منظم، لا يجرى على نسق معلوم. ذلك أن عنصر "التفكير" فى التحريـر المقالى، يختط له التنسيق الملائم، النابع مـن الرؤيـا الإبداعيـة للكـاتب نفسـه، ومـن طريقة" تفكيره" المتميز بها، وهى الطريقة التـى تؤكـد أنـه لايكفـى أن يكـون هنـاك خاطر فىالمقالة، بل لا بد من ملاحظة النظام فى كيفية إيضاحه، إذ لاجـلاء بـدون تنسيق. وكما يقول الأستاذ عمر الدسوقى فلابـد قبـل الكتابـة مـن وضـع رسـم ولـو رءوس أقلام، فانه إذا لـم يوضـع الرسـم يرتبـك الذكـى ولا يعـرف كيـف يبتـدىء. وكذلك يدخل فى تفاصيل مملة، ويضيع المسألة المهمة، ويصير مظلما كلما اجتهد فى الإيضاح، ومن أين له أن قارئيه يصـبرون إلـى أن يعـود ليهتـدى سـبيله. وفـى الكتابة القصيرة لا يستغنى البتة عن هذا الرسم، ولكـن العـادة تجعلـه مصـورا فـى الذهـن علـى الفـور، وكيـف كـان.. ففـى التنسـيق ثلاثـة أمـور ضروريـة: وحـدة الموضـوع، وتلاحم الأجزاء، واستقلالها التدريجي".

فعنصر "التفكير" إذن – فى التحرير المقالى - يؤدى إلـى البنـاء الداخلـى فـى المقالة، وفقا لنظام نابع من رؤيـا الكـاتب الإبداعيـة، ولذلـك يـرى النقـاد أن كـاتب المقالة ملزم بالتفكير فيما يريد أن يكتب قبل أن يتنـاول القلـم، ثـم يسـير موضوعـه سيرا منطقيا متجنبا الفضول، ومركـزا فكـره فـى النقـاط الرئيسـية، علـى أن يكـون لموضوعه وحدة تربط بين أجزائه، وأن يكون واضحا فى تعبيره، منتخبـا لكلماتـه، ولأ سلوبه طلاوة وعليه جمال.. فضلا عن تنسيق الأفكار؛ الذى يعد شرطا أساسيا من شروط الاتصال المؤثر.

من مراجع الكتاب

إبـــراهيـــم إمـــام : الإعلام والاتصال بالجماهير، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٩ : دراسات فى الفن الصحفى؛ القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية ١٩٧٠

إبـــراهيـــم عبـــده : تطور الصحافة المصرية ١٧٩٨ ـ ١٩٥١؛ القاهرة مكتبة الآداب، ط٣ = ١٩٥١

أحمد حسين الصاوى : فجر الصحافة فى مصر؛ دراسة فى إعلام الحملة الفرنسية، القاهرة ١٩٧٥

جيهان أحمد رشتـى : الاعلام الدولى بالراديو والتليفزيون، القاهرة، دار الفكر العربى ١٩٧٩.

: الأسس العلمية لنظريات الإعلام، القاهرة، دار الفكر العربى ١٩٧٩

حـــافظ محمــــود : المعارك فى الصحافة والسياسة والفكر بين ١٩١٩-١٩٥٣؛ ذكريات حافظ محمود، كتاب الجمهورية العدد الأول، إبيل ١٩٦٦.

حســن عماد مكاوى : أخلاقيات العمل الإعلامى، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٨.

حسنيــن عبد القادر : الصحافة كمصدر للتاريخ؛ القاهرة

: الرأى العام والدعاية وحرية الصحافة، القاهرة؛ دار

حمـــدى حســــن : الوظيفة الإخبارية لوسائل الإعلام، القاهرة دار الفكر العربى ١٩٩١.

خليـــل صـــابـــات : الصحافة رسالة، استعداد فن وعلم، القاهرة، دار المعارف بمصر ط ٢ = ١٩٦٨.

: وسائل الاتصال، نشأتها وتطورها؛ القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية ط ٥ = ١٩٨٧

راجية أحمد قنديـل : الصورة الإسرائيلية فى عينة من الصحف المصرية؛ رسالة دكتوراة ـ كلية الإعلام جامعة القاهرة ١٩٨١.

راسم محمــد الجمال : الاتصال والإعلام فى الوطن العربى؛ بيروت ١٩٩١.

سامـــى عزيـــز : الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الإنجليزى؛ القاهرة، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ١٩٦٨.

ساميــة أحمــد على : البرامج الثقافية فى الراديو والتليفزيون؛ القاهرة دار

الفجر، ١٩٩٧.
سعـــد لـــبيـــب : دراسات فى الفنون الإذاعية، كتب إذاعية، بغداد، ١٩٧٣.
سمـــير محمد حسين : الإعلام و الاتصال بالجماهير والرأى العام، القاهرة؛ عالم الكتب ١٩٨٢.
بحوث الإعلام، الأسس والمبادىء، القاهرة عالم الكتب ١٩٧٦
عبد العزيز شـــرف : فن المقال الصحفى فى أدب محمد حسين هيكل، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧.
: فن المقال الصحفى فى أدب طه حسين القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥.
: عصر العقاد؛ صفحات وطوية فى تاريخ الصحافة المصرية؛ القاهرة، مكتبة مختار ١٩٩٠.
: أدب المقالة؛ سلسلة أدبيات القاهرة؛ مؤسسة لونجمان؛ ١٩٩٧.
: التفسير الإعلامى لأدب المقالة؛ القاهرة؛ مؤسسة مختار ١٩٩٦.
: وسائل الإعلام ولغة الحضارة؛ القاهرة؛ مؤسسة مختار ١٩٩٥.
: أدب المقال من المعاصرة إلى الأصالة، بيروت دار الجيل ١٩٩٨.
عبد اللطيف حمزة : أدب المقالة الصحفية فى مصر ٨ أجزاء؛ القاهرة؛ دار الفكر العربى.
: الجزء التاسع - بالاشترك مع عبد العزيز شرف - الهيئة المصرية العامة للكتاب؛ القاهرة ١٩٩٨.
علـــى عجـــوة : الأسس العلمية للعلاقات العامة، القاهرة، عالم الكتب ١٩٧٨.
عواطف عبد الرحمن : الصحافة العربية فى الجزائر، دراسة تحليلية لصحافة الثورة الجزائرية ١٩٥٤- ١٩٦٢، القاهرة مركز البحوث والدراسات العربية، ١٩٧٨.
فاروق أبو زيد : فن الخبر الصحفى، دراسة مقارنة بين الصحف فى المجتمعات المتقدمة والنامية؛ القاهرة، دار المأمون

للطباعة والنشر، ١٩٨١.

: **فن الكتابة الصحفية**، القاهرة ، دار المأمون للطباعة والنشر ١٩٨١.

: **أزمة الفكر القومى فى الصحافة المصرية** تقديم د. خليل صابات، القاهرة، دار الفكر والفن ١٩٧٦.

: **أزمة الديمقراطية فى الصحافة المصرية**: تقديم. مختار التهامى، ١٩٧٦.

كرم شلبى : **فن الكتابة للراديو والتليفزيون**؛ جدة، دار الشروق ١٩٨٦.

: **معجم المصطلحات الإعلامية**؛ بيروت، دار الجيل ١٩٩٤.

ليلى عبد المجيد : **حرية الصحافة فى مصر بين التشريع والتطبيق ١٩٥٢- ١٩٧٤**؛ القاهرة الطباعى العربى للنشر والتوزيع ١٩٨٦.

: **الصحافة فى الوطن العربى**؛ القاهرة؛ العربى للنشر والتوزيع ١٩٩٠.

ماجى الحلوانى : **الاذاعات العربية**، القاهرة؛ دار الفكر العربى، ١٩٨٢.

محمد عبد الحميد : **تحليل المحتوى فى بحوث الإعلام**، جدة، دار الشروق ١٩٨٣.

محمود علم الدين : **الصورة الفوتوغرافية فى مجالات الإعلام**، القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨١.

مختار التهامى : **ثلاث معارك فكرية**، القاهرة دار مأمون للطباعة، ١٩٧٦.

منى سعيد الحديدى : **الفيلم التسجيلى، تعريفه، أتجاهاته، أسسه، قواعده**، القاهرة دار الفكر العربى ١٩٨٢.

محتويات الكتاب

الصفحة